

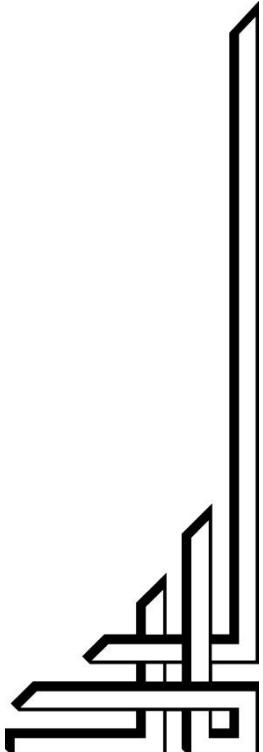
# مباحث حول النبوات

تقرير لأبحاث آية الله المحقق

الشيخ محمد السندي

بقلم

حارث العذاري



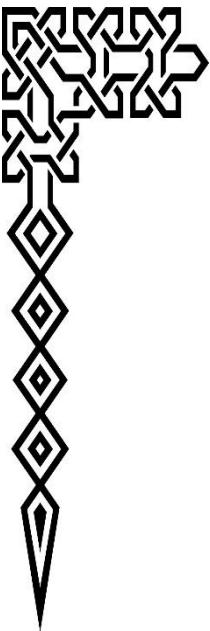


# قسم الشؤون الدينية

# شعبة البحوث والدراسات

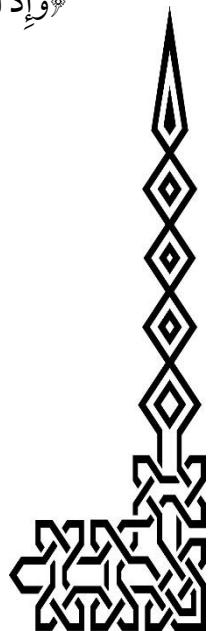
## هوية الكتاب

- عنوان الكتاب: ..... مباحث حول النبوات
- المؤلف: ..... تقريرا لأبحاث آية الله المحقق الشيخ محمد السندا
- بقلم: ..... السيد حارث العذاري
- الناشر: ..... شعبة البحوث والدراسات / قسم الشؤون الدينية
- سنة الطبع: ..... ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨ م
- المطبعة: ..... دار الوارث للطباعة والنشر والتوزيع
- التصميم الإخراج الفني: ..... علي جبار



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيلًا﴾





## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بفضل من الله تعالى تم الخوض بحثاً وتحقيقاً وصياغة وترتيباً في هذه الابحاث القيمة التي تناولها سماحة الشيخ الاستاذ اية الله محمد السندي وهي وحسب ما اتوقع وأسعى ستكون موسوعة عقائدية شاملة لعدد كبير من المسائل والابحاث الاعتقادية التي لا غنى للباحث المتبصر والقارئ المتدار عنها.

ثم مما لا بد منه بيان بعض الملاحظات المهمة قبل الشروع في هذه الابحاث والتي تجلت لنا من خلال البحث والتحقيق ونود الفات نظر القارئ العزيز اليها وهي كثيرة منها:

أولاًً: أنَّ الأصل لهذا الكتاب أنها هو محاضرات القاهـا سماحة الشيخ الاستاذ ومن ثم تم تدوينها بصورة شبه نسخـه على الورق وهذا الامر مما سيلاحظه القارئ العزيز من خلال الروح العامة للأبحاث نظمـها وطراـحا.

وفي مسيرة التحقيق وبعد الانفاق مع سماحة الشيخ الاستاذ عمدنا الى نفي هيكل تلك المحاضرات واعتـهـاد اسلوب البحث والتـبـويـب العلمـي بصـورـتهـ الهندـسـية امام القارئ العـزيـز فـكـانـتـ المحـاضـرـاتـ مـادـةـ خـامـ نـتـعـامـلـ معـهـاـ بـاسـلـوبـ التـرـيـبـ وـالـتـحـقـيقـ الذـيـ وجـدـتـهـ اـمـامـكـ ماـ اـدـىـ بـالتـالـيـ الىـ اـنـهـاءـ صـورـتـهاـ وـازـالـةـ هيـكـلـهـاـ وـتـغـيـرـ صـيـاغـتـهاـ .

ولكن سيجد القارئ ان النفس العام للمحاضرة موجود وهو ما لا يمكن لنا نفيه ولا

## ٦ ..... مباحث حول النبوات

تغيره خصوصا في بعض الصياغات لبعض الجمل او الاطروحات بلفظها او بمعناها وهذا ما جعل امامنا الجهد بأضعاف واضفي علينا التزاما حقيقيا في ان نوازن بين الطابعين للبحث الذي أصله محاضرات متنوعة متباشرة المقاصد تسلسلا واستطرادا.

ثانياً: ان سماحته حين كان يلقي المحاضرات ولضرورة افهم السامع ولأجل بيان فكرته كان يستخدم بعض العبارات المباشرة التلقى التي لا يمكن ان تكون منسجمة مع صياغة البحث حال كونه بحث مقروء لا مسموع وهذا فرق جوهري يعرفه اي باحث في اي مجال ولكنه رغم ضرورته الا انه يشكل مشكلة للباحث فيها اذا ما كان مستعينا بالله تبارك وتعالى ومتمنكا من مواضيع البحث وملما بها والا فان الباحث ان كان غافلا او متهاونا سيكون نتيجة غفلته وتهاونه ضياع الفائدة في كثير من تلك الابحاث تحت مطرقة الاسلوب وفي ثنايا الصياغة، لكننا سرنا في ذلك بين حذر وانتباه ومراجعه وتأمل حتى وصلت التبيجة المرجوة الى القارئ العزيز والتي سيجدها بعون الله وحسن توفيقه في هذا الكتاب.

ثالثاً: أنّ أَنَّ أَهْمَّ الْأُمُورِ الَّتِي أَتَعْبَنَا أَنفُسَنَا فِيهَا هُوَ قَضِيَّةُ مَتْنٍ وَمَصَادِرِ الرِّوَايَاتِ وَذَلِكَ لِمَا نُوْهُنَا عَنْهُ قَبْلَ قَلِيلٍ مِّنْ إِنْ سَمَّاهُ الشِّيخُ الْأَسْتَاذُ حِينَمَا كَانَ يَقْلِي مَحَاضِرَتَهُ عَلَى الْمُتَلَقِّي صُوتِيَا لَا كَتَابَةً لَمْ يَكُنْ فِي صَدْدِ ذَكْرِ مَصْدَرِ الرِّوَايَةِ أَوْ سَنْدِهَا بَلْ أَنْ بَعْضَ الرِّوَايَاتِ تَذَكَّرُ بِمَضْمُونِهَا الْمُقَارِبُ لِأَصْلِهَا الْلُّفْظِيِّ الدُّقِيقِ أَوْ أَنَّ الشِّيخَ الْأَسْتَاذَ يَكْتُفِي بِذَكْرِ مَقْطُوعٍ مِّنْ تَلْكَ الرِّوَايَةِ تَبَعًا لِمَوْضِعِ الْحاجَةِ عَنْدِ المَرْوِرِ عَلَيْهِ.

هذا مما الزرمنا لضرورة إفاده القارئ العزيز وامعاانا في الامانة العلمية واحترازا امام كلمات اهل بيت العصمة عليه السلام ان نعيذ ذكر تلك الروايات مضبوطة بالمتن الصحيح ونرجعها بعد ذلك

إلى سندتها أو مصدرها الذي وردت فيه، وهذا الأمر سيجده القارئ جلياً بعون الله جل جلاله في  
كافحة أبحاث الكتاب.

بل إننا وتبعد لضرورة اتقام الفائدة أوردنا أكثر عدد من الروايات التي تتطلب الحاجة إليها  
ولم يتطرق لها الشيخ الاستاذ أو يذكرها أساساً وهو أمر لا بد منه في إرجاء النفع وما لا شك أنه مما  
رحب به شيخنا الاستاذ.

رابعاً: إن صياغة الابحاث كان يتطلب التأني المسبوق بقراءة متمعنة لأصل المحاضرات  
واعادة إجالة النظر فيها أكثر من مرة ومن ثم تمر الصياغة بمراحل عديدة وهي بدورها تستلزم  
حذف وتعديل وتغيير كثير من العبارات، وهذا كله مرحلة مسبقة لمرحلة المراجعة التي تمر عبر  
ادوار عده وليس ذلك إلا اتماماً للصياغة وفق هندسة مبنية على رؤية صحيحة مناسبة لتلك  
الابحاث مفاهيمها وترتيبها، وقد كان هذا مبني على اتفاق واذن وصلاحيات واسعة منحها لنا  
ساحة الشيخ الاستاذ مشكوراً وهو ما عرفناه عنه من دعم ورعاية حقيقة للباحث وإفساح  
للمجال امام جهده لتوقي اعماله ثمارها بصورتها الحقيقية النافعة بعون الله تعالى.

خامساً: إن هذا الجزء إنما هو جزء من مجموعة اجزاء صدر منها الجزء الاول الذي كان  
بقلم الاخ العزيز الشيخ إبراهيم البغدادي وهو أحد زملائي الاعزاء ومن طلبة الشيخ الاستاذ  
المبرزين وقد اجاد فيه مشكوراً وما جوراً ونحن وب توفيق الله تعالى أتمينا الجزء الثاني الذي سيتبعه  
الجزء الثالث عن نفس الموضوع وهو ابحاث النبوة وموضوع هذا الجزء حول النبوات بصورتها  
العامة شاملة لجميع الانبياء وموضوع الجزء الثالث المزمع انجازه قريباً حول نبوة سيد الانبياء  
عليه السلام.

ومن ثم ان وفقنا الله تعالى سنستمر مع باقي محاضرات الاعتقادات من التوحيد والعدل والامامة والمعاد وابحاث اخرى متعلقة بذلك كأبحاث الاعتبار وغيرها وسائله تبارك وتعالى العون والسداد للإتمام ونرجوه جل جلاله ان يجعلها مما يتفع بها من قبل القراء الاعزاء .

سادساً: الشيء المهم ايضاً الذي لابد ان يعرفه القارئ العزيز ان المحاضرات إنما هي بالأصل بنيت على المحاججة النبوية المشهورة مع أهل الاديان وقد استطاع الشيخ الاستاذ ببراعة علمه ان يجعلها محوراً تدور حوله الابحاث وتتفرع من ثناياها وهذا ما سيراه القارئ العزيز في كثير من مواضيع الكتاب وان كنا حاولنا ان نرفع هذا الالتصاق قدر الامكان حتى تبدو الابحاث بصورتها العلمية الرصينة.

طبعاً هذا ما سيراه القارئ من خلال نصوص متداولة لتلك المحاججة الشريفة وقد ذكرناها مجزأً هناك وفقاً للموضوع الذي يتطلبه الجزء المنقول حينها، ولكن امانة منا ولضرورة النفع وحسب مقتضى الامانة العلمية نورد للقارئ العزيز النص المروي لتلك المحاججة الشريفة التي رویت في كتاب الاحتجاج الجزء الاول الصفحة (١٦).

### احتجاج الرسول ﷺ مع رجال خمسة أديان:

قال الصادق عليه السلام في رواية حدثني أبي الباقي، عن جدي علي بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين سيد الشهداء، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين أنه اجتمع يوماً عند رسول الله أهل خمسة أديان: اليهود، والنصارى، والدهرية، والشتوية، ومسركو العرب.

قالت اليهود: نحن نقول: عزير ابن الله، وقد جئناك يا محمد لنتظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خاصمناك.

وقالت النصارى: نحن نقول: المسيح ابن الله اتحد به، وقد جئناك لنتظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خاصمناك.

وقالت الدهرية: نحن نقول: الأشياء لا بدأ لها وهي دائمة، وقد جئناك لنتظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خاصمناك.

وقالت الثنوية: نحن نقول: إن النور والظلمة هما المدبران، وقد جئناك لنتظر ما تقول: فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خاصمناك.

قال مشركو العرب: نحن نقول: إن أوثانا آلة جئناك لنتظر ما تقول، فإن اتبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك وأفضل، وإن خالفتنا خاصمناك.

قال رسول الله ﷺ: آمنت بالله وحده لا شريك له، وكفرت بالجحود وبكل معبد سواه، ثم قال لهم: إن الله تعالى قد بعثني كافة للناس بشيراً ونذيراً وحججاً على العالمين، وسيرد كيد من يكيد دينه في نحره.

### احتجاجه ﷺ مع اليهود:

ثم قال لليهود: أجهتموني لأقبل قولكم بغير حجة؟ قالوا: لا، قال: فما الذي دعاكم إلى القول بأن عزيزاً ابن الله؟ قالوا: لأنَّه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهبت ولم يفعل بها هذا إلا لأنه ابنه.

## ..... مباحث حول النبوات

قال رسول الله ﷺ: فكيف صار عزيز ابن الله دون موسى وهو الذي جاءهم بالتوراة ورؤي منه من المعجزات ما قد علمتم؟ فإن كان عزيز ابن الله لما أظهر من الكرامة بإحياء التوراة فلقد كان موسى بالبنوة أحق وأولى، ولئن كان هذا المدار من إكرامه لعزيز يوجب إنه ابنه فأضعف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجل من البنوة، وإن كنتم إنما تريدون بالبنوة الولادة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأولاد بوطي آبائهم هن فقد كفرتם بالله وشبهتموه بخلقه، وأوجبتم فيه صفات المحدثين، ووجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً، وأن يكون له خالق صنعه وابتدعه، قالوا: لسنا نعني هذا، فإن هذا كفر كما ذكرت، ولكننا نعني أنه ابنه على معنى الكرامة وإن لم يكن هناك ولادة، كما يقول بعض علمائنا ممن يريد إكرامه وإباتته بالمنزلة عن غيره: يابني: وإنه ابنـي؟ لا على إثبات ولادته منه، لأنـه قد يقول ذلك مـن هو أجـنبي لا نـسب بـينـه وـبينـه، وكذلك لما فعل الله بـعزيز ما فعل كان قد اخـذـه أـبـناـ علىـ الكرـامـةـ لاـ عـلـىـ الـوـلـادـةـ؟ فـقالـ رسولـ اللهـ ﷺـ: فـهـذـاـ مـاـ قـلـتـهـ لـكـمـ: إـنـ وـجـبـ عـلـىـ هـذـاـ الـوـجـهـ أـنـ يـكـونـ عـزـيزـ اـبـنـهـ فـإـنـ هـذـهـ الـمـنـزـلـةـ لـمـوـسـىـ أـولـىـ، وـإـنـ اللهـ يـفـضـحـ كـلـ مـبـطـلـ يـأـقـرـارـهـ وـيـقـلـبـ عـلـيـهـ حـجـتـهـ.

واما ما احتججتم به يؤديكم إلى أكبر مما ذكرته لكم، لأنـكم قـلتـمـ: إـنـ عـظـيمـاـ مـنـ عـظـمـائـكـ قد يـقـولـ لـأـجـنبيـ لـأـنـسـبـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـ: ياـبنيـ، وـهـذـاـ بـيـنـهـ، لـاـ عـلـىـ طـرـيقـ الـوـلـادـةـ، فـقـدـ تـجـدـونـ أـيـضاـ هـذـاـ الـعـظـيمـ يـقـولـ لـأـجـنبيـ آخرـ: هـذـاـ أـخـيـ وـلـآخـرـ: هـذـاـ شـيـخـيـ وـأـبـيـ، وـلـآخـرـ: هـذـاـ سـيـديـ وـيـاـ سـيـديـ عـلـىـ سـبـيلـ الإـكـرامـ، وـإـنـ مـنـ زـادـهـ فـيـ الـكـرـامـةـ زـادـهـ فـيـ مـثـلـ هـذـاـ القـوـلـ، فـإـذـاـ يـجـوزـ عـنـدـكـمـ أـنـ يـكـونـ مـوـسـىـ أـخـاـ اللـهـ أـوـ شـيـخـاـ لـهـ أـوـ أـبـاـ أـوـ سـيـداـ لـأـنـهـ قـدـ زـادـهـ فـيـ الإـكـرامـ مـاـ لـعـزـيزـ كـمـاـ أـنـ مـنـ زـادـ رـجـلاـ فـيـ الإـكـرامـ قـالـ لـهـ: يـاـ سـيـديـ وـيـاـ شـيـخـيـ وـيـاـ عـمـيـ وـيـاـ رـئـيـسيـ عـلـىـ طـرـيقـ الإـكـرامـ، وـإـنـ مـنـ زـادـهـ فـيـ الـكـرـامـةـ زـادـهـ فـيـ مـثـلـ هـذـاـ القـوـلـ، أـفـيـجـوزـ عـنـدـكـمـ أـنـ يـكـونـ مـوـسـىـ أـخـاـ اللـهـ، أـوـ شـيـخـاـ، أـوـ عـمـاـ أـوـ

رئيسا، أو سيدا أو أميرا؟ لأنه قد زاده في الإكرام على من قال له: يا شيخي أو يا سيدى، أو يا عمي، أو يا أميرى، أو يا رئيسى؟ قال: فبها القوم وتحيروا وقالوا. يا محمد أجلنا نتفكر فيما قلته لنا، فقال: انظروا فيه بقلوب معتقدة للإنصاف يهدىكم الله.

احتجاجه على النصارى:

ثم أقبل عليه السلام على النصارى فقال: وأنتم قلتم: إن القديم عز وجل اتحد بال المسيح ابنه، فما الذي أردتوه بهذا القول؟ أردتم أن القديم صار محدثاً لوجود هذا المحدث الذي هو عيسى؟ أو المحدث الذي هو عيسى صار قدّيماً لوجود القديم الذي هو الله؟ أو معنى قولكم: إنه اتحد به أنه اختص بكرامة لم يكرم بها أحداً سواه؟ فإن أردتم أن القديم تعالى صار محدثاً فقد أبطلتم، لأن القديم محال أن ينقلب فيصير محدثاً، وإن أردتم أن المحدث صار قدّيماً فقد أححلتم، لأن المحدث أيضاً محال أن يصير قدّيماً وإن أردتم أنه اتحد به بأن اختصه واصطفاه على سائر عباده فقد أقررتتم بحدوث عيسى وبحدوث المعنى الذي اتحد به من أجله، لأنه إذا كان عيسى محدثاً وكان الله أتحد به بأن أحدث به معنى صار به أكرم الخلق عنده فقد صار عيسى وذلك المعنى متحداثين، وهذا خلاف ما بدأتم تقولونه، قال فقالت النصارى: يا محمد إن الله تعالى لما أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتخذه ولداً على جهة الكرامة، فقال لهم رسول الله صلوات الله عليه وسلم: قد سمعت ما قلته لليهود في هذا المعنى الذي ذكرتموه، ثم أعاد عليه السلام ذلك كله، فسكتوا إلا رجلاً واحداً منهم قال له: يا محمد أو لستم تقولون: إن إبراهيم خليل الله؟ قال: قد قلنا ذلك، فقال إذا قلتم ذلك فلم نتعتمدنا من أن نقول: إن عيسى ابن الله.

فقال رسول الله ﷺ: إنها لم يشتبها، لأن قولنا إن إبراهيم خليل الله قائمٌ هو مشتق من الخلقة

أو الخلة فأما الخلة قائمًا معناها الفقر والفاقة، وقد كان خليلًا إلى ربه فقيرًا، وإليه منقطعًا، وعن غيره متغفلاً معرضًا مستغنياً، وذلك لما أريد قذفه في النار فرمي به في المنجنيق فبعث الله تعالى جبرائيل ﷺ وقال له: أدرك عبدي، فجاءه فلقيه في الهواء فقال: كلفني ما بدا لك فقد بعثني الله لنصرتك فقال بل حسبي الله ونعم الوكيل، إني لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلا إليه؟ فسماه خليله أي فقيره ومحتجه والمنقطع إليه عمن سواه. وإذا جعل معنى ذلك من الخلة وهو أنه قد تخلل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان معناه العالم به وبأموره، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله؟ وإذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله؟ وأن من يلده الرجل وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده؟ لأن معنى الولادة قائم؟ ثم إن وجب لأنه قال: إبراهيم خليلي أن تقيسوا أنتم فتقولوا: إن عيسى ابنه وجب أيضًا أن تقولوا له ولموسى أنه ابنه، فإن الذي معه من المعجزات لم يكن بدون ما كان مع عيسى، فقولوا: إن موسى أيضًا ابنه، وإن يجوز أن تقولوا على هذا المعنى: إنه شيخه وسيده وعمه ورئيسه وأميره كما ذكرته لليهود. فقال بعضهم لبعض: وفي الكتب المترفة أن عيسى قال: أذهب إلى أبي، فقال رسول الله: فإن كتم بذلك الكتاب تعملون فإن فيه: أذهب إلى أبي وأبيكم، فقولوا: إن جميع الذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء الله كما كان عيسى ابنه من الوجه الذي كان عيسى ابنه، ثم إن ما في هذا الكتاب يبطل عليكم هذا الذي زعمتم أن عيسى من جهة الاختصاص كان أبنا له، لأنكم قلتם: إنما قلنا: إنه ابنه لأنه اختص به بما لم يختص به غيره، وأنتم تعلمون أن الذي خص به عيسى لم يخص به هؤلاء القوم الذين قال لهم عيسى: أذهب إلى أبي وأبيكم، فبطل أن يكون الاختصاص لعيسى، لأنه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى وأنتم إنما حكיתم لفظة عيسى وأولتموها على غير وجهها، لأنه إذا قال: أبي وأبيكم فقد أراد غير ما ذهبت إليه ونحلتموه، وما

يدريكم لعله عنى: أذهب إلى آدم أو إلى نوح إن الله يرعنى إليهم ويجمعنى معهم، وآدم أبي وأبيكم وكذلك نوح، بل ما أراد غير هذا، فسكت النصارى وقالوا: ما رأيناك كاليوم مجادلا ولا مخاصماً وستنظر في أمرنا.

### احتجاجه ﷺ على الدهرية:

ثم أقبل رسول الله ﷺ على الدهرية فقال: وأنتم فما الذي دعاكما إلى القول بأن الأشياء لا بدأ لها وهي دائمة لم تزل ولا تزال؟ فقالوا: لأننا لا نحكم إلا بما نشاهد ولم نجد للأشياء محدثاً فحكمتنا بأنها لم تزل، ولم نجد لها انقضاء وفناه فحكمنا بأنها لا تزال، فقال رسول الله ﷺ: أوجدتم لها قدمًا أم وجدتم لها بقاءً أبدًا؟ فإن قلتم: إنكم وجدتم ذلك أثبتتم لأنفسكم أنكم لم تزالوا على هيئتكم وعقولكم بلا نهاية ولا تزالون كذلك، ولئن قلتم هذا دفعتم العيان وكذبكم العالمون الذين يشاهدونكم، قالوا: بل لم نشاهد لها قدمًا ولا بقاءً أبدًا، قال رسول الله ﷺ: فلم صرتم بأن تحكموا بالقدم والبقاء دائمًا؟ لأنكم لم تشاهدوا حدوثها وانقضاءها أولى من ترك التمييز لها مثلكم، فيحكم لها بالحدث والانقضاء والانقطاع، لأنه لم يشاهد لها قدمًا ولا بقاءً أبدًا، أو لستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر؟ فقالوا: نعم، فقال: أفتر ونهما لم يزالا ولا يزالان؟ فقالوا: نعم، قال: أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار؟ فقالوا: لا، فقال ﷺ: فإذا ينقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جاريًا بعده، فقالوا: كذلك هو، فقال: قد حكمتم بحدث ما تقدم من ليل ونهار ولم تشاهدوهما فلا تنكروا الله قدرة ثم قال ﷺ: أتقولون ما قبلكم من الليل والنهار متناهٍ أم غير متناهٍ؟ فإن قلتم: غير متناهٍ فقد وصل إليكم آخر بلا نهاية لا أول له، وإن قلتم: إنه متناهٍ فقد كان ولا شيء منها، قالوا: نعم، قال لهم: أفلتم: إن العالم قديم غير محدث وأنتم

## ..... مباحث حول النبوات

عارفون بمعنى ما أقررت به وبمعنى ما جحدتموه؟ قالوا: نعم، قال رسول الله ﷺ: فهذا الذي نشاهد من الأشياء بعضها إلى بعض مفترق، لأنه لا قوام للبعض إلا بما يتصل به، كما ترى البناء يحتاجا بعض أجزائه إلى بعض وإلا لم يتتسق ولم يستحكم، وكذلك سائر ما نرى، قال: فإذا كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوته وتمامه هو القديم فأخبروني أن لو كان محدثاً كيف كان يكون؟ وماذا كانت تكون صفتة؟ قال: فقسمتوا وعلموا أنهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلا وهي موجودة في هذا الذي زعموا أنه قديم، فوجموا و قالوا: ستنظر في أمرنا.

### احتجاجه ﷺ على الشتوية:

ثم أقبل رسول الله ﷺ على الشتوية الذين قالوا: النور والظلمة هما المدبران فقال: وأنتم فما الذي دعاكم إلى ما قلتموه من هذا؟ فقالوا: لأننا قد وجدنا العالم صنفين: خيراً وشراً، ووجدنا الخير ضداً للشر، فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشيء وضده، بل لكل واحد منها فاعل، إلا ترى أن الثلج محال أن يسخن كما أن النار محال أن تبرد فأثبتنا لذلك صائعين قديمين: ظلمة ونوراً، فقال لهم رسول الله ﷺ: أفلستم قد وجدتم سواداً وبياضاً وحمرة وصفرة وزرقة؟ وكل واحد ضد لسائرها لاستحاللة اجتماع اثنين منها في محل واحد، كما كان الحر والبرد ضدان لاستحاللة اجتماعهما في محل واحد؟ قالوا: نعم قال: فهلا أثبتتم بعد كل لون صانعوا قديماً ليكون فاعل كل ضد من هذه الألوان غير فاعل الضد الآخر؟! قال: فسكتوا.

ثم قال: وكيف اختلط هذا النور والظلمة وهذا من طبعه الصعود وهذا من طبعه التزول؟ أرأيتم لو أن رجلاً أخذ شرقاً يمشي إليه والآخر غرباً يمشي إليه أكان يجوز أن يلتقيا ما داما سائرين على وجوهما؟ قالوا: لا، فقال: وجب أن لا يختلط النور والظلمة، لذهب كل واحد

منهما في غير جهة الآخر، فكيف حدث هذا العالم من امتراج ما محال أن يمترج؟ بل هما مدبران جميعاً مخلوقان، فقالوا: ستنظر في أمرنا.

احتجاجه ﷺ على مشركي العرب:

ثم أقبل على مشركي العرب وقال: وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نقرب بذلك إلى الله تعالى فقال: أو هي سامعة مطيعة لربها، عابدة له، حتى تتقربوا بتعظيمها إلى الله؟ فقالوا: لا، قال: فأنتم الذين نحتموها بأيديكم فلأنّ تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أخرى من أن تعبدوها إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم والحكيم فيما يكلفكم، قال: فلما قال رسول الله ﷺ هذا اختلفوا فقال بعضهم: إن الله قد حل في هيكل رجل كانوا على هذه الصور فصورنا هذه الصور نعظمها لتعظيمنا تلك الصور التي حل فيها ربنا.

وقال آخرون منهم: إن هذه صور أقوام سلفوها كانوا مطيعين لله قبلنا، فمثلنا صورهم وعبدناها تعظيمها لله.

وقال آخرون منهم: إن الله لما خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود له كنا نحن أحق بالسجود لأنّ من الملائكة، ففاتنا ذلك فصورنا صورته فسجدنا له تقبلاً إلى الله تعالى كما تقربت الملائكة بالسجود لأنّه تعالى، وكما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكة ففعلتم، ثم نصبتم في ذلك البلد بأيديكم محاريب سجديتم إليها وقصدتم الكعبة لا محاريبكم، وقصدكم بالكعبة إلى الله عزّ وجلّ لا إليها.

قال رسول الله ﷺ: أخطأتم الطريق وضللتكم، أما أنتم وهو يخاطب الذين قالوا: إن الله

يحل في هياكل رجال كانوا على هذه الصور التي صورناها، فصورنا هذه نعظّمها لتعظيمنا لتلك الصور التي حل فيها ربنا - فقد وصفتم ربكم بصفة المخلوقات، أو يحل ربكم في شيء حتى يحيط به ذلك الشيء؟ فأي فرق بينه إذن وبين سائر ما يحل فيه من لونه وطعمه ورائحته ولينه وخشونته وثقله وخفته؟ ولم صار هذا محلول فيه محدثاً وذلك قدّيما دون أن يكون ذلك محدثاً وهذا قدّيما؟ وكيف يحتاج إلى المحال من لم يزل قبل المحال وهو عَزَّ وَجَلَّ كما لم يزل؟ وإذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال أما ما وصفتموه بالزوال والحدوث فصفوه بالفناء لأن ذلك أجمع من صفات الحال والمحلول فيه وجميع ذلك يغير الذات، فإن كان لم يتغير ذات الباري عَزَّ وَجَلَّ بحلوله في شيء جاز أن لا يتغير بأن يتحرك ويسكن ويسود ويبيض ويحمر ويصفر وتحفه الصفات التي تتعاقب على الموصوف بها حتى يكون فيه جميع صفات المحدثين ويكون محدثاً - عَزَّ الله تعالى عن ذلك - ثم قال رسول الله ﷺ: فإذا بطل ما ظنتموه من أن الله يحل في شيء فقد فسد ما بنيتم عليه قولكم، قال. فسكت القوم وقالوا: ستنظر في أمورنا.

ثم أقبل على الفريق الثاني فقال: أخبرونا عنكم إذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم له وصلّيتם فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الذي أبقيتم لرب العالمين؟ أما علمت أن من حق من يلزم تعظيمه وعبادته أن لا يساوى به عبده؟ أرأيتم ملكاً أو عظيماً إذا ساويتموه بعيده في التعظيم والخشوع والخضوع أيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير؟ فقالوا: نعم، قال: أفلا تعلمون أنكم من حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له تزرون على رب العالمين؟ قال: فسكت القوم بعد أن قالوا: ستنظر في أمورنا.

ثم قال رسول الله ﷺ للفريق الثالث: لقد ضربتم لنا مثلاً وشبهتمونا بأنفسكم ولا سواء،

وذلك لأننا عباد الله مخلوقون مربوبون نأتمر له فيما أمرنا، وننجزر عما زجرنا، ونعبده من حيث يريده منا، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعنه ولم نتعد إلى غيره مما لم يأمرنا ولم يأذن لنا، لأننا لا ندرى لعله أراد منا الأول وهو يكره الثاني، وقد نهانا أن نتقدم بين يديه، فلما أمرنا أن نعبده بالتوجه إلى الكعبة أطعنا ثم أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها فيسائر البلدان التي تكون بها فأطعنا، فلم نخرج في شيء من ذلك عن اتباع أمره، والله عز وجل حيث أمرنا بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره فليس لكم أن تقيسوا بذلك عليه، لأنكم لا تدرؤن لعله يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به؟ ثم قال لهم رسول الله: أرأيتم لو أذن لكم رجل في دخول داره يوماً بعينه ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره؟ أو لكم أن تدخلوا داراً له أخرى مثلها بغير أمره؟ أو وهب لكم رجل ثوباً من ثيابه أو عبده من عبيده أو دابة من دوابه ألكم أن تأخذوا بذلك؟ فإن لم تأخذوه أخذتم آخر مثله قالوا: لا، لأنه لم يأذن لنا في الثاني كما أذن لنا في الأول، قال: فأخبروني: الله أولى بأن لا يتقدم على ملكه بغير أمره أو بعض الملوكين؟ قالوا: بل الله أولى بأن لا يتصرف في ملكه بغير إذنه، قال: فلم فعلتم، ومتى أمركم أن تسجدوا لهذه الصور؟ قال: فقال القوم: ستنظر في أمرنا وسكتوا.

### قوة الإقناع في الرأي:

وقال الصادق عليه السلام: هو الذي بعثه بالحق نبأ ما أتت على جماعتهم إلا ثلاثة أيام حتى أتوا رسول الله عليه السلام فأسلموا، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً من كل فرقه خمسة وقالوا: ما رأينا مثل حجتك يا محمد، نشهد أنك رسول عليه السلام:

وقال الصادق عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: فأنزل الله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ ﴿١﴾ فكان في هذه الآية ردًا على ثلاثة أصناف منهم، لما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فكان رد على الدهرية الذين قالوا: الأشياء لا بدأ لها وهي دائمة، ثم قال ﴿وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ﴾ فكان ردًا على الشتوية الذين قالوا: إن النور والظلمة هما المدبران، ثم قال: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾ فكان ردًا على مشركي العرب الذين قالوا: إن أوثنانا آلهة، ثم أنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ﴾<sup>(١)</sup> إلى آخرها، فكان ردًا على من ادعى من دون الله ضدًا أو ندا.

قال: فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: قولوا: «إياك نعبد» أي نعبد واحدًا لا نقول كما قالت الدهرية: إن الأشياء لا بدأ لها وهي دائمة، ولا كما قالت الشتوية الذين قالوا: إن النور والظلمة هما المدبران، ولا كما قال مشركي العرب: إن أوثنانا آلهة، فلا نشرك بك شيئاً، ولا ندع夷 من دونك إلهاً كما يقول هؤلاء الكفار، ولا نقول كما قالت اليهود والنصارى: إن لك ولدًا، تعاليت عن ذلك.

قال: فذلك قوله: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَحْدًا وَنَحْنُ لَهُ مُنَحْنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> الحديث.

وهذه المحاججة هي محور المحاضرات في كافة أجزاء هذه الموسوعة الاعتقادية وبعض منها بنيت عليه ابحاث هذا الجزء من هذا الكتاب.

١٣ / ربيع الأول / ١٤٣٦ هـ  
حarith العذاري

والله تعالى الموفق للسداد وبه نستعين.

(١) سورة الأنعام: الآية ١.

(٢) سورة الإخلاص: الآية ١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١١١.

## مدخل

إن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً، بل خلقهم لغاية فليس من عبث في ساحة الكريمية واجدهم مصلحة تعود عليهم بالنفع قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup> ومن هنا شاء بطشه أن يرسل إليهم من يوضح لهم سبيل الوصول إلى غايتها تعالى من خلقهم ﴿إِنَّا لَكُونَنَا لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾<sup>(٢)</sup> ومن ثم ان البشر لا يستطيعون بعقولهم ادراك تلك السبل فهذا لا يتم إلا ببعث الأنبياء.

وفي التجربة المتواترة عبر الأجيال الناس مختلفون في أهوائهم وطبائعهم وآرائهم ويكثر بينهم الخلل وظلم القوي للضعيف فتركهم بلا نظام عادل متكامل يؤدي إلى اختلال النظام وخراب حياتهم الدنيا فضلاً عن ضياع هدفهم الحقيقي في الآخرة.

ولازالت البشرية عبر البحث والتنقيب تسعى للوصول إلى معرفة الصواب في كافة جوانب حياتها ومع ذلك تتواتي الزلات والخطاء الذي ربما يتدارك شيء منه بالتعديل والتبديل وفي كل مرة ثبتت البشرية عجزها عن ايجاد قانون سليم يضمن حقوقها ويحدد واجباتها افراداً

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٥.

وجماعات من هنا فلابد ان يكون الله تعالى هو المرجع الوحيد في التقنين لأنه أعرف من الناس كلهم بما يصلحهم وما يفسد لهم ﴿وَمَنْ أَحَسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> وهو العالم بحقائق الأشياء.

ان المحاججة النبوية المبحوث بها معهم كانت في جوهرها العام حول تنوع الاديان واختلافها وهذا يستتبع بطبيعته الحديث عن الانبياء وقد وصل بنا الكلام الى ابحاث النبوة فنقول:

أن دعوات الأنبياء إنما هي رحمة وليس دعوات نعمة ولا بطش ولا سطوة، لأنه ليس من هدفهم الغلبة والانتقام والتشفي والبطش والتعالي او تحقيق المصالح الذاتية والشخصية، وإنما يتجزئ إلى تلك الأساليب من تكون غاياتهم مثل تلك الأمور، أما من يهدف إلى هداية البشر والعناية بهم والرحمة بهم فهو بالتالي بالعكس سيكون كالطبيب المداوي وليس مهاجم قاتل أو مهلك، ففرق بين منطلق منهاج السماء ومشروع الأديان السماوية وبين الدعوات الأخرى الأرضية أو المادية التي لا ترتكز على الحوار بقدر ما هو وسيلة في تطوير الطرف الآخر وإخضاعه تحت النفوذ والقدرة لأن المهدى الغلبة والسيطرة، وهذا بخلاف منهاج السماء الذي ليس المهدى منه السطوة والبطش والنعمة.

بل ان اصل خلق الخلق في دار الدنيا هو لأجل الامتحان لنيل القرب من الله او البعد عنه فيإرادة و اختيار يمتحن الله البشر من دون إلقاء وإرهاب، وقد يستخدم مشروع السماء ذلك لكنه ليس هو الحالة الطبيعية الأولية في منهاج السماء على عكس ما يقوله مبشر و النصارى اليوم،

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٠

فالحالة الأولية لمناهج السماء دوما هو اعتماد الحوار والهداية، وإنما القصاص والحدود فهي حالات استثنائية، بخلاف الدعوات المادية فأأن منهاج الأولي هو استخدام القوة والإرهاب وما الحوار إلا لتسهيل الوصول إلى نفس المقصود، ويقول تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا يَعْبُدُونِ﴾ أي ليعرفون ولি�تعلمون ويتحاورون معهم ويجاججهم وهذا شيء فارق بينه وبين أن يقاتلون فهو شيئاً آخر إذاً الفرق واضح بين المنهاجين.

وكان بناء كفار قريش أن دعوة النبي هي شبيه بدعة أصحاب الملك والسيطرة وبسط النفوذ وتوسيتها، كلا ليس الأمر كذلك وإنما يراد منها الاحتجاج والحوار والتعليم «ليحيى من حي عن بيته ويهلل من هلك عن بيته»، لذلك الرسول في حروبه وأمير المؤمنين وسيد الشهداء كانوا يقولوا شعار «أكره أن أبدأهم بالقتال» مع أنه وفق الظروف الموضوعية من السائع له قتالهم وأغلبه كان لرد العدوان والسيطرة لكن مع ذلك يؤكدون على الحوار والاحتجاج لكي تتم الحجة البالغة ومن هنا فالقتال أسلوب استثنائي.

وسيمり في الحديث القدسي لخطبة الغدير «ما كنت لأدع خلقي بلا علم وحججة بيني وبين خلقي» فالعلم يعني السفير وال وسيط بين الله وخلقه «لا اترك ارضي بغيرولي ولا قيم ليكون حجة في أرضي على خلقي» فالمراد من العلم يعني معلم اتصال وارتباط بين الخلق والخلق وعدة عبارات قد وردت بهذا التعبير، فالعلم هو المعلم الذي يؤدي إليه الناس ويهتدون به عندما يريدون الهداية فإذاً أي استفسار أو أي استمداد أو أي سؤال منهم وطلب منهم عن الهداية إلى سبيل الله لابد من وجود موضع ومأوى يرجعون إليه ويأخذون منه الهداية والإجابة، وهو مثل معالم الطريق فإذا أراد الإنسان طريقا معينا فإنه ينظر إلى المعالم التي تؤدي إلى ذلك الطريق أو

الغاية ولذلك يعبر «ليقيم عليا للناس علما ويلغهم ما انزل الله في علي».

ونحن هنا سنخوض مع القارئ الكريم بمجموعة من الابحاث المتعلقة بالنبوات والانبياء ضمن اجواء تلك المحاججة النبوية ومنه تعالى نستمد العون والسداد:

## **المبحث الأول: وساطة البشر بين الباري تعالى وخلقه**

هذا المقطع من احتجاج النبي ﷺ مع قريش «ثم قال له رسول الله ﷺ وأما قولك لي ولو كنت نبياً لكـانـ مـعـكـ مـلـكـ» فأحد محاور الاحتجاجات بين كفار قريش وسيـدـ الأنـبـيـاءـ يـأـتـيـ عـلـيـهـ النـبـيـ ﷺ في كل مقطع من كلامـهـ «بلـ لـوـ أـرـادـ اللهـ أـنـ يـعـثـ أـلـيـنـاـ نـبـيـ لـكـانـ أـنـمـاـ يـعـثـ مـلـكـ لـاـ بـشـرـ مـثـلـنـاـ» وهذا يـبـيـنـ لـهـ النـبـيـ ﷺ أـنـ القـابـلـيـةـ غـيرـ مـوـجـوـدـةـ فـيـ توـسيـطـ الـمـلـكـ مـعـ الـبـشـرـ، وهذا بـحـثـ عامـ فـيـ مـبـاحـثـ الـأـدـيـانـ وـاـنـهـ لـمـ جـعـلـ الـبـارـيـ تـعـالـيـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـبـشـرـ وـسـاطـةـ بـشـرـ، وهذا بـحـثـ ليسـ خـاصـ بـسـيـدـ الـأـنـبـيـاءـ بلـ سـؤـالـ يـبـرـزـ فـيـ عـمـومـ الـرـسـلـ وـكـأـنـمـاـ هـذـاـ أـلـشـكـالـ عـامـ مـعـ الـرـسـلـ وـاـنـهـ الـبـارـيـ لـمـ يـرـسـلـ مـلـكـاـ، وـهـذـاـ لـيـسـ خـاصـ بـوـاسـطـةـ الـرـسـلـ مـعـ الـبـشـرـ فـيـ دـارـ الدـنـيـاـ بلـ هـذـاـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـقـرـرـهـ أـنـهـ عـامـ فـيـ وـسـاطـةـ الـرـسـلـ مـعـ الـأـمـمـ فـالـوـسـطـاءـ الـبـشـرـيـنـ بـيـنـ اللهـ وـبـيـنـ الـبـشـرـ حـتـىـ فـيـ عـوـالـمـ عـدـيـدـةـ كـمـ سـنـسـتـعـرـضـ الـفـقـرـاتـ الـتـيـ يـقـرـرـهـ النـبـيـ، كـأدـلـةـ لـضـرـورـةـ وـسـاطـةـ بـشـرـ بـيـنـ الـبـارـيـ تـعـالـيـ وـالـبـشـرـ، لـنـفـرـضـ بـذـلـكـ عـالـمـ الـبـرـزـخـ وـفـيـ الـرـوـاـيـاتـ حـتـىـ فـيـ عـالـمـ الذـرـ أوـ الـمـيـثـاقـ وـالـعـوـالـمـ السـابـقـةـ كـانـ الـوـاسـطـةـ بـيـنـ الـبـارـيـ تـعـالـيـ وـبـيـنـ الـرـسـلـ وـالـبـشـرـ وـهـوـ سـيـدـ الـأـنـبـيـاءـ ﷺ، ولـدـيـنـاـ رـوـاـيـاتـ مـثـلاـ أـنـ أـنـوـارـ الـخـمـسـةـ أـوـ الـأـرـبـعـةـ عـشـرـ كـانـواـ وـسـطـاءـ بـيـنـ الـبـارـيـ تـعـالـيـ وـالـمـلـائـكـةـ حـتـىـ الـمـقـرـبـيـنـ مـنـهـمـ وـمـضـمـونـ تـلـكـ الـرـوـاـيـاتـ «كـبـرـنـاـ فـكـبـرـتـ الـمـلـائـكـةـ وـسـبـحـنـاـ فـسـبـحـتـ الـمـلـائـكـةـ وـهـلـلـنـاـ فـهـلـلـتـ الـمـلـائـكـةـ» فـمـنـ ذـلـكـ عـلـمـواـ كـيـفـ هـيـ عـبـادـةـ اللهـ تـعـالـيـ.

عن صفوان الجمال قال:

«دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: فتلقي آدم من ربه كلمات كتاب عليه إنه هو التواب الرحيم. ثم التفت إلى فقال: يا صفوان إن الله تعالى ألم آدم عليه أن يرمي بطرفه نحو العرش، فإذا هو بخمسة أشباح من نور يسبحون الله ويقدسونه، فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم صفوتي من خلقي، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار، خلقت الجنة لهم ولمن والاهم، والنار لمن عاداهم. لو أن عبداً من عبادي أتى بذنب كالجبار الروسي ثم توسل إلى بحق هؤلاء لعفوت له.

فلما أن وقع آدم في الخطيئة قال: يا رب بحق هؤلاء الأشباح اغفر لي، فأوحى الله عز وجل إليه: إنك توسلت إلى بصفوتي وقد عفوت لك. قال آدم: يا رب بالمغفرة التي غفرت إلا أخبرتني من هم. فأوحى الله إليه: يا آدم هؤلاء خمسة من ولدك، لعظيم حقهم عندي اشتقت لهم خمسة أسماء من أسمائي، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا الأعلى وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، وأنا الإحسان وهذا الحسين»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا فالأنبياء ومن قبلهم سيد الانبياء والآله هم واسطة بين الله تعالى وخلقه في نقل الشرائع وايصال الدين إليهم وهذه الوساطة جاءت وفق مقدامات حصل عليها أولئك العباد العظام في القرب من الله تبارك وتعالى.

ومن لطف الله تعالى بعباده أنه تعالى أخبر على لسان الأنبياء والرسل بما يريده من عباده قبل

(١) شرح الأخبار ج ٣ ص ٥١٤.

القيامة وعن هيب النار ونعيم الجنة، وأخبر عن الشيطان والإخبار بالغيب حجة بذاته، وبه يمتحن الله تعالى عباده، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًاٍ بِالْبُيُّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحُدْدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ويرى بعض اهل المعرفة ان الفيض الإلهي تام وفوق التماميه لأن الله ( دائم الفضل على البرية وباسط اليدين بالعطية) ولكن ينبغي أن يتوفّر الاستعداد لقبول الفيض الإلهي، وتلك القابلية إنما وصلت إلى مستوىها عبر شخصوص الانبياء والمعصومين ثم ان استنزل الفيض الاعلى كان للنبي ﷺ بعد وصوله إلى مقام العبودية التام يقول سبحانه وتعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٢) سورة الفرقان: الآية ١.



## **المبحث الثاني: المعجزة**

### **الاتجاه الأول: محاور أساسية من بحث المعجزة**

بحث المعجزة من الابحاث المهمة في الاديان عموماً والاسلام خصوصاً ويمكن لنا الحديث من خلال مجموعة من المحاور وفي اجزاء المحاججة المبحوثة عن النبي ﷺ:

#### **المحور الأول: تعريف المعجزة:**

يقول النبي ﷺ «بل إنما بعث بمرا واظهر على يديه المعجزات التي ليست في طبائع البشر قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عما جاء به انه معجزة» وهذه العبارة لعله هكذا تقرأ «الذين قد علمتم بضمائر قلوبكم» أي بوجدانكم أو علمتم أي ضمائر قلوبكم، ويمكن أن يكون المعنى أي علمتم أنتم باطن قلوب البشر باعتبار تشاهدون أنفسكم فتستعلمون باطن الآخرين بعلامات ما تشاهدونه في أنفسكم، «فتعلمون بعجزكم عما جاء به انه معجزة وان ذلك شهادة من الله بالصدق له» بان امكانه من ذلك «ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدللكم على أن في ذلك ليس في طباع سائر أجناس الملائكة» إذاً الملائكة بعضهم سفراء وبعضهم ليسوا بسفراء وحينما لا تميزون فان هذا عجز فيكم وليس من دليل على انه معجزة خاصة به دون غيره، وهذا تعريف دقيق للمعجزة.

فالمعجزة إنما يصدرها الباري على يد السفير منه بحيث يعجز أبناء جنسه عن ذلك، أما إذا صدر بعضه من الجن فان الجن يستطيعون ذلك، وفي قوله ﴿أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾<sup>(١)</sup> فهذا مثلاً عنده طي الأرض. وهناك زاوية أخرى في المعجزة وهي هل العجز الذي يأتي به صاحب المعجزة من الله يعجز عنه جميع أجناس المخلوقات؟.

### المحور الثاني: تفريق المعجزة عن قدرة الجن:

الجن يستطيعون أن يأتوا بشيء يعجز عنه البشر ومع ذلك عملهم لا يسمى معجزة، لأن هذه هي طبيعة الجن، وهذا الامر مما يغرس به أصحاب الدجل والخيالة والنصب والغواية - فيدعون بمدعيات ويأتون ببعض الخروقات عبر الجن ويظن الساذج بأن هذا البشر - الدجال - يمتلك قدرة خفية ومن ثم يشتبهون انه حيث يعجز عنه بقية البشر فهذا صاحب دعوة صادقة، بل إنما أتى بذلك الجن أو العفاريت أو الشياطين وهم يستطيعون أن يأتوا بأفعال لا يختصون بها من بين أبناء جنسهم ولكن يعجز عنها البشر ، وهنا ينبغي أن نعرف أفعال الجن والشياطين والجن وقد ذكرها القرآن الكريم فإنها أفعال مهولة، والقرین قد أثبته القرآن في سورة (ق)، ومعنى القرین يعلم ملف أعمالك من الصغر إلى آلان، وليس معنى ذلك أن هذا معجزة، أو أن الجن حينما يستطيعون أن يسترقون السمع ولكن أكثرهم كاذبون وهذا يدلل أن لهم نسبة من الصدق ولو قليلة ولكن تمتزج بالكذب أما من جهة أغليمة الاخبارات أو جهة أغليمة الإفراد من الشياطين.

المعجزة لها عدة حدود وزوايا إذا لم تستكملاها سيختلط حالها وربما يدلس بين المعجزة

(١) سورة النمل: الآية ٣٩.

وغير المعجزة من شعوذة أو شعبدة أو أفعال سحر. نعم المعجزة أن يعجز عنها جميع المخلوقات من الثقلين، لأنها مورد التكليف.

فالمقصود هنا ما يقع فيه عامة الناس من السذاجة انه يظنون أفاعيل العفاريت أو الجن أنها معاجز بينما النبي ﷺ هنا يسلط الضوء على ذلك، وهذا أمر أدياني منذ القدم حيث تقع الناس في فخاخه إلى يومنا هذا ولا يلتفتون إلى ذلك.

### المحور الثالث: استمرار الحاجة لمعرفة حقيقة المعجزة:

ان بحث تعريف المعجزة غير مختص بزمان دون زمان، لأننا نحن في هذا الزمان وما يأتي من زمان بحاجة إلى تقرير تعريف المعجزة لكي يستبينوا منها صدق سيد الأنبياء وصدق أولو العزم وصدق بقية الأنبياء والرسل، مثلاً صالح له ناقة خرجت من الجبل والنبي عيسى يحيى الموتى وموسى تتبدل عصاه إلى حية، فهذه المعاجز التي أتى بها الأنبياء السابقين تعريفها كمعجزة يحتاج إليها كل أجيال البشر، وهذا من البحوث الوعرة، فنحتاج ان نميز المعجزة عن أصحاب والدجل والنصب، بل أكثر من ذلك وهي كيف نميز بين المعجزة والكرامة، مثلاً نرى جماعة من الصالحة تظهر منهم كرامات فهذا الصالح أو التقى والمؤمن لا يريد أن يحتال أو ينصب لكن الآخرين من سذاجتهم يتلقون هذه الكرامة كمعجزة وبالتالي يقتصون هذا الصالح أو التقى أو المؤمن يقتصونه مناصب معينه في الحجية وبالتالي يتلقون كل سلوكياته كحججه من الحجج وهو برئ عن ذلك لكن الآخرين يقتصونه ذلك الشيء وربما يموت ولكن تبقى كل سلوكياته مضرب مثل كميزان الحجة فهذه سذاجة من الآخرين وليس منه، وهذه الحالة تحصل كثيراً.

اذن التفريق وتبين كل شيء بحدوده امر لازم حتى لا تختلط الاوراق وتنقض او تتبادر الحقائق.

#### المحور الرابع: المعجزة ليست القدرة على المحال الذاتي:

«وأنا يؤتى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الإيمان لا ليهلكوا بها فان ما اقترحت هلاكك و رب العالمين ارحم من عباده لأنفسهم واعلم بمصالحهم من أن يهلكهم كما يقترحون» وهذا مثل رب الأسرة فالطفل يطالب بالانتحار ووالده يمنعه ويخاف عليه أكثر من نفسه، «ومنها الحال الذي لا يصح» وهذه كلها حدود وضوابط المعجزة يبينها النبي ﷺ « ولا يجوز كونه ورسول رب العالمين» فبعضهم يفسر المعجزة هي القدرة على المحال وهذا من الأخطاء في تعريف المعجزة.

المعجزة ليس القدرة على المحال بل المعجزة على ما يعجز عنه البشر وبقي المخلوقات لا على المحال الذاتي، إذاً المحال هو بلحاظ قدرة البشر لا المحال الذاتي الذي هو ليس تعريف للمعجزة، وبعض الملل والنحل القديمة تعرف المعجزة بالقدرة على المحال الذاتي وهذه نكتة مهمة، «ورسول رب العالمين يعرفك ذلك ويقطع معاذيرك ويضيق عليك سبيل مخالفته ويلجئك بحجج الله إلى تصديقه» الاتجاء هنا علمي لا تكويني فهو يسد باب الشك ويبين اليقين، «حتى لا يكون لك عنه محيد ولا محيسن» إذاً ضابطة المعجزة ليس هو المحال الذاتي وإنما البرهان واليقين يسد عليك أن هذه ممكن أن يقدر عليها البشر أو محتمله فيسد عليك الاحتمال لا انه يوجد لك المحال والفرق بينهما واضح بالتأمل.

### المحور الخامس: من شروط المعجزة:

إن الشرط الذي يبيّنه ﷺ في المعجزة هو أن يكون من تظهر على يديه المعجزة من إفراد بني البشر كي يتبيّن بقية بني جنسه ونوعه أن هذا الفعل لا يمكن أن يصدر بأسباب طبيعية أو حالة اعتيادية، ولذلك لو صدر الفعل من غير بني الإنسان كالجبن مثلاً لما أمكن إحراز أو استكشاف أن هذا الفعل معجزة، باعتبار أن الجنس الآخر كالجبن أو الملائكة لا يطبع البشر على قدراتهم وأفعالهم كي يكون هذا الفعل من ذلك الفرد خارج عن قدرة الجن أو الملائكة، فتمييز المعجزة لو صدرت من غير بني الإنسان يكون تمييزها من قبل بني الإنسان صعب، وهذا بخلاف ما لو صدرت من بني الإنسان فان تمييزها يكون خارق للعادة بنحو أبين، وهذا الشرط لا ينافي وجود شرط آخر من قبيل أن الفعل لا يصدر من بني الجن أو مخلوقات أخرى، ولنفترض أن المدهد له قدرة على اكتشاف الآثار الارتوازية وشامة الكلب لها خواص وسامعة بعض الحيوانات لها خواص فهذه خارجة عن قدرة الإنسان ولكن ليس خارجة عن قدرة المخلوقات الأخرى، وهذه التفاته مهمة لابد من اشتراطها بنحو يتميّز لنا أن الفعل هل صدر من الإنسان مباشرة أو استعان بمخلوق آخر، وقد يكون هذا الفعل وإن كان غير اعتيادي أو طبيعي من الإنسان لكنه طبيعي من المخلوق الآخر.

### المحور السادس: اختصاصها بما يعجز عنه بني جنسه:

قال ﷺ: «ولو شاهدتموه» يعني الملك وأردتم أن يكون الوسيط ملك بينكم وبين الله «بان يزاد في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكا بل هذا بشر لأنها يظهر لكم بصورة البشر الذي قد الفتموه لتفهموا عنه مقالته» أي لابد أن يظهر لكم بصورة البشر كأنما يجادل

ويتحاور معكم «وتعرفوا خطابه ومراده» لأنكم في قالب البشرية ولا تستطيعون أن تتعاطوا في الخطاب والكلام إلا بطريقة الآلة الموجودة في جسمكم وكيانكم «فكيف كتم تعرفون صدق الملك وإنَّ ما يقوله حق» لا يمكن لأنَّه يشبه لكم بالبشر ومن قال أنَّ هذا الملك ما عنده ليس عند بقية الملائكة «بل إنما بعث الله بشرًا وأظهر على يده المعجزات التي ليست في طباع البشر الذين قد علمتم صفات قلوبهم فتعلمون بعجزكم أنَّ ما جاء به معجزة وإنَّ ذلك شهادة من الله بالصدق له ولو ظهر لكم ملك وظهر على يديه ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلُّكم على أنَّ ذلك ليس في طباع سائر أجناسه من الملائكة» وبالتالي لا يتحقق الشرط المهم في المعجزة وهو تميُّزه واحتضانه بما يعجز عنه بنى جنسه.

#### المحور السابع: قيدان يضعهما النبي ﷺ للمعجزة:

يبين النبي ﷺ قيدين لمعجزة (مع أنَّ المعجزة لها عدة قيود وشروط)، ولكنَّ الآن هو في صدد التركيز على هذين القيدين لرد شبهة قريش:

#### القيد الأول:

إنَّ الفعل صادر منه لا من أعون آخرى من أجناس أخرى من المخلوقات بل منه هو، وهذا الأمر يلتبس على كثير من عامة البشر فانَّ الكثير يظن أنَّ ما يصدر من الساحر وغيره انه صادر منه الحال انه صادر من الجن أو الشياطين.

#### القيد الثاني:

انه يصدر منه بنحو تميُّز بغير ما يصدر من الملك، لأنَّ ما يصدر من الملك ليس هناك

وسيلة لتعرفنا أن هذا صادر من الملك المتميز عما يمكن أن يصدر عن بقية الملائكة، لأننا لا نعيش حياة الأجناس الأخرى من الملائكة فحيث لا نعيشها لا نعلم بأن الذي صدر على يد هذا الملك لا يصدر عن بقية الملائكة، فإذاً من شرائط الإعجاز أن يصدر هذا الإعجاز منبني البشر ولا يصدر من يستعين بهم من أجناس مخلوقة أخرى وإنما ليس هذا فعله وممكن الله منه ليعجز عنه الآخرين بل كل من أمكنه أن يتصل بتلك الأجناس يمكن أن يستصدر ذلك الفعل، والأمر الآخر هو أن يصدر من بشر لا من ملك ولو كان يصدر من ملك لما أمكن التعرف على سبيل أن هذا الفعل يصدر منه خاصة دون بقية إفراد وأنواع جنس الملائكة.

#### المحور الثامن: تميز مهم في معجزة إبراد النار لإبراهيم عليه السلام:

قد يقال بالنسبة إلى النبي إبراهيم عليه السلام عندما جعلت له النار بردا وسلاماً ملئ يسند هذا الفعل هل لإبراهيم أم إلى الملك؟ والجواب الفعل ابتداء لا يسند إلى الملك، مثلاً الموت يسند إلى الباري تعالى ويُسند إلى ملك الموت ويُسند إلى الملائكة الذين هم أعون ملك الموت ولكن نسبة إصدار الفعل من الله عز وجل أنه هو أقدر عزرايل وأجرى الفعل على يديه وعزرايل عندما يُسند الفعل إليه ولو بتوسيط أعوانه فالفعل يناسب إلى عزرايل لأن عزرايل هو يقدر أعوانه بما أقدر الله عز وجل فنسبته إلى عزرايل أشد من نسبته إلى الأعون الذين يباشرون الجذب، وفي باب النفس مثلاً يُسند الكتابة إلى اليد أو النظر إلى العين لكن نسبته إلى الإنسان أقوى من نسبته إلى العين مع أن العين هي التي تباشر النظر، لأنه بمدد وهيمنة من ذات النفس بمراتبها العليا، وفي بحث الكاهن والساخر لا يكون الجن والعفاريت والشياطين آلة وأداة بل ذات الساحر والكافر هو يكون أداة وآلة للشياطين والعفاريت

لذلك السحرة والكهنة لا يستطيعون أن يخططون مراسيم معينة يملئها عليهم رؤساء الشياطين لو تخططاها تصييدهم الهمزة وما شابه ذلك، وهذا ما يعبر عنه القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرَجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا﴾<sup>(١)</sup>.

#### المحور التاسع: ارتباط المعجزة ب أصحابها:

قد تشاهد بعض الكرامات تصدر من النبي ﷺ تشاهدتها عند بعض الأولياء كسلمان واويس وأبو ذر وعمار وغيرهم من الأولياء وبعضها لا يستطيع لها إلا المعصومين، وحتى المعصومين يتفاوتون في ظهور القدرة على الإعجاز ويتفاوتون في اظهار الأقدار على الإعجاز، لذلك معجزة سيد الأنبياء تختلف عن بقية الأنبياء وهذه ترتبط بمكانة نفس الشخص، بعبارة أن الفعل الخارق أن كان معجزة أو غير معجزة يرتبط بالفاعل وصفاته ومكانته، مثلاً ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ وهذا يعني أنه يوجد غير الكتاب وإلا يوجد حم ﴿وَالْكِتَابُ الْمُبِينِ﴾ فان حم من أسماء النبي ﷺ و(يس) من أسماء النبي ﷺ فهذه خواص للنبي ﷺ دون بقية المعصومين ومنها أيضاً ﴿الْمَذِلَّةُ الْكِتَابُ﴾ اسم للنبي و(طه) وهذه كلها صفات غريبة للنبي ﷺ مختص هو بها دون المعصومين وهذا غير الكتاب، إذاً المعجزة لها ارتباط وثيق بصاحب المعجزة صفةً ومكانةً ومقاماً واقتداراً، ومن ثم أصحاب الشعبنة والسحر دوماً أفعالهم بقدرهم ولا يمكن أن تفرض أنها معجزة، وللطيف أن النبي ﷺ يربط هذه الأفعال الخارقة بسابقة الإنسان نفسه كيف تكون ولا حقتها كيف ستكون.

(١) سورة الجن: الآية ٦.

### المحور العاشر: شرط الافهام هدف للمعجزة:

يقول ﷺ «ولو شاهدتموه بان يزداد في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكا بل هذا بشر» أن من أحد شرائط المعجزة يذكره النبي ﷺ بقوله «لأنه إنما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي قد ألفتموه لتفهموا عنه مقالته وترعوا خطابه ومراده» فلا بد ان يكون في المعجزة عامل تناطح وتفاهم مع المتلقى وليس أغاز ولا أن يغم ويبيهم الأمر على الطرف الآخر فهذا ليس هدف المعجزة فان هدف المعجزة هو الإفهام حتى تتم الحجية فيها.

«فكيف كتمت علمون صدق الملك وإن ما يقوله حق بل إنما بعث الله بشرا واظهر على يديه المعجزات التي ليست في طباع البشر» وهذه من مقومات المعجزة وهو أن التناطح والتواصل والتفاهم لابد أن يكون من عنده، وغرض المعجزة الذي تتوجه وهو أن يتابع صاحب المعجزة في مشروعه الإصلاحي السماوي، بينما عكسه صاحب السحر والكهانة، وسيذكر النبي ﷺ الفرق بين السحر وبين المعجزة، حيث يقول «هلرأيت لي خزية قط أو زلة أو كذبة أو خيانة أو خطأ من القول أو سفها من الرأي» ألا ترون هذه العصمة طيلة أربعين سنة فانه لا يمكن للإنسان من نفسه أن يعصم عن ذلك، وهذا فرق المعجزة في مسار صاحبها عن مسار الساحر، فان مسار صاحب المعجزة عنده هدف ورسالة والتزام حقيقي بما يقول ويتهج.

### المحور الحادي عشر: المعجزة تحدى البشرية إلى يوم القيمة:

والآن نواصل حوار النبي ﷺ مع مشركي قريش فان الاقتراحات التي قدمتها قريش ليست مدرورة ولم تكن مبنية على ضوابط وموازين وإنما هي مجرد اقتراح فيقول النبي ﷺ أن هذه الاقتراحات منها ما لو جاءك به لم يكن برهانا لنبوته مثل تفجير اليابس ف قال لهم أليس

في الطائف من فجر اليابس قالوا نعم فقال هل تدل هذه على نبوته؟، إذاً هذه ليست معجزة فمجرد بعض الأفعال فيها نعمة أو كرامة ليس يعني أنها واجدة لشرط أو ل Maheriyah المعجزة، حيث يقول «منها ما لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوته» ورسول الله يرتفع أن يغتنم جهل الجاهلين او يستغلهم وهذه نكتة وعلامة على صدق النبي أو الوصي أو الحجة انه يأتي ببرهان فهمه البشر أو جعلوه ولا يستثمر جهل البشر لإثبات شيء، ومع ذلك يراعي الواقعية على ما هي عليه، يعني لو أتت أجيال واذهرت في العلم إلى يوم القيمة ستري أن ما اعتمدته ثابت كبرهان ومعجزة، وهذا يدل أن معاجز الأنبياء لا تتحدى أهل زمانهم فقط بل تتحدى البشرية إلى يوم القيمة لأنها لا تعتمد على جهل ذلك الرمان أو قصور قدرتهم، بل تتحدى علوم الأجيال إلى يوم القيمة.

لذلك يقول أن العلم مهما بلغ لا يصل إلى الوحي والعلوم وحكمه والمعادلات التي يوصي بها الوحي، ولذلك الشيخ المفيد والطبرسي وجملة من الإعلام يستدلون بعلوم الأئمة الموجودة أنها ليس تتحدى فقط أهل زمانهم بل كل الأزمنة، فصفاتهم في الأدب والشجاعة والسلوكيات ليست تتحدى وتسبق أهل زمانهم بل تتحدى أهل كل الأزمنة، فالإمام ليس أفضل أهل زمانه بل أفضل كل الأزمنة ويفوقهم، وفي دعاء الندبة توجد إشارة «يا بن الآيات البينات يا بن الدلائل الظاهرات الباهرات» لأنهم دلائل ظاهرة فنفس تراثهم العلمي في كل علم من العلوم أورثوه للبشرية يتحدى كل المعادلات وكل أهل زمان مهما تطورت وتنامت وتقدمت العلوم، فيخبرك المعصوم عن السماء بكل هذا ويخبرك عن طب الأسرة والمرأة والطفل والأرض والجن والإنس والروح فهذه علوم ثابتة تتحدى البشرية فهي إعجاز حاضر راهن وليس خاص بأهل زمانهم، وكذلك هذه التفسيرات لإعجاز

القرآنُ وان علوم القرآن لا زالت تحدى البشرية، فمن يستطيع أن يثبت عدم صحة شيء من معلومات القرآن؟، منها توصلت إليه البشرية من نظم تعجز عن أن تخطئ القرآن في نظام معين أو قوانين معينة، فهذه هي طبيعة المعجزة أنها تحدي البشرية إلى يوم القيمة.

### المحور الثاني عشر: المعجزة ليست لأجل النعمة:

يقول عليهما السلام «منها لو جاءك به لم يكن برهاناً لنبوته ورسول الله يرتفع عن أن يغتم جهل الجاهلين ويحتاج إليهم بما لا حجة فيه ومنها لو جاءك به كان معه هلاكك» وهنا نكتة لطيفة وهي أن المعاجز ليست لأجل النعمة وإنما هي لأجل الرحمة والهدایة والبصیرة، بينما هم لجهلهم وحماقتهم طلبوا ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنْ السَّمَاءِ﴾ فإذا انزل كسفا فهو يدل على المعجزة لكنها معجزة نعمة لا رحمة وهذا يشير على أن المعاجز على أنها طلاق منها ما هو نعمة أي إذا لم يرعوي الطرف الآخر لها تحل به سريعاً بسخط الله ونقمه، وتوجد نكتة أخرى وهي قانون وسنة أن طبيعة المعجزة تشد وتعاظم من مستوى الحجية، وكل شيء اشتدت فيه الحجية وأغلظت تكون العقوبة عليه أشد، فالعقوبة على العالم أشد من العقوبة على الجاھل والعقوبة على الأعلم أشد من العقوبة على العالم، وكلما أزدادت العلمية كانت العقوبة أكثر، ولذلك الحجية واقعاً ذات مراتب ونستطيع أن نقول بالاصطلاح الحوزوي أنها تشكيكه، بعض الحجج إذا اشتدت تكون نعمة معجلة ولذلك ناقة صالح معجزة ولكن لم يرعوي لها وبالتالي سبب حصول النعمة، ومثال آخر عندما طلب الحواريين من النبي عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلٌ لَهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعْذِبُهُمْ عَذَابًا لَّا أَعْذِبُهُمْ أَحَدًا مِنَ الْعَلَمَينَ﴾ فقد طلبوا زيادة البيان فزادت المسؤولية، وهذا يعني أن

زيادة الحجية تسبب زيادة المسؤولية، لأنها علم وهي سنة اهية جارية .

وبعض المعاجز من قبيل النعمة فإنها ليس فيها مهلة، لأنها تكون بدرجة عالية من الوضوح وبالتالي تكون نتيجة مخالفتها ونكرانها العقوبة، وتوجد معاجز نفسها نعمة كما كان حال ذلك الرجل المجادل للنبي ﷺ **اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّكَلَاءِ** وفعلاً نزلت عليه الحجارة من السماء فهذا قد عاجل بنفس القضاء الآخر وهي عناداً وحسداً.

«لما **بَلَغَ** رسول الله ﷺ **غَدِيرَ خَمْ** ما بلغ، وشاع ذلك في البلاد، أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري فقال: يا محمد! أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وبالصلاه، والصوم والحج، والزكاه، فقبلنا منك.. ثم لم ترضى بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه! فهذا شيء منك ألم من الله؟! فقال رسول الله: والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله.

فولى جابر يريد راحته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتلها، وأنزل الله تعالى: سأله سائل بعذاب واقع.. الآية<sup>(١)</sup>. انتهى.

**المحور الثالث عشر: المعجزة ليست للجاج أو حب الذات:**

هناك ضابطة اخرى «ومنها ما قد اعترفت على نفسك انك فيه معاند متمرد لا تقبل

حجّة ولا تصغي إلى برهان» أن المعجزة ليست لأجل مبارأة من يعاند وليس لأجل اللجاج والعناد والتغالب وحتى التحدي ليس لأجل العناد واللجاج وإنما هي إعجاز وغبطة لأجل إنارة الحق وبيان النور والهداية لإيضاح الطريق وليس لأجل نفس اللجاج.

«ومن كان كذلك فدوائه عذاب الله النازل من سماءه أو في جحيمه أو بسيوف أوليائه»

و هذه عدة معادلات أو قواعد ذكرها النبي وهي كالتالي:

أولاًً: أن غاية المعجزة ليس اللجاج والعناد، لأن العناد واللجاج هي من أنشطة أفعال القوة الغضبية وهذا ليس فعل أو صفة متسامية ومتعلية، والعقل يربوا عن هذا المستوى، ولذلك الجدل بالباطل هو لأجل المغالبة ولأجل الكسر والانكسار، أما المجادلة والتي هي أحسن إذا لم يكن فيها ثوران الغضب ولا هيجان النفس وإنما فيها تمام البرود والهدوء لأجل فقط الإيقاظ والتنبيه والإرشاد وإيضاح الطريق، لذلك الانفعال علامة عدم كون الداعي للحوار عقلي وإنما هو نفسي، إذاً المعجزة ليست غايتها الإسكات أو الإفحام أو ما شابه ذلك .

ثانياً: المعجزة غايتها الإنارة والهداية والبصائر، فصاحب المعجزة لا يوظف المعجزة لأجل الغلبة الذاتية ولا لأجل الترأسي والسمعة، وهذه النكتة يلمسها العوام، فإذا كان لا يدركوا كون هذه معجزة فعلى الأقل يستدلوا بهذه العلامات التي يذكرها النبي، فإذا وظف الفعل الذي يدعى انه معجزة إلى مآرب وصفات نفسانية حيوانية دانية فتحتما ان كنه هذا الفعل ليس بمعجزة، لأن المعجزة ليست لأجل أغراض وداعي نفسانية من قبيل العناد واللجاج التي تنطلق من غرائز نفسانية حيوانية.

**ثالثاً:** المعجزة فيها تسامي خلقي من صاحب المعجزة حتى في ظرف المعجزة فهو ملتزم بالقيم الأخلاقية التي يدعو لها وجلبت نفسه عليها ولا يخالفها لا قبل المعجزة ولا اثنائها ولا بعدها.

**رابعاً:** من ثم هي داعي إلى السبيل الحق لا إلى النفس أو والغضب الذات، وهذه العالمة بسهولة يتذمّرها عموم الناس لكن تحتاج قليل من الفطنة والتدبر، وحتى صاحب الكرامات فهل هذه كرامة إلهيه أو كرامة رياضات، فإذا وظفت في سبيل الرياسة والدعائية والنشر فواضح أنها ليست في سبيل الله بل في سبيل المأرب والنفس، وهذه عالمة استعلاميتها سهلة ولا تخطئ، فالمعجزة لا تقترب مع الانحطاط والرذائل الأخلاقية. إذاً صاحب المعجزة متزه عن أنانيات ذاته، لأنّه أَنْ هُوَ إِلَّا عبد مأمور من الله فلا يأتي بها يأتي بداعي ذاته، وهذا شبيه بحادثة تأخر أمير المؤمنين عن قتل عمرو بن عبد العاصي حينما أراد قتله الله وليس لغضبه، لأنّه يريد أن يعيش دوماً حالة أنه عبد مأمور لا ملك قهور.

#### المحور الرابع عشر: التقاء المعجزة والجدال بالأحسن في هدف واحد:

يواصل النبي بيان الضوابط في المعجزة وخلل الاقتراحات التي أبدتها كفار قريش وان ما يطلبه المحاور أو المستفهم إذا كان عن عناد فمن الواضح أنه ليس من الحكمة الاستجابة لما يكون عن عناد، لأنّه ليس فيه التصبر والتثبت العلمي بل الهدف فيه يكون نوع من زيادة اللجاج وبالتالي فإن هدف المحاجج هي المغالبة وليس هدفه تحري العلم والحقيقة، وبعبارة أخرى من بنا التمييز بين المعجزة التي هي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبالبرهان وأيضاً تصح الدعوة بالجادلة ولكن ليس المجادلة والتي هي أسوء وإنما هي مجادلة

بالتى هي أحسن والمجادلة بالتي هي أحسن والدعوة إلى سبيل الباري فيما إذا لم تكن هناك عناد أو لجاج أو مراءات، ومن ثم الجدال للمراءات مذموم، لأن ليس الغية فيه تحري الحقيقة بل تسود على الطرفين أو أحدهما حالة من استهداف وابتغاء الغلبة كيما كانت وليس هدفه التسليم للحقيقة كيما كانت، فمن ثم يكون الحجاج عقيم أو خالي عن الهدف، لأن الطرف الآخر لن يستجيب لما هو دليل أو برهان وليس في مبتغاه تحري الحقيقة ومن ثم الحكيم والخليم وذوي اللب من لا يدخل في جدال وفي مراء ومن ثم الحلم في موارد المراء ابلغ من الخوض في الجدال، وحتى المعجزة التي هي حق وبرهان بلحاظ ذوي اللجاج والعنااد تكون عديمة الجدوى.

نعم في بعض الموارد قد تكون معاجز لقطع العذر أو لإتمام الحجة البالغة، وإلا نفس الجدال والحوار مع الطرف المعاند وعدمية استهداف الوصول إلى الحقيقة والتثبت من الحقيقة فلا فائدة ولا جدوى من ذلك إلا إذا كان هناك هدف سليم وهو ليس مغالبة الطرف الآخر وإنما هو قطع العذر عليه من أجل الهداية ونصرة الحق وطرف الصواب.

#### المحور الخامس عشر: برهان المعجزة النظري:

ان الفلاسفة والمتكلمين يترجمون البرهان الذي في المعجزة كالتالي بأنه «قدرة خارقة علمية أو طاقة خاصة يعجز عنها البشر»، وبيان البرهان أن هذه القدرة لما كانت يعجز عنها جميع البشر فالعقل يقبح من أن يمكن الباري تعالى شخص يدعى الوساطة والهداية اللطف منه تعالى للبشر من أن يمكنه من كل ذلك وهو دجال او كذاب وهذا دليل العقل العملي، وهناك برهان نظري يذكروه في نفس معنى المعجزة فيبينون أن من يستطيع أن يأتي بمثل هذه

القدرة لابد انه متصل بالعالم العقلي (العقل الفعال) وهذا الاتصال عبارة عن معنى من معاني النبوة لأن النبوة عبارة عن نوع من ارتباط بالغيب ودرجة خاصة وقابلية خاصة للنفس بان تسمع الكلام الإلهي والمعقولات في العقل هي الكلام الإلهي وهذه من النبوة، وان كان هذا التفسير عام ويشمل الإمامة واقعا والاصطفاء ولكن إجمالاً هذا بيانهم في الحكمة النظرية.

#### المحور السادس عشر: برهان المعجزة الحضوري:

ويمكن أن يضاف شيء آخر إلى ما ذكروه لأن هذه البيانات هي بيانات نظرية استدلالية لبرهانية المعجزة، وهناك بيان آخر فبدل أن يكون في العلم الحصولي هو بيان في العلم الحضوري وقد أشير إليه في الروايات والآيات ولعله يشير إليه بعض العرفاء، ففي الحقيقة المعجزة لا يحتاج المشاهد لها من صاحب المعجزة إلى مقدمات نظرية وفكرة وحصوليه كي يصل إلى التبيّنة وان كان هذه لا بأس بها ولكن في جملة من المواد المعجزة عبارة عن انكشاف جانب من الغيب والقدرة الغيبية لمن يكون شاهد في مشهد الحدث ويرى المعجزة وهي لمعان لبريق قوة الغيب وهذا اللمعان هو شهود للغيب وبالتالي لا يحتاج إلى ترجمان بالعلم الحصولي، شيء من ينصر ويحس بشيء وتحاول معه ان توصفه إليه بالأوصاف بينما هو لا يحتاج إلى أوصاف فإنه لا يتكلم عن غائب وإنما هو مشاهد له، فالمعجزة لمن كان حاضر في المعجزة فهي بالنسبة إليه شهود للغيب أي يشاهد عملية ظهور وانكشاف لمعان وبريق للغيب في مشهد عيان له ومن ثم غالب الذين يكونون حاضرين في مشهد المعجزة يصيّبهم نوع من القشعريرة حتى وان كانوا أهل ترد وجحود وبلاج.

وبعبارة أخرى المعجزة شيء بمشاهدة الآخرة أو الملائكة والعالم الأخرى، فكيف

تصيب المشاهد بالوجوم والاندهاش لأن فيها عيان، هذا البيان في حقيقة هو برهان عياني والمعجزة فيه برهان عياني، لأنها من قدرة وطاقة الغيب، لذلك من تقام عليه المعجزة وهي حجة بشدد عليه في العذاب وهذا شبيه من تغرغرت روحه عند التراقي في سياق الموت إلى الآخرة فيشاهد ويعاين فلا يفيده الإيمان حينئذ أن لم يكن مؤمناً من قبل، فهو إنما يبرهن إليه لكي يؤمن بما هو غيب عنه، أما إذا عاين فقد بطل الامتحان ولا اثر للبرهان السابق بعدها، فصاحب المشاهدة عاين شيء من الغيب ومن ثم نتيجة لذلك يشدد الحساب عليه، القرآن الكريم معجزة حاضرة للعلماء أو لكل بحسب درجة علمه سيعاين القدرة الغيبية في القرآن، ولذلك ورد في الروايات أن كل من يقرأ القرآن بحال معنوي ويترقى حتى يكاد يسمع كلام الله مشافهة له، لأن فيها عيان للغيب.

مثلاً عالم في علوم القانون أو الطبيعة أو الطب فإنه شاهد من تعاليم القرآن ما يبهره فيلمس عن قرب وكثب قدرة الغيب وإنها ليست قدرة بشر، فهذه الجامعية وهذا الأحكام والإتقان والمحك لم يشهد عند غيره ﴿وَأَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup> وكل بحسب اختصاصه فالأديب أو النحوي والصرفي يشعر ويلمس ما في القرآن من عظمة ترتيب، والشعر عرف في علم اللغة والخطابة عرف والشرع عرف ولسان الحكمة عرف، فالشعر ما يشتمل على التخييل والهيمام في الخيال سواء في الوزن أو بالمادة، والغناء تعريفه معين بالمواد أنه يجب طرب سواء بالمواد أو بالوزن، والبرهان وما فيه نظم المعلومات يصل إلى التبيبة، والخطابة فيها حماسة، وإلى الآن علم اللغة لا يدرك حقيقة

القرآنُ ما هي هل هي شعر أو غناء أو خطابة أو كلام برهان وحكمة، فإلى الآن لم يضبط أدب القرآن تحت قواعد يستطيع البشر أن يحيط ويهممن عليها، فلا تضبط أوزانه ولا مواده منضبطة في الشعر ولا في البرهان ولا في الخطابة ولا الغناء، فلم يستطعوا أن يضبطوا بضابطة واحدة معينة، بينما القرآن يسميه ذكر ﴿وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(١)</sup> ولعدم ضبطهم له قالوا عنه انه سحر مع أنهما ماهرين في البلاغة والشعر والخيال وفي الغناء والطرب كل هذه لا تنضبط قواعدها على القرآن، ولا استطاعوا أن يضبطوا مفاتيح وزن القرآن أو المواد القرآنية.

فالأديب يتبع له لمعان قدرة الغيب في الأدب القرآني، وهذا ليس في علوم اللغة بل حتى في علوم الالسنيات، فكتاب معين قد يدمج بالتاريخ، القرآن لا هو تاريخ ولا هو تجريد مطلق، ولا قصص ولا أمثال وضابطة الأمثال لا تنطبق عليه، وهذا بعد من إبعاد إعجاز القرآن يلمس منه العيان والبرهان كل بحسب مستوى العلمي، لأن العلم نوع إدراك ويجعل له حضور ومشاهدة وكلما يرتقي علمه أكثر يشاهد من القرآن أفق أكبر ويعاين المعجزة في القرآن أكثر.

ذكر رسول الله الفتنة يوماً فقلنا: «يا رسول الله كيف الخلاص منها؟» فقال : «بكتاب الله، فيه نبأ من كان قبلكم، ونبأ من كان بعدكم، وحكم ما كان بينكم، وهو الفصل وليس بال Hazel، ما تركه جبار إلا قسم الله ظهره، ومن طلب الهدى بغير القرآن ظل، وهو الجبل المتن والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تلبس على الألسن، ولا يخلق من

---

(١) سورة يس: الآية ٦٩.

كثرة القراءة، ولا تشعّ منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أمير المؤمنين علي واصفاً القرآن:

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحرًا لا يدرك  
قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوئه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا  
تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسلقامه، وعزًا لا تهزم أنصاره، وحقًا لا تخذل أعوانه، فهو  
معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام  
وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزعه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون،  
ومناهل لا يغيبها الواردون، ومنازل لا يظل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها  
السائرون، وأكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله رياً لعش العلماء، وربيراً لقلوب  
الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلًا وثيقاً  
عروته، ومعقلًا منيعًا ذروته، وعزًا لمن تولاه، وسلمًا لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذرًا لمن  
انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهدًا لمن خاصم به، وفلجًا لمن حاج به، وحاملاً لمن حمله،  
ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلام، وعلمًا لمن وعى، وحديثًا لمن روى،  
وحكمةً لمن قضى»<sup>(٢)</sup>.

المهم أن المائز بين المعجزة وغيرها انه في المعجزة عيان للغيب، غاية الأمر في نفسية  
الإنسان وحدود إدراكه النظري أو العلمي فمن عنده العلوم الروحية قوية لا يلتبس لديه

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٤ ص ٢٣٩ باب ٢٤٥٩٥ ح.

(٢) نوح البلاغة الخطبة ١٩٨.

الامر بل يفرق بين السحر والمعجزة، وسنشير لمَّا الكثير من العوام تلتبس عليهم عندما يشاهدون بعض القدرات الروحية التي هي ربما من السحر أو الرياضيات أو شعوذة فilitبس الأمر انه معجزة وسببه أن درجة العلم او الخبرة في العلوم الروحية على درجة متدنية.

#### **المحور السابع عشر: المعاجز علمية وعملية:**

مر بنا أن المعجزة لابد أن تكون في ذاتها برهان وان المتكلمين وال فلاسفة كانوا يخرون برهانيه المعجزة من باب أنها قسم في العقل النظري أو الحصولي ولكن الصحيح أن المعجزة بيان من العلم الخصوري ولمعان الغيب، غاية الأمر في جملة المعاجز العلمية تصنف بمعنى أن تخريجها برهانها لابد من إدراك علمي فيها ودفع للبس الالتباس لابد من بيان علمي فيها فبرهانيتها متوقفة على بيان علمي لكن تقسيمهم وتصنيفهم للمعاجز أن بعضها علمية وأخرى عملية المقصود كما في القرآن الكريم وجود بيانات علمية وما شابه ذلك فكلها إعجاز علمي ولكن توجد معاجز لا تتوقف على المعلومات والمعاني وإنما تتوقف على نفس انجاز عمل في الخارج وبالتالي تسمى معاجز عملية.

#### **المحور الثامن عشر: جريان المعجزة بيد من له الولاية التكوينية:**

يُؤكّد النبِيُّ ﷺ في كلامه أن المعجزة لمن يجريها الله على يديه فان له ولاية تكوينية، والفعل يسند بالأصلالة إليه لا إلى أجناس أخرى من المخلوقات وإنما هو نوع من الاستدعاء فقط، مثلاً القرآن له نزولان نزول جملة وهذا لا دور فيه لجبرائيل وإنما الدور فيه لروح القدس، وحتى روح القدس هو شعبة من شعب أرواح المعصومين وهو قوة من قوى ذواتهم، ومن ثم فسر أم الكتاب بعلي بن أبي طالب وما فوق أم الكتاب من الحقائق من

النبي ﷺ وهذه فوق تنزيل جبرائيل ومنها ينحدر التنزيل ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمّ الْكِتَابِ﴾ أي أصله الذي اغترف منه جبرائيل فنزله.

عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم قال:

«كنت عند أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إذ أتاه رجل نصراني فقال: إني أسألك أصلحك الله فقال: سل، فقال: أخبرني عن كتاب الله الذي أنزل على محمد عليه السلام ونطق به ثم وصفه بما وصفه فقال: ﴿حَمْ \* وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ \* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> ما تفسيرها في الباطن؟ فقال: أما حم فهو محمد عليه السلام، وهو في كتاب هود الذي أنزل عليه، وهو منقوص الحروف، وأما الكتاب المبين فهو أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأما الليلة ففاطمة (صلوات الله عليها)...»<sup>(٢)</sup>.

إذاً الفعل في المعجزة بحسب نص هذا الاحتجاج يسند إلى نفس من أجرى الله على يده المعجزة لا إلى غيره وتميز دون بقية بنى جنسه.

#### المحور التاسع عشر: المعجزة بين الدعاء والولاية تكوينية:

هناك بحث في المعجزة وهل هي دعاء وإجابة أو هي تصرف على نحو القدرة الذاتية لمن تجري على يديه بمعنى ان له ولاية تكوينية على بعض الاشياء والتحقيقات الأخيرة جعلت الدعاء والاستجابة والتصرف شيء واحد، فمن يقال عنه مستجاب الدعوة نظنه دعاء لفظي، بل هو مقام نفسي فعندما توجه النفس للاستفاضة بالطلب من العوالم العليا

(١) سورة الدخان: الآية ٣.

(٢) تفسير نور الثقلين / للشيخ الحوزي ٤ / ٦٢٣.

فاستعداها يحتم الإفاضة وهذا نوع تصرف فان استجابة الدعاء هو نوع تصرف من الداعي في انجاز ما دعى به، وارتباط روحي من نفس الداعي بذلك المصدر الذي يفاض منه ذلك الفيض.

ومن باب المثال أن آثار الأعمال عندنا فإنها إيجاد تكويني من العمل إلى الأثر ولو بنحو الإعداد بعض آثار الأعمال تظهر فيها بعد سوء أعمال سيئة أو أعمال حسنة، مثلاً صلة الرحم توجب طول العمر وبالعكس، والحسد يوجب غم الإنسان نفسه وكذلك الغضب يوجب التوتر والحلم يوجب السكينة والوقار، وهذه آثار للإعمال، ودعاء المؤمن يستجاب له وهذا نوع تصرف وتأثير بالتكوين بمعنى قدرة تكوينية، فهذه كلها مراتب للولاية التكوينية، غاية الأمر الاستجابة السريعة يصير لها وضوح أكثر للولاية التكوينية كما في استجابة دعاء الإمام الحسين يوم العاشر من المحرم، وفي رواية أن النبي 'إبراهيم شاهد الملوك فرأى أحوال الناس فشاهد الزنا وغيرهم فدعوا عليهم فهلكوا فقال له الله عزّ وجلّ يا إبراهيم أنت مستجاب الدعوة فلا تفعل هذا بشكل كثير وهؤلاء عبادي ولي نظم فيهم فالدعاء يؤثر.

ورد:

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ عن سلمان الفارسي قال: «لما رأى إبراهيم ملوك السماوات والأرض رأى رجلاً على فاحشة فدعاه عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعاه عليه فهلك ثم رأى آخر على فاحشة فدعاه عليه فأوحى الله إليه ان يا إبراهيم مهلاً فإنك رجل مستجاب لك وإنني من عبدي على ثلات خصال اما أن يتوب

قبل الموت فأتوب عليه واما أن أخرج من صلبه ذرية يذكروني وأما ان يتولى فجهنم من ورائيه<sup>(١)</sup>.

غايتها استجابة التكوينية لدعاء المؤمن تكون في الآخرة وهذا نحو تصرف، القرآن<sup>\*</sup> يثبت أن الأعمال لها تصرف في الآخرة وأي ولاية تكوينية أكثر من ذلك ﴿إِنَّمَا تُحْبَزُونَ مَا كُتُّمْ تَعْمَلُونَ﴾ وفي تعبير آخر ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾<sup>(٢)</sup>، وفي الرواية الدنيا حرث الآخرة.

والتحقيقات الأخيرة ثبت أن استجاب الدعاء ترجع إلى نفس الولاية والتصرف التكويني، لأن الولاية التكوينية عموما هي نوع من الاستدعاء من المخلوق لأن يفيض عليه الخالق قدرة ويكون هو عمر الفيض لها، فمثلا عين الحاسد كيف تؤثر؟، فهل توجد عند الحاسد قدرة بان يسخر جن فيؤثرون في المحسود، ولذلك كثير من الإحراب لدفع العين فيها تهديد أو قلع لآثار الشياطين والجن وفي المحسود، والسحر وان كان في تفسير حقيقته نظريات كثيرة لكن دخالة الجن فيه له سهم كبير، ويمكن التوفيق في تفسير السحر أو الحسد والعين وهو أن هذه الأفعال بقوه من نفس الساحر أو نفس الحاسد يسخر الجن فيجذبهم وبالتالي يسirهم ويسخرهم لإصدار فعله، وبالتالي يكونوا هم نوع من المسخرين، أما كيف يتعايش الإنسان مع الشياطين من دون أن يشعر بذلك؟، فإن القرآن<sup>\*</sup> يشير إلى مثل ذلك قال تعالى: ﴿هَلْ أُنْبَئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكِ أَثْيَمٍ﴾<sup>(٤)</sup> فهو لا يدرى

(١) الدر المثور، السيوطي، ج ٣، ص ٢٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢٢١.

بذلك فيتصور أنها خواطر أو قوى نفسه بينما هو يتحدث مع الشياطين.

إذاً أن معنى كون الإمام مستجاب الدعوة فهذه هي الولاية التكوينية لكن في كثير من الحقائق لها أوجه يفهمها الجمورو بصورة بسيطة أما كنهها فهو مقام الخطير وهو ما يعتقدون به ما إذا كشفته لهم فيكبر في أذهانهم وقلوبهم. فالداعي له مصاديق عديدة وإنما فالداعي حينما يستجاب له هل لأجل هذه الأصوات أو لأجل التوجه والافتقار والضراعة إلى الساحة الروبية بل حقيقة الدعاء والصوت نوع من المساعد على ما هو ذكر حقيقي، لذلك حتى الولاية التشريعية فإن الكثير ينكرها بصورتها الصريرة أما في عناوين أخرى لا يلتفتون مع أنها ولاية تشريعية يقبلونها.

#### المحور العشرون: المعجزة سرعة طي الأسباب:

المعجزة ليست خرق لقانون أو نظام الأسباب وإنما هي سرعة في الأسباب، وبعضهم يفسر المعجزة ويقول ليست المعجزة كلها سرعة طي الأسباب سواء زمانية أو علوية وإنما في قسم كبير منها هو الاطلاع من قبل صاحب المعجزة على أسباب لا يطلع عليها غيره، إذاً المعجزة غير خارجة عن نظام السبب والمسبيات بصورته وحقيقة العامة وأبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها إلا أننا نجهل كل الأسباب التي حولنا في هذا الوجود ولا نعرف تلك القوانين التي يسير من خلالها نظام العالم التي اوجدها الله تبارك وتعالى، ولذلك أول من امن بموسى عليه السلام هم السحرة لأنهم اطلعوا أن هذا الأمر ليس من باب السحر لأنهم يعرفون أسباب السحر، كذلك في عصر النبي عليه السلام عيسى عليه السلام فأن الأطباء جزموا أن ما يقوم به النبي

عيسى هو معجزة لأنهم لم يطلعوا على أسباب طبه وإنما هي أسبابا مختصة بصاحب المعجزة.  
ولاشك أن البشرية إلى الان تجهل الكثير من القوانين التي تسير وفقها حياتنا الدنيا  
ناهيك عن اطلاعها على قوانين العوالم الأخرى التي لها مساس مباشر أو غير مباشر بقوانين  
هذه الشأة.

الا ان اولياء الله يطلعون عليها بمقدار اعلام الله تعالى لهم ومن ثم يؤثرون بها ويكون  
لهم نحو من الهيمنة عليها.

### المحور الواحد والعشرون: المعجزة ليست خاصة بالأنبياء عليهما السلام :

إنَّ المعجزة في مدرسة أهل البيت عليهما السلام ليست خاصة بالنبوات والرسالة بل تعم  
الإمامية وحتى بعض السفراء للائمة والدليل على ذلك من القرآن في سورة البقرة في قصة  
طالوت يبين الباري بعثة إمامية وليس بعثة نبوة وبعد ذلك يقول ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ  
إِيمَانَكُمْ مُلْكِهٗ إِنَّ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مَمَّا رَأَكُمْ  
مُوسَىٰ وَأَهْلُ هَرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾  
 في إمامته وملكه للأمور، ونفس التابوت هو معجزة من المعاجز عندبني إسرائيل

باعتباره يتحرك بسکينة من الملائكة وباعتبار أن فيه ريح لها وجه كوجه البشر، وهذا التابوت  
كان يقف عند أي بيت من بيوتبني إسرائيل يدل على أن صاحب ذلك البيتنبي أو وصي  
نبي وكان يحتفظ به ويرثه ذلك النبي عليهما السلام إلى أن يتقل إلى من بعد وكانت هذه سنة إلهية فيبني

إسرائيل.

إذاً في سورة البقرة تدل أن الإمامة بمعجزة فكما أن دلائل الإمامة بالنص كذلك هي بالمعجزة أيضاً، والمهم أن هذه الزاوية يجب أن نلتفت إليها وقد ذكرناها سابقاً وهي لابد في المعجز يعجز عنه الثقلين، وكما جاء في القرآن ﴿مَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾<sup>(١)</sup> ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيغُونَ﴾<sup>(٢)</sup> بل لا يستطيعون اختراق قنة الوحي والتشويش عليها، أو الآيات التي تدل على عجز الشياطين والجن عن اختراق قنة الوحي هي آيات مبينة للمتشابه في تلك الآية من سورة الحج ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا إِذَا تَمَّسَّ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيُنَسِّخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيَّاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> وقد فسر العامة بروايات متسوسة قصة الغرانيق، فهذه الآية متشابه فإن الامنية بأي معنى؟؟ فهل المية بمعنى القلب أو المية هي المتنمي الخارجي بمعنى يأتي ويظل أمته ويحاول أن يعوق مشروع الهدایة الإصلاح الذي هو منية ومتنيات الأنبياء والرسل فقوله ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي في مشروعه الذي يتمنى إقامته وإنجازه، فالإضلal والغواية وما شابه ذلك، وهذا نظير السامری وما صنعه ببني إسرائيل، وهذه الآية متشابهة تبينها الآيات في سور العديدة التي تدل على مصونية قنة الوحي عن دخول الشياطين.

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٠.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١١.

(٣) سورة الحج: الآية ٥٢.

## المحور الثاني والعشرون: المعجزة شهادة بالصدق من الله تعالى:

بعدها يقول ﷺ «بل إنما بعث الله بشراً واظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عنها جاء به انه معجزة وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له» فنفس المعجزة شهادة من الله له بالصدق، فاحد تعاريف المعجزة أنها شهادة من الله له، فهذه الشهادة يعني أفعال الله تعالى تعتبر شهادات سواء شهادة بمعنى التحمل أو الحضور في ساحة الحدث للمشاهدة، والشهادة تستعمل بمعنى الأداء أو توثيق الحدث والإدلاء بما حصل في الحدث فهنا «وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له» بمعنى الأداء فواضح أن أفعاله تعالى هو كلامه تعالى كما ثبت ذلك في ابحاث عند علماء المعرفة، ومؤدى كلامه هو مؤدى الفعل، فأقدار الله عز وجل للنبي على إتيان المعجز هو تكلم من الله وشهادة منه على صدقه، إذًا في عالم الإمكان لا يمكن الله أحداً بما يعجز عنه الجميع إلاّ أن يكون حظياً عند الله وله قربى وزلفى عند الله، وهذه قاعدة تكوينية ولكن هذا المفad قد يستغلها أصحاب الطاغوت والطغيان والأغبياء أنهم ذوي زلفى عند الله بسبب ترفهم وغناهم وسلطتهم وهذا خطأ، فان التفضيل في الرزق أو الملك الظاهر شيء والانفراد بقدرة ملوكية في غير قدرة البشر هي أمر آخر وهي بالطبع لها شهادة في الصدق.

فإذا كانت معجزة خاصة وخارقة لا يستطيعها البشر والجئن، وأما إذا لم يكن الأقدار بتلك الدرجة فلا شهادة فيها وإنما هي في خضم وعموم الامتحان الإلهي لخلوقات ولبني البشر من تمكينهم من أمور كما مكن بعضهم مكن من سلف ومن غير فليست هي إعجاز أو تحدي أو تفرد وامتياز، ولكن أصحاب منهج التظليل والإغواء ليشرعوا الطغيانهم وجبروتهم وفرعونيتهم يثروا

مثل هذه القاعدة، وهو تمسك مغالطي لا حقيقي.

ورد:

«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء»<sup>(١)</sup>.

### المحور الثالث والعشرون: الفرق بين المعجزة والكرامة:

(وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدلّكم على أن ذلك ليس في طباع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزا) إِذَاً المعجز عبارة عن قدرة إلهية خاصة من اللدن الإلهي لا يعطي تلك الصلاحية إِلَّا لذوي المهام الإلهية من قبله تعالى، وتكون المعجزة قدرة إلهية ما إِذَا كانت متفردة ومتميزة لا يستطيع التمكّن منها أجناس المخلوقات، أما ما يصنعه العفاريت من طي الأرض وغيرها فهذا ليس متفرد، لذلك طي الأرض لا يسمى معجزة وقد يكون كرامة أو غير كرامة، الفرق بين المعجزة والكرامة قد يكون هو أن الكرامة قد يتمكّن منها حتى الكافر وتعطاه لأجل ممارسة رياضة أو ما شابه ذلك.

وكما ذكرنا أن المعجزة يأتي بها النبي ﷺ في مقام التحدّي ولا يضاهيه نظير، لذلك قراءة الضمير لا تعتبر من المعاجز بل كرامات أو آثار لرياضات معينة، وورد في الحديث القدسي «لأعطيين الحكمة من زهد في الدنيا، فأمّا المؤمن فهي حجّة له، وأمّا الكافر فهي حجّة عليه»<sup>(٢)</sup>.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/٣٤١.

(٢) الإمامة الإلهية، بحوث الشيخ محمد السندي - ج ٣، لصادق محمد رضا الساعدي، ص ١٩٤.

وبمعنى ذلك أن الحكمة فيها جنبة لقراءة ما وراء المادة أو جنبة ملكته نوعاً ما، والنفس لها مفاتيح فمن مارس الارتياض تفتح له تلك المفاتيح لكنها لا تعتبر معاجز، وإنما تعتبر خاصيات وقدرات للروح.

وقد تصدر المعجزة من النبي ﷺ أو الوصي لكن لا من باب التحدي فتسمى كرامة، وحسب ما في الروايات أن كل عالمة باهرة معجزة وإن لم يكن في مقام تحاذب مع الآخرين بل هي من باب الدلالة على النبوة والإمامية.

فإذا صدر العمل الخارق للعادة من عبد الله لم يدع النبوة سمي «كرامة».

ومما ورد كدلالة بان عباد الله الصالحين من غير الانبياء قادرين ايضا على الاتيان بالأعمال الخارقة للعادة قصة انتقال عرش بلقيس ملكة سبا في سرعة خارقه للعادة من اليمن الى فلسطين على يد فرد من اصحاب النبي سليمان (اصف بن برخيا) وقد اخبر القرآن الكريم بذلك: ﴿قَالَ اللَّذِي عِنْدُهُ عِلْمٌ مِّنْ الْكِتَابِ أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرَنَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكُفُّرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّيْ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

قال العالمة الحلي في كتاب أنوار الملكوت ما حاصله: (المعجز أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، والتقييد بخارق للعادة ليتميز المعجز عن غيره، وهذا القيد يكتفى به عن التقييد بعدم المعارضة ليتميز به عن السحر والشعبنة إذ السحر والشعبنة ليس بخارق للعادة وإن كانت خفية على أكثر الناس. وقيدنا الخارق للعادة بالاقتران بالتحدي ليتميز

(١) سورة النمل: الآية ٤٠.

المعجز عن الكرامات<sup>(١)</sup>.

وسائل أبو بصير، الصادق عليه السلام: «لأي علة أعطى الله عز وجل أنبياءه ورسله وأعطاك المعجزة؟ فقال: (ليكون دليلاً على صدق من أتى به والمعجزة علامه لله لا يعطيها إلاّ أنبياءه ورسله وحججه ليُعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب»<sup>(٢)</sup>.

قال سماحة الشيخ المؤلف (دام ظله):

(فتحصل مما تقدم من كلمات الأعلام أن المعجزة أمر خارق للعادة يأتي بها من يدعى النبوة أو الإمامة إثباتاً لصدقه، وأن معجزات الأنبياء تتحدى البشرية على مر العصور إلى يوم القيمة بأن يأتوا بمثلها، فإنّ إخراج النبي صالح عليه السلام للناقة من الجبل بانشقاقه تعجز البشرية مهما تطورت علومهم عن ذلك، وكذلك قلب العصبا حيّة تسعى تلتقم سحر وإفك كل ساحر من النبي موسى عليه السلام، وكذلك إحياء الموتى وإبراء الأعمى والأكمه والأبرص من النبي عيسى عليه السلام، وكذلك شق القمر والقرآن الخالد لنبينا الأعظم عليه السلام.

إذاً لا بدّ من ادعاء، وأمر خارق للعادة، كي يتحقق معنى المعجزة، ومن هنا يتضح أن كرامات أولياء الله الصالحين لا تسمى معجزة، لأنّهم لا يدعون لأنفسهم شيئاً، ولو ادعوا ما ليس لهم لما أعطاهم الله تلك الكرامات، وهذه السنة من الله تعالى حكمة بالغة كي لا تبطل حججه على عباده، ويتم الاحتجاج عليهم ببعث الرسل وإقامة الأوبياء خلفاء الرسل<sup>(٣)</sup>.

(١) أنوار الملكوت في شرح الياقوت / العلامة الحلي: ١٨٤.

(٢) البخاري: ١١، نقلأً عن علل الشرائع، وعيون أخبار الرضا عليه السلام للصادق.

(٣) مقال منتشر بعنوان: الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة.

#### المحور الرابع والعشرون: الفرق بين المعجزة والسحر:

أن من أحد الشبهات التي تثار أمام الأنبياء والرسل والأوصياء أن ما أتوا به سحر أو شعوذة أو كهانة أو تصرفات مجهولة، فتمييز الفعل المعجزة قد تعرف بلمعان وعيان لقدرة من قدرات الملائكة العليا، ومن يدرك المعجزة يعاين الملائكة فيها، وهو شبيه القرآن الكريم فقد (كلمكم الله في كتابه ألا تسمعون) فلمن يتذرع ويتعذر في القرآن الكريم يسمع هاتف الغيب الإلهي، لأن فيه لمعان معجزة الباري تعالى فيمكن للإنسان أن يبصرها، فكيف تمييز حيئِ المعجزة عن الشعوذة، يمكن أن نضفي لها عدة مقومات وشروط، فمن مميزات المعجزة حيث أنها من عالم الملائكة الأعلى وإن فيها سكينة ووقار وحكمة ومكرمة وصفاء ونور، بينما الشعوذة والسحر الغرض فيها خبيث وداني وطابعها ليس سكينة ووقار وفيها شطط وظلمانية، وعموماً هذه صفات مهمة في التمييز، وحتى الكرامة تشتراك مع المعجزة في بعض الصفات أي يوجد قواسم مشتركة بين المعجزة والكرامة تمييزها عن الشعوذة والسحر والكهانة، ومن باب المثال فبعض الصالحين لكي يميز الكرامة عن السحر والشعوذة يقرؤون القرآن أمم من يدعى الكرامة فإذا أبطل مفعوله يفهم منه أنه سحر، أو أن بعض الصالحين يمتحن المدعين للكرامة أن يأتي له بمريض صالح فان سيطرة الجن والسحر عليه صعبة بخلاف إذا كان غير صالح أو صغير السن التأثير عليه سيكون أكثر.

ثم قال رسول الله ﷺ «وأما قولك ما أنت إلاّ رجل مسحور فكيف أكون كذلك»

هذه الشبهة واجهها جل الأنبياء من قبل أنفسهم ويعنونها ويبيهها كل من لا يسلم بالعجزات فهي من الأمور الشائكة جداً في التمييز بينها وبين المعجزة، وقد ذكرنا في بحث سابق أن في

القرآن موردين يذكرهم الله كمعجزة وكفعل رباني خارق مع أن هذا الفعل في بادئ ذي بدء

قد يتصور منه انه سحر، المورد الأول ما ذكره الله في سورة الأنفال في ذكر وقعة بدر

﴿وَيُقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ فما معنى هذا التقليل في العين وكيف يكون؟، وفي ذيل الآية

﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكُمْ قَلِيلًا﴾ وهذا بحث آخر وهو ما ربط رؤية النبي ﷺ بالحدث

خارجا فهذا أمر عظيم وهو من شؤون النبي ﷺ التي تنزل عليه أو يريها ويقف عليها

النبي ﷺ وتؤثر على مستقبل أمته نظير ما ورد في روایات المعراج فحالات النبي ﷺ تؤثر على

مستقبل أمته، وكيفيه ربط هذه الأمور فكأنها هو قائد قوافل نفوس أمته وبحسب الحالات

التي تنتابه تتعكس على أمته وللعرفاء اشارات لطيفة في هذا المجال منها ان بعض الاوليات

لمجرد نوایاهم تأثير على غيرهم.

في موضع آخر من القرآن الكريم ﴿وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَيْءَ لَهُمْ﴾ يعني أن الله

عز وجل ألقى شبه عيسى على يهودا أو رجل أما من حوارية وأما من عدوه وفي الروایات انه

واحد من أنصاره وافق أن يلقى عليه شبه عيسى ويستشهد ويكون معه في الجنة، فان معنى

شبه لهم فهذا تصرف في العين وهذا جعل نوع من الإعجاز وفرقه عن السحر، فالسحر

تصرف في الإدراك.

وَقَدْ وَرَدَ:

«في الروایة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه

فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثنى عشر رجلاً، فأدخلهم بيتاً ثم خرج عليهم من عين في

زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء فقال: إن الله أوحى إلى أنه رافعي إليه الساعة

ومطهري من اليهود، فإياكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي، فقال شاب منهم: أنا يا روح الله، فقال: فأنت هؤلا، فقال لهم عيسى، أما إن منكم من يكفر بي قبل أن يصبح اثني عشرة كفرا، فقال له رجل منهم: أنا هو يا نبى الله؟ فقال عيسى: أتحس بذلك في نفسك؟ فلتكن هو. ثم قال لهم عيسى: أما إنكم ستفترقون بعدى على ثلاث فرق فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتبع شمعون صادقة على الله في الجنة، ثم رفع الله عيسى من زاوية البيت وهم ينظرون إليه، ثم قال أبو جعفر عليه السلام إن اليهود جاءت في طلب عيسى من ليتهم فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى: إن منكم من يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرا، وأخذوا الشاب الذي القى عليه شبح عيسى عليه السلام فقتل وصلب. وكفر الذي قال له عيسى، تکفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرا»<sup>(١)</sup>.

ولو أردنا صياغة التساؤل بشكل آخر ونوسّعه فيقال أن عالم المثال في البرزخ وعالم الآخرة وعالم العقل الذي هو عالم تكويني أقوى من عالم المادة، فهذه كلها قائمة الادراكات أي أن هناك الفعل لا يصدر من إعداد سابق مؤثر في المادة كي يصدر الفعل أو كي يتخلق الشيء ويتكون، فتلك العوالم والإدراك هو والإيجاد هو يعني يتعقبه الإيجاد، وهو مثل ما يشرح الباري الحال في الجنة ﴿وَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني ما أن يشاء أهل الجنة شيء إلاً ويحصل، ففي تلك العوالم أن نفس الإدراك موجود وفاعل مباشر فهو قائم بالإدراك فكيف يفرق بينه وبين السحر أليس هو تصرف في الإدراك فما هو الفرق بينهما؟.

الفرق مع السحر مع انه تصرف في الإدراك وبين المعجزة التي مر أن احد تعريفها أنها

(١) تفسير نور الثقلين، الحوزي، ج ١، ص ٥٦٩.

ظهور لمعان قدرة غيبية، فكأنما الغطاء يكشف عن قدرة من قدرات الغيب أي فعل من أفعال العوالم العلوية وهذا أحد أجزاء تعريف المعجزة، فإذا كان الفعل من الأفعال العلوية قائم بالإدراك والسحر قائم بالإدراك فما الفرق بينهما؟،

الفرق هو أن السحر يخيلي إليهم (سحروا أعين الناس) أي تصرف في خيال الناس

﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سُحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ فان عصيهم ليست تسعى كحيات ولكن (يخيلي لهم) فهو تصرف للإدراك غير مستتبع بتصرف في المادة وهذه ضابطة السحر، فالشياطين لهم قدرة في التصرف في المخيلة ولهم قدرة في الارائة بان يحدثوا رؤية خيالية لبني البشر أو بعضهم البعض في عالم الخيال وليس لها وجود في عالم المادة، وهذا نوع من التكوين لكن ليس في عالم المادة ولا في عوالم علوية وإنما فقط في عوالم المخيلة، وحسب تعبير الفلسفة أن هذا التخييل تكوين ولكن تكوين محدود في أفق عالم محدود وهو عالم الخيال.

وما هو الخيال؟ هو مثال متصل الذي هو قوة من قوى النفس وأما الخيال المنفصل فهو نفس البرزخ سواء الصاعد في طريق الآخرة أو البرزخ النازل الذي هو من عوالم القضاء والقدر الذي منه نشاهد الرؤى المستقبلية إذا كانت صادقة، فهم يتصرفون في الخيال المتصل فقط الذي هو عرض من أعراض النفس، بينما الخيال المنفصل هو عالم جوهرى كما في العلوم العقلية.

السحر له آثار تكوينية على المادة ولكن ليس مباشرة ولكن عبر المخيلة المتصلة مثلاً ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْهُمْ﴾ أي يغري بالعداوة بين بين البشر ﴿وَمَا يُعَلَّمُانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكُفُرْ فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يَنْرَقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرِءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ

مِنْ أَحَدِ إِلَّا يُأْذِنُ اللَّهُ<sup>(١)</sup> أي إحداثبغضاء والشحناه أو الحب الكاذب فيزيـن الشـيطـان لهم المحـبة الكـاذـبة كـما في الغـنـاء والـطـرب والـرـقص فـتـزـين الأمـور عـلـى غـيـر ما هـيـ عـلـيـهـ، أو تـسـوـء الأمـور عـلـى غـيـر ما هـيـ عـلـيـهـ أي اـرـاءـةـ كـاذـبةـ.

المـهمـ السـحـرـ إنـهاـ يـؤـثـرـ بـتوـسـطـ المـخـيـلـةـ المـتـصـلـةـ.

نعم يستتبع آثار تكوينية كما تغري بالكلام الزوج على زوجته كما في شياطين الإنس ومثل النـامـ الـذـيـ يـفـتـنـ وـيـشـحـنـ وـيـثـيرـ الـبـغـضـاءـ وـالـحـقـدـ وـالـإـحـنـ، فأـنـ حـدـيـثـ الشـيـطـانـينـ وـالـجـنـ فيـ روـعـ الإـنـسـانـ يـسـبـبـ نـفـسـ التـأـثـيرـ إـنـ الشـيـطـانـ يـنـزـعـ بـيـنـهـمـ فـلـعـلـ المـتـكـلـمـ لـيـسـ قـصـدـهـ سـيـءـ لـكـنـهاـ ذاتـ مـعـنـيـنـ فـالـشـيـطـانـ يـوـحـيـ إـلـىـ الـطـرفـ الـأـخـرـ السـامـعـ انهـ قدـ أـهـانـكـ وـانـتـقـصـ منـكـ...ـالـخـ، فـيـجـعـلـهـ مـلـتـهـبـ نـارـاـ أوـ أـحـيـاـنـاـ يـكـونـ بـيـنـ الزـوـجـ وـالـزـوـجـةـ.

فعـلـيـ أـيـ تـقـدـيرـ أـنـ السـحـرـ وـتـخـيـلـ الشـيـاطـينـ وـاـنـ كـانـ فـيـ المـخـيـلـةـ وـلـكـنـ هـذـاـ التـأـثـيرـ فـيـ المـخـيـلـةـ عـنـدـمـاـ يـسـتـجـيـبـ لـهـ إـلـيـهـ تـكـوـيـنـاـ بـالـتـالـيـ يـتأـثـرـ تـكـوـيـنـاـ وـإـلـاـ فـهـوـ لـيـسـ فـعـلـ تـكـوـيـنـيـ مـباـشـرـةـ، فـالـشـيـاطـينـ لـيـسـ هـمـ تـأـثـيرـ مـباـشـرـ وـإـنـاـ عـنـهـمـ مـسـ الذـيـ بـدـورـهـ يـرـجـعـ إـلـىـ الـإـدـرـاكـ وـالـأـعـصـابـ أـوـ الـصـرـعـ أـوـ الـتـلـبـسـ وـهـذـهـ أـمـورـ تـؤـثـرـ فـيـ بـدـنـ إـلـيـانـ.

فـإـذـاـ تـمـادـواـ فـيـ الغـيـ وـالـعـدـوـانـ قـدـ يـصـلـوـنـ بـهـ إـلـىـ الـمـوـتـ مـنـ سـكـتـةـ قـلـبـيةـ أـوـ دـمـاغـيـةـ أـوـ قـرـحةـ أـوـ نـزـيفـ أـوـ شـلـلـ لـبعـضـ الـاعـضـاءـ، كـماـ ذـكـرـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـالـهـلـلـهـ أـوـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ لـحـجـرـ بنـ عـدـيـ أـنـ سـيـشـتـرـكـ فـيـ دـمـكـ شـيـاطـينـ الجـنـ وـالـإـنـسـ معـ اـنـ قـتـلـ فـيـ مـرـجـ عـذـراءـ قـرـيبـ الشـامـ حـيـثـ قـتـلـهـ جـنـودـ مـعـاوـيـةـ، وـلـكـنـ المـقصـودـ أـنـ تـأـثـيرـهـمـ عـلـىـ إـلـيـانـ عـنـ طـرـيقـ النـفـسـ وـالـخـيـالـ

لأنهم في الخارج العيني يكونون شيء بل هذا طريق تأثيرهم.

أما المعجزة التي هي عن طريق الإدراك فتختلف..

فالفرق الأول أن في المعجزة التي هي عن طريق الإدراك أن هذا الإدراك من عوالم علمية وهو أن الإدراك العقلي يوجد الشيء أو طبقات الملكوت توجد الشيء.

والفرق الثاني أن المعجزة أو الكرامة وان كانت قد تتصل بالمخيلة مثل ﴿وَيُقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ فهذا يرتبط بعض مناطق الإدراك وهذا الإدراك إذا كان يتعلق بخيال فهو الخيال المنفصل الذي هو البرزخ النازل.

هذا هو مراحل القضاء والقدر وألواح القدر، فإن ألواح القضاء القدر هي التي تبني وتوسّس ما يوجد في عالم المادة أو الدنيا، والرؤيا الصادقة في الواقع من ذلك كما بين فلسفياً أن النفوس الكلية هي التي تفيض على عالم المادة، فالنفس تشاهد في المنام ما ارتسم في النفوس الكلية التي تسمى بألواح القضاء والقدر، هذه النفوس الكلية ما فيها من قضاء وقدر هي متعدد وما يرسم فيها هو إرادتها وهي التي تفيض بالإيجاد في عالم المادة، لأن عالم المادة دائمها هو قابل والفاعل هو النفوس الكلية، فما يرسم في النفوس الكلية هو إدراك لكنه موجود ومفيض في الخارج.

هناك حالات أخرى للمعجزة بعيدة ولا تختلط بالسحر فقد تفسر ﴿وَيُقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ بهذا التفسير بمعنى حجب الإدراك أي يسمح لكم أن تدركوا كل ما عندهم من عدة وعد ﴿لِيَقْضِي اللَّهُ أَمْرًا كَاتِمَفْعُولًا﴾ فلا يهاب المسلمين الكفار ويزدادوا عزيمة

والكفار أيضاً لا يستهينوا بال المسلمين، فهنا لا يوجد تصرف وإنما حجب يزيد من الهمة والعزيمة، مثلاً لأن النجوم البعيدة نراها لأن صغيرة فهل هذا يجعلها صغيرة والحال أنها ليست صغيرة وإنما بعد المسافة يجعلها صغيرة، أو مثلاً النار الجوالة فإذا تدبرها ترى حلقة من نار ولكنها نقطة تدور بسرعة، وهذا الخطأ بالدقة ليس خطأ في الحس وإنما هو خطأ في كيفية تفسير الحس، أو ترى صفت الشارع في نهاية الأفق متصلة والحال إنما غير متصلة وغيرها، والآن اكتشفوا عدسات لا تصور بشكل سطحي وإنما تصور بشكل دائري، وبعض الذين حصل لهم نزع روحي ثم أفاقوا قالوا قد شاهدنا من جسدنا ما لم نشاهده في عمرنا قط ووجدنا كيف هو جمال الجسد الذي يدل على جمال صنع الله، وإلى لأن حتى الأجهزة العلمية المسلحة لا تدرك كل جوانب هذا البدن وإنما تدرك بعض الجوانب.

فهناك درجات في الإدراك وفي الحس مختلفة ومتفاوتة ولا يعني ذلك السفسطة أو عدم الحقيقة وإنما في الحقيقة يسمى نسبية إدراك الحقيقة، ومثل حاسة الشم فعند بعض النساء تشم حتى رائحة الهواء، أو أن الكلب يشم على بعد مئات الأمتار أو أن الحيوانات تسمع ذبذبات البرزخ، ولكن تقليلها لا يعني قلب الحقائق وإنما هذا مقدار ما يفاض من الحقائق، وهذا نظير ما صنعه النبي ﷺ في موضع من حياته فالنبي عليه السلام ليلة المبيت لما مر عليهم سكر على إيصارهم فما استطاعوا رؤية النبي ﷺ فهنا حجب النبي عنهم والله قد حجب فيضيه عن أن يدركونا، حتى في شبيه النبي عيسى عليه السلام ففي تعبير الروايات التي عليه شبه عيسى أي في الخارج لا أنه تصرف في العين، فالمقصود أنه يمكن تصوير التصرف في الحس في المعجزة لكنه ليس بسحر.

والآن مائز آخر «ثم قال ﷺ وأما قولك وما أنت إلا رجل مسحور فكيف أكون ذلك وقد تعلمون إني في صحة التمييز والعقل فوقكم» فمن شروط صاحب المعجز أن يكون أكمل وأوفر عقلاً من يحتاج عليهم صاحب المعجز فالله لا يعطي المعجز إلا مل م يكون أفر عقلاً وعلماً، فهذه سنة إلهية وتكوينية وحكمة بالغة من الباري وهو أن صاحب المعجزة يكون أفر علمـاً وأفر عقلاً، لأنـ المـعـجزـةـ حـجـةـ وـاـحـتـجـاجـ وـصـاحـبـ الـحـجـةـ وـالـاـحـتـجـاجـ إنـها جـعـلـتـ لـهـ الـحـجـيـةـ لـكـيـ يـهـدـيـ وـيـرـشـدـ الـعـبـادـ وـإـنـاـ وـهـبـ لـهـ هـذـاـ الـمـنـصـبـ لـكـيـ يـكـونـ دـاعـيـاـ إـلـىـ اللهـ بـإـذـنـهـ وـسـرـاجـاـ مـنـيرـاـ، فـلـابـدـ أـنـ يـكـونـ نـورـ الـعـلـمـ وـالـعـقـلـ لـدـيـهـ أـفـرـ، وـهـذـاـ نـكـتـةـ مـهـمـةـ فـيـ التـمـيـزـ بـيـنـ الـمـعـجزـةـ وـبـيـنـ غـيـرـ الـمـعـجزـةـ مـنـ الشـعـبـذـةـ وـالـسـحـرـ وـغـيـرـهـاـ، وـهـيـ أـنـ الـمـعـجزـةـ لـابـدـ أـنـ يـكـونـ صـاحـبـ الـمـعـجزـةـ أـفـرـ عـقـلاـ وـعـلـمـاـ.

وبالمقابل تماماً من النكات اللطيفة هو أن الساحر متصرف فيه وأمر طبيعي أن يكون هو مسخر من قبل الجن والشياطين والمسخر من قبل الجن والشياطين وبالتالي عنده شطط وعقله فيه جنة وبالتالي لا يسيطر على أفعاله ولا حرکاته ولا سلوكه، ولذلك الأنبياء إذا سحرـواـ لـاـ يـسـحـرـوـ فـيـ عـقـولـهـ وـإـنـاـ يـسـحـرـوـ فـيـ أـبـدـاـهـ، مـثـلـ يـقـولـ النـبـيـ أـيـوبـ ﷺ أـنـيـ مـَسـَّنـيـ الشـيـطـانـ بـنـصـبـ وـعـذـابـ ﴿ هـذـاـ فـيـ الـبـدـنـ، وـقـدـ خـاطـبـ إـبـلـيـسـ رـبـ الـعـالـمـينـ وـمـنـ العـجـيبـ فـيـهـ (لعـنهـ اللهـ) مـعـ كـلـ ذـلـكـ التـمـرـدـنـرـيـ اـنـهـ لـاـ زـالـ عـنـدـهـ نـوـعـ مـنـ الـمـحاـوـرـةـ مـعـ السـاحـةـ الإـلـهـيـةـ وـلـوـ عـبـرـ الـمـلـائـكـةـ قـفـالـ يـاـ رـبـ تـبـاهـيـ بـهـذـاـ العـبـدـ فـسـلـطـنـيـ عـلـيـهـ فـسـلـطـهـ عـلـىـ بـدـنـهـ فـقـطـ، وـمـاـ ذـكـرـ فـيـ بـعـضـ كـتـبـ التـارـيـخـ أـنـ النـبـيـ ﷺ سـحـرـ فـيـ بـدـنـهـ أـيـ مـسـ فـيـ الـبـدـنـ وـهـذـاـ كـلـهـ بـإـذـنـ اللهـ، بـلـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ فـالـنـبـيـ ﷺ قدـ يـجـرـحـ أـوـ يـصـابـ فـيـ بـدـنـهـ وـهـذـاـ كـلـهـ بـإـذـنـ خـاصـ وـإـلاـ فـيـ الـحـالـةـ الـاعـتـيـادـيـةـ الشـيـاطـينـ وـالـمـرـدـةـ لـيـسـ فـقـطـ لـاـ يـسـتـطـيـعـونـ أـنـ يـتـسـلـطـوـاـ عـلـىـ اـبـدـانـ الـأـنـبـيـاءـ

بل حتى لا يستطيعون أن يقتربوا منهم لوهج نورهم وقدسيتهم وما يحوم حولهم من الملائكة الحافظين كما يشير إليه القرآن.

وقد تشاهد الساحر بحالات هلوسة لكي يمكنه أن يتعامل مع الشياطين والجحن حتى يؤثر في الغير وبعضاهم تصير له حالة رعشة أو اهتزاز روحي أو خوف دائم أو البعض عنده فرح دائم أي انه غير متزن. وبالتالي نعلم ان صاحب المعجزة الإلهية يقدر الله على كمالات وفضائل أكثر.

وبعد ذلك يقول ﷺ «فهل جربتم علي منذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة خزية» أي عمل شنيع وهذه صفة عملية فان صاحب المعجزة هو صاحب كمالات علمية وعملية وهو عكس الساحر أو المشعوذ (أو زلة) التي قد تكون خطأ فحتى الخطأ لا يرتكب النبي ﷺ (أو كذبة أو خيانة أو خطأ من القول أو سفها من الرأي) أي رأي غير سديد، والغريب كيف نجد انه تروي بعض المذاهب روايات للخل في حق النبي ﷺ او إن بعضهم يستدل من خلالها على عدم عصمة النبي ﷺ او انه معصوم فقط في تبليغ الوحي اما باقي حالاته فهو معرض للخل والزلل وغيرها !!

إذاً أحد فوارق المعجزة مع السحر والشعبنة والاحتيال هو أن صاحب المعجزة لابد أن يكون ذاتي المعجزة برهان بينما الشعبنة صورتها قاهرة فقط وان في المعجزة تحدي للآخرين ويعجزون عنها وحقيقة أنها ليست برهاناً، وهذا فارف مهم بين المعجزة والسحر والشعبنة.

### المحور الخامس والعشرون: المعجزة ومراتب القدرة الغيبية:

هناك أمر منطقي ففي أي دولة بشرية وضعية فان القدرات الخطيرة لا يضطلع بها ولا تمكن إلا أمناء السر أي لهم مقام وحظوظ خاصة وهذا أمر طبيعي، فكيف بنظام الدولة

الإلهي (فلا يطلع الله سره وقدرته) وهذه مقامات مهمة خطيرة إلا إلى المفهوم إليهم صلحيات خاصة، مثلًا أحياء الموتى لا يوكله الله تعالى إلى غير ذوي المناصب من قبله تعالى، وعلم الغيب لابد له من مقام ومنصب لمن يوكل إليه، لذلك سر شهادة المعجزة صدق صاحبها بهذا الاعتبار، كما عبر عليه الله: «المعجزة شهادة من الله تعالى لصاحب المعجزة بالصدق» وهذا تعريف دقيق، لأنه لا تفوض ولا تعزى ولا توكل إلا إلى من له حظوة، إذًا مراتب الملوك أو مراتب القدرة الغبية فكلها مراتب، حتى تصل إلى مرتبة يختص بها ذوي المناصب لأنها قدرات لها نحو التصرف في نظام الكون وبالتالي تكون خاصة، ومن الواضح انه من الحكمة بمكان كما في دول البشر ان القدرات والمناقب العالية لا تعزى لأي أحد فكلما تزيد القدرة كلما يحتاج إلى صاحب تلك القدرة إلى حكمة وحنكة وتدبير فائق يتناسب مع القدرة، والعقل حينما يحمل هذا المطلب يقرر القدرة الهائلة كيف تعطى إلى من لا يحسن التدبير أو لا يحسن الحكمة في التصرف بمثل هذا المصدر الهايل الخطير، فهناك تناسب طردي يحكم به العقل بين تنامي القدرة وتنامي العلم والحكمة والطهارة والعصمة، وبالتالي فإن القدرات الإلهية الخاصة تعزى إلى ذوي الطهارة الإلهية الخاصة والحظوة الإلهية الخاصة.

ومن باب المثال أن للشياطين قدرة في الإرعب والإخافة والبطش ولكن عندما يصل الحال إلى ملائكة النار فان بطيشهم حتى الشياطين تخاف منه وإرعب مالك خازن النار تخاف الشياطين يعني نفس النار كمخلوق من مخلوقات الله، فإن ابليس على مخوفته والعفاريت بقوتهم يتسللون أمام النار، بل حتى عزرائيل عليه السلام يرعب الشياطين والعفاريت إذاً حتى في جانب البطش الإرعب والإخافة فإنه إذا يشتدى بصير ييد من له حظوة إلهية، والجمال كذلك ففي رواية عن حذيفة اليهاني كان مع النبي عليهما السلام ليلة الجن «مسجد الجن لأن» فإن النبي عليهما السلام

خط خطأ لحذيفة وقال له لا تقترب بينما هو نور يتوهج عليه وآله فاخذ يخوض في الجن ويحل مشاكلهم ويدعوهم إلى الإسلام، بينما حذيفة لو تقدم أنملة ربما يصييه من قبل المس أو الصراع مع انه من خيرة اصحاب الرسول عليه وآله.

إذاً القدرات حتى في جانب الجمال فإنه موجود لأهل الدنيا ولكن حينما يشتد الجمال يصير بيد من عنده حظوات وقدرات إلهية، ففي الروايات لو أن حورية من الحور العين لو تطل على سماء الدنيا لصار كذا وكذا عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال:

«لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها وكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض»<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الروايات أن الحور العين خلقوا من نور الإمام الحسين عليه السلام ولذلك أن لسيد الشهداء جمال خاص، او ان القلم خلق من نور الحسن عليه السلام، ويدرك في الروايات لو علم زائر للحسين ثواب الزيارة له كذا من الحور العين.

عن ابن مسعود قال: «دخلت يوما على رسول الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله! عليك السلام، أرني الحق لأنظر إليه، فقال: يا عبد الله! أرج المخدع، فوجلت المخدع وعلى بن أبي طالب يصلى وهو يقول في سجوده وركوعه: اللهم بحق محمد عبدي أغفر للخاطئين من شيعتي، فخرجت حتى اجتررت برسول الله عليه وآله وسلم فرأيته يصلى وهو يقول: اللهم بحق علي عبدي أغفر للخاطئين من امتني.

---

(١) الترغيب والترهيب - الصفحة أو الرقم: ٣٨٩ / ٤

قال: فأخذني من ذلك الملع العظيم، فأوجز النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم في صلاته، وقال: يا ابن مسعود! أكفر بعد إيمان؟ فقلت: حاشا وكلا يا رسول الله، ولكن رأيت عليا يسأل الله بك، ورأيتك تسأل الله بعلي، فلا أعلم أيهما أفضل عند الله عز وجل؟ قال: اجلس يا ابن مسعود، فجلست بين يديه فقال لي: أعلم أن الله خلقني وعليها من نور قدرته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس، ففتق نوري فخلق منه السموات والأرضين، وأنا والله أجل من السموات والأرضين، وفتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، وعلي بن أبي طالب والله أفضل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أفضل من اللوح والقلم. وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحوار العين، والحسين والله أفضل من الحور العين. ثم أظلمت المغارب والمغارب، فشكّت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلم الله جل جلاله كلمة فخلق منها روحًا، ثم تكلم بكلمة فخلق من تلك الكلمة نورًا، فأضاف النور إلى تلك الروح وأقامها مقام العرش فزهرت المغارب والمغارب، فهي فاطمة الزهراء ولذلك سميت الزهراء، لأن نورها زهرت به السموات. يا ابن مسعود! إذا كان يوم القيمة يقول الله جل جلاله لي ولعلي: أدخل الجنة من شنتها، وأدخل النار من شنتها، وذلك قوله تعالى: ألقوا في جهنم كل كفار عنيد، فالكافر من جحد نبوتي، والعنيد من جحد بولالية علي بن أبي طالب وعترته، والجنة لشيعته ولمحبيه»<sup>(١)</sup>.

وعلى أي تقدير فتلك القاعدة مطردة سواء كان جانب الحلال أو جانب المحال إذا

---

(١) ورد في الانوار النعمانية - ج ١ ص ٢٠.

اشتلت تكون ليس بيد البشر بل بيد من له حظوة عند اللدن الإلهي، وان المعجزة قد تكون جلالية أي فيها بطش أو تكون جمالية.

### المحور السادس والعشرون: الفرق بين المعجزة والقدرات الغريبة:

من زاوية أخرى كل المعاجز تتوقف على بيان علمي، ومن ثم يوجد جملة من القدرات الروحية لكثير من عامة الناس حتى ان الذين ليس لديهم اطلاع أو تنقيب يتوهون من القدرات الغريبة أنها معجزة والحال أنها ليست معجزة، مثل قراءة الضمير فإنها ليست بمعجزة وتوجد رواية عنمن كان معاصر للإمام الصادق لم يكن مسلماً وكان يقرأ الضمير فسأله الإمام الصادق مع ان الإمام يعرف وأراد أن يهديه فقال له من ذلك؟، قال لأنى أخالف هوى نفسي، فقال له الإمام اعرض الإسلام على نفسك هل يطابق هواك فقال لا، فقال فخالف هواك فاسلم، روي:

«أنه جاء في عهد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما شخص من بلاد الهند بحيث كان يخبر عن كل ما خبيء في اليد، فذكر ذلك للإمام عليهما فطلبه عليهما وبحبا شيئاً في يده وسأل ذلك الهندي عما في يده ففكر ثم أجاب فكان الجواب صحيحاً، فقال له الإمام عليهما حدثت والآن سأضع في يد شيئاً آخر فمد الإمام عليهما يده المباركة خارج المنزل ثم في لحظة أدخل يده وقال له: الآن قل لي ماذا في يدي؟ ففكر الرجل كثيراً ثم قال: قد جلت في هذه الساعة كل الدنيا وقد رأيت كل شيء في مكانه إلا أنه في جزيرة من جزر الهند فقدت بيضة من قن الدجاج الفلامي، ففتح الإمام عليهما يده وقال له: صدقت ثم قال له: قل لي كيف وصلت إلى هذه المرتبة؟ فقال الرجل: كنت أخالف كل ما كانت تطلبني حتى وصلت إلى هذه المرتبة، فقال الإمام عليهما:

وماذا تطلب نفسك هل تطلب الكفر أم الإسلام؟ فقال: نفسي ترغب الكفر: فقال له الإمام عليهما السلام إذن خالف هواك، فاسلم ذلك الرجل ثم سأله الإمام عليهما السلام: هل ينكشف لك الآن شيء ألم لا؟ فتأمل ذلك الشخص وقال له إني لا أرى شيئاً، فقال له الإمام عليهما السلام: صدقت بذلك لأنك عندما كنت كافراً كنت تعطى لما كنت تبذله من رياضات الأجر عليه، أما الآن وقد صرت مسلماً فقد سدت عليك أبواب المكاففات ، فاشتغل الآن بالعبادات الشرعية لعل الله يعطيك مرتبة أرفع وستعطي أيضاً بالآخرة».

وعلى أي تقدير من يعرض عن الدنيا فيجعل صفحة وجه قلبه صوب إلى الآخرة وإن لم يطع الله يعطيه الله الحكمة وبالتالي هو يسافر ويهاجر روحًا عن دار إلى حواف الملوك ومن ثم يعطى الحكمة، وفي تعبير للإمام الصدق إنني أنزلت الدنيا عندي بمنزلة الميتة فكأنى كالراكب لا ينزل من مركوبه ويتناول منها إلا بمقدار الضرورة.

فقد روی عن الإمام الصادق عليهما السلام: «يا حفص ! .. ما أنزلت الدنيا من نفسي إلا بمنزلة الميتة إذا اضطررت إليها أكلت منها»<sup>(١)</sup>.

وينقل عن البهلوان كان قليل الأكل كثيراً فقالوا له ماذا؟، فقال لم أكون مصنعاً لتوليد النجاسات.

المقصود كثير من عامة الناس يظنون أن بعض الطاقات والقدرات الروحية هي معاجز، كلا أنها ليست من المعاجز، فإن القرآن يحذثنا عن عفريت يستطيع أن يطوي الأرض في مدة قليلة خلال ساعة أو أقل ويحمل شيء ثقيل من اليمن إلى بيت المقدس،

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢ - الصفحة ٢٧ .

ولذلك الكثير من المرتاضين لهم قدرة طي الأرض، ويقال أن الشيخ البهائي كان يلاحق شخص مرتاض وساحر كان يلاحقه بطي الأرض، أو في بعض التعبير حول أصحاب الإمام عجل الله فرجه عندما يمتحنهم الإمام في مسجد الكوفة في امتحان يتعصون في الاستجابة فيدورون الأرض يعني يطوفون الأرض، ولذلك الإنسان في حين هو مؤمن ومتقي عنده قدرات روحية معينة وقد يرتكب معصية وقد لا تسلب عنه تلك القدرات الروحية وهذا لا يعني انه في بحبوحة من طاعة الله، لأن عنده ملكات نورانية ولا يعني ذلك انه لا توجد معصية، وعلى آية حال أن تركيبة نفس الإنسان عجيبة وطاقاتها المكنونة أكثر من مدهشة، وهناك طي للسمع وهناك طي للبصر وهناك طي للعوالم، مثلاً في روایة أن أمير المؤمنين عليه السلام كان بمقدار صعوده الفرس ونزوله من الجهة الأخرى كان يقرأ القرآن كله.

إذاً هذه القدرات الروحية كلها لا تعني العصمة والحجية كما لا تعني انه مقيم على الطاعة، فإنه قد أعطي له نتيجة عمل معين والله يقول ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وهذا جزاء عمل لكن عمله الآخر قد لا يسبب سلبه له ومع ذلك لا يعني انه في بحبوحة، إذاً ميزان استقامة العمل هو الكتاب والسنة، أما مثل هذه الشواهد أو المشاهد أو الكواشف ليست هي المدار، كما هو الحال في إبليس فان لディة من النفوذ في بني البشر انما هو جزاء السجدة التي سجدها لالاف السنين مع أن هذا العمل صورته حسنة ولكن باطنها عفن لأن فيه طمع وتكبر ورياء وهذا من عدل الله حتى الصورة الحسنة يجازي بها وهذا يدلل أن العبادات لها شرف ذاتي حتى لو كانت بصورة حسنة وباطنها خاوي مع ذلك لها حسن، «لأعطين الحكمة ملن زهد في الدنيا ولو كان كافراً»، فهذا ليس بالأمر السهل فمع انه غارق بالمعاصي فان وجود الكفر لم يسلب هذا التمكين، وهذه المباحث مغفول عنها عند عموم

الناس بل حتى الخواص يصير دونها استدراج أو استغفال.

إبليس لم يسلب هذه الحبوبة جزاءاً لذلك العمل، فعدم السلب ليس دليلاً أنه مقيم على الطاعة، لذلك على الإنسان أن يحذر من نفسه الاستدراج فان اخطر شيء الاستدراج الإلهي، فيعطيك جزاء ما سبق مع ذلك أنت مستدرج، ولذلك ورد في الروايات من عصى معصية ولم تسلب منه النعمة فليعلم انه مستدرج، فقد لا تصيبه الحبوبة فانها اخطر، لأن الحليم هو الجبار فإذا حلم فهو من الاستدراج.

#### المحور السابع والعشرون: تميز المعجزة عن الأعمال الصعبة:

«قال لو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدللكم على أن ذلك ليس في طبائع سائر من أجනاسه من الملائكة حتى يصير ذلك معزاً إلاّ ترون أن الطيور التي تطير ليس ذلك منها بمعجز لان لها أجناس يقع منها مثل طيرانها ولو أن ادميا طار كان ذلك معجزاً فالله عز وجل سهل عليكم الأمر وجعله بحيث تقوم عليكم حجته وانت تقررون عمل الصعبة الذي لا حجة فيه».

هنا يبين نكتة أخرى أن كثيراً يختلط عليهم الأمر في الأعمال الصعبة يحسبونها خارقة للعادة ومعجزة وهي ليست معجزة، إنما من العمل الصعب الذي لا حجة فيه ولا يمثل أي شهادة من الله تعالى فيه، وهو نفس ما اقترحوه من أن يكون رجل من القرتيين عظيم أو يكون له كنوز أو جتتين، ولنفرض أنها أمر صعب لكن ليست هي معجزة وإعجاز، وإن كلامه بمعجزة الملائكة انه ربها حتى من يشاهد الملائكة هذا لا يدل على إعجاز خاص أو توصيل خاص أو خطاب خاص من الله لذلك الشخص، فقد يظهر الملك لا من باب الرسالة

والرسول بل من باب المشاهدة.

بعارة أخرى حتى الأنبياء أحد مناشئ علمهم بأنهم أنبياء وان ما يرسل إليهم من الملائكة رسول من الله بإنبائهم هو أقدار الله لأولئك الأنبياء بمعاجز ليست من فعل الملائكة ولا من فعل البشر فهذه شهادة من الله لصاحب المعجزة بالإنباء وان له مهمة إلهية يقوم بها ورسالة يؤديها، وإلا صرف مجيء الملك لا يعني انه وحي.

قد نجد بعض الخروقات حتى في أنواع من الأحجار الكريمة أن من خصائصها مثلاً أن تخفي من يحملها أو تمنع صاحبها من أن تناوله الرصاصية التي تطلق، وقد جرب ذلك بعضهم على حيوان (ديك) وقد رأى ان ذلك الحيوان يرفع بسرعة هائلة عند انطلاق الرصاصية. ولكن كل هذه ليست معجزات والسندج من الناس تنطلي عليهم هذه الخروقات.

وحتى الأعمال الصعبة التي يعجز اغلب الناس عنها فان حجج الله يؤتون بها ان استلزم الامر ذلك ومنها ما روي عن قضية رمي السهام التي قام بها الامام الباقر في مجلس الخليفة هشام حينما استدعي الامام الباقر و معه ولده الصادق للشام في تلك الرحلة الشهيرة.

فقد قام الامام بعمل من اصعب الاعمال وما يعجز عن اتيانه اهل الاختصاص به.

روي عن الصادق ع في رواية طويلة نأخذ منها موضع الحاجة:

«أنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي معه، فأشخصنا إليه فلما وردنا دمشق حجبنا ثلاثة أيام ثم أذن لنا في اليوم الرابع، فإذا هو قد قعد على سرير الملك وجنته وخاصة وقف على أرجلهم سماطين متسلحين، وقد نصب البرجاس (هدف الرمي)

حذاءه وأشياخ قومه يرمون. فلما دخل أبي وأنا خلفه، ما زال يستدinya منه حتى حاذيناه وجلسنا قليلاً فقال لأبي: يا أبا جعفر لو رميتك مع أشياخ قومك الغرض؟ وإنما أراد أن يضحك بأبي ظناً منه أنه يقصـر فلا يصـيب الغرض لـكـبر سنـه فـيـشـتـفـيـ منهـ! فـاعـتـذرـ أـبـيـ وـقـالـ: إـنـيـ قدـ كـبـرـتـ فـإـنـ رـأـيـتـ أـنـ تـعـفـيـنـيـ، فـلـمـ يـقـبـلـ وـقـالـ: لـاـ وـالـذـيـ أـعـزـنـاـ بـدـيـنـهـ وـنـيـهـ، ثـمـ أـوـمـاـ إـلـىـ شـيـخـ مـنـ بـنـيـ أـمـيـةـ أـنـ أـعـطـهـ قـوـسـكـ، فـتـنـاـوـلـهـاـ مـنـهـ أـبـيـ وـتـنـاـولـ مـنـهـ الـكـنـانـةـ فـوـضـعـ سـهـمـاـ فـيـ كـبـدـ الـقـوـسـ فـرـمـىـ وـسـطـ الـغـرـضـ فـأـثـبـتـهـ فـيـهـ ثـمـ رـمـىـ الثـانـيـ فـشـقـ فـوـقـ السـهـمـ الـأـوـلـ إـلـىـ نـصـلـهـ، ثـمـ تـابـعـ حـتـىـ شـقـ تـسـعـةـ أـسـهـمـ، فـصـارـ بـعـضـهـاـ فـيـ جـوـفـ بـعـضـ، وـهـشـامـ يـضـطـرـبـ فـيـ مـجـلـسـهـ، فـلـمـ يـتـمـالـكـ أـنـ قـالـ: أـجـدـتـ يـاـ أـبـاـ جـعـفـرـ فـأـنـتـ أـرـمـىـ الـعـرـبـ وـالـعـجمـ! زـعـمـتـ أـنـكـ قدـ كـبـرـتـ، كـلـاـ! ثـمـ نـدـمـ عـلـىـ مـقـالـتـهـ وـتـكـنـيـتـهـ لـهـ، وـكـانـ مـنـ تـكـبـرـهـ لـاـ يـكـنـيـ أـحـدـاـ فـيـ خـلـافـتـهـ! فـأـطـرـقـ إـطـرـاقـ يـرـتـئـيـ فـيـهـ رـأـيـاـ، وـأـبـيـ وـاقـفـ إـزـاءـهـ وـمـوـاجـهـ لـهـ وـأـنـاـ وـرـاءـ أـبـيـ، فـلـمـ طـالـ الـوقـوفـ غـضـبـ أـبـيـ وـكـانـ إـذـاـ نـظـرـ السـمـاءـ نـظـرـ غـضـبـانـ يـتـبـيـنـ الغـضـبـ فـيـ وـجـهـهـ! فـلـمـ نـظـرـ هـشـامـ ذـلـكـ مـنـ أـبـيـ قـالـ: اـصـعدـ يـاـ مـحـمـدـ فـصـعـدـ أـبـيـ السـرـيرـ وـصـعـدـتـ، فـلـمـ دـنـاـ مـنـ هـشـامـ قـامـ إـلـيـهـ وـاعـتـنـقـهـ وـأـقـعـدـهـ عـنـ يـمـيـنـهـ، ثـمـ اـعـتـنـقـيـ وـأـقـعـدـيـ عـنـ يـمـيـنـ أـبـيـ، وـأـقـبـلـ عـلـىـ أـبـيـ بـوـجـهـهـ وـقـالـ: يـاـ مـحـمـدـ لـاـ تـزـالـ الـعـرـبـ وـالـعـجمـ تـسـودـهـاـ قـرـيـشـ مـاـ دـامـ فـيـهـمـ مـثـلـكـ وـلـلـهـ درـكـ، مـنـ عـلـمـكـ هـذـاـ الرـمـيـ وـفـيـ كـمـ تـعـلـمـتـهـ؟ـ! فـقـالـ أـبـيـ: قـدـ عـلـمـتـ أـنـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ يـتـعـاطـونـهـ فـتـعـاطـيـتـهـ أـيـامـ حـدـاثـيـ ثـمـ تـرـكـتـهـ، فـلـمـ أـرـادـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـيـ ذـلـكـ عـدـتـ إـلـيـهـ، فـقـالـ: مـاـ رـأـيـتـ مـثـلـ هـذـاـ الرـمـيـ قـطـ مـذـ عـقـلـتـ، وـمـاـ ظـنـنـتـ أـحـدـاـ فـيـ أـهـلـ الـأـرـضـ يـرـمـيـ مـثـلـ هـذـاـ! فـأـيـنـ رـمـيـ جـعـفـرـ مـنـ رـمـيـكـ؟ـ

فـقـالـ: إـنـاـ تـوارـثـ الـكـمالـ وـالـتـهـامـ وـالـدـيـنـ اللـذـينـ أـنـزـلـ اللـهـ تـعـالـيـ عـلـىـ نـيـهـ فـيـ قـوـلـهـ: ﴿الْيَوْمَ

أَكْلَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا<sup>(١)</sup>. والأرض لا تخلو من يُكَمِّلُ دينه من هذه الأمور التي يقصر عنها غيرنا، فكان ذلك عالمًا ! فلما سمع ذلك انقلبت عينه اليمنى فاحْوَلَتْ واحْمَرَّ وجهه، وكان ذلك عالمًا غضبه إذا غضب، ... إلى آخر الرواية<sup>(٢)</sup>.

فحتى الكراءات الجسمانية والاختصاصات الثانوية اتها الله تعالى لهم حتى لا يعلو عليهم احد في اي جانب من الجوانب.

#### المحور الثامن والعشرون: المعجزة هوية إثبات بشهادة الهيئة:

وعلى أي تقدير من هذا الجانب يقدر صاحب المعجزة على ما لم يقدر عليه غيره، إذا شان المعجزة وكنهاها هو أعظم من اثر المعجزة لأن أثرها هو تصديق الآخرين ، فكنه المعجزة وحقيقة أنها من قدرات الغيب التي لا يمكنها الله عز وجل إلا لذوي المنصب الخاص من حججه، فتكون شهادة وتكلم من الله لصاحب المعجزة ولغيره، ومن ثم معاجز الأنبياء قصرت عنها الحكمة والعرفاء فمهما بلغوا لا يمكن اوحديهم من المعجزة، فهذا خط أحمر لا يتجاوزه أحد.

فالنتيجة من لديه هذه الهوية وهي دخول اعمق للمنطقة الربوبية فإذا دخل تلك المنطقة فتلك تعطي هوية خاصة وهي المعجزة وإذا لم يدخل المنطقة الربوبية فهذا مجرد ادعاء فمهما قال الإنسان إني صالح أو تقى فلا بد من إثبات لصاحب هذا المنصب من الله وهذه من اثارها المعجزة فمهما ادعى من خروقات فهي ليست معاجز وإنما هي أما تصب في رياضات

---

(١) والأمان من أخطار الأسفار للسيد ابن طاوس /٦٦؛ ومدينة العاجز: ٥/٦٦، والبحار: ٤٦/٣١٣.

أو كرامات أو غيرها، وربما حتى صاحب الكرامة يشط عن الطريق فيحسب أن هذه الكرامة معجزة، فهذه ليست هوية إثبات بل المعجزة هي هوية الإثبات.

يقول ﷺ «بل إنما بعث الله بشرًا وأظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم فتعلمون بعجزكم عما جاء به انه معجزة وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له» فنفس المعجزة شهادة من الله له بالصدق، فاحد تعاريف المعجزة أنها شهادة من الله للمرسل من قبله تعالى، فهذه الشهادة يعني أفعال الله تعالى تعتبر شهادات سواء شهادة بمعنى التحمل أو الحضور في ساحة الحدث للمشاهدة، والشهادة تستعمل بمعنى الأداء أو توثيق الحدث والإدلاء بما حصل في الحدث فهنا «وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له» بمعنى الأداء اما كيف يبين الباري تعالى فواضح أن أفعاله تعالى هو كلامه تعالى، ومؤدي كلامه هو مؤدي الفعل، فأقدار الله عز وجل للنبي على إثبات المعجز هو تكلم من الله وشهادة منه على صدقه، إذاً في عالم الإمكاني لا يمكن الله أحداً بما يعجز عنه الجميع إلا أن يكون حظياً عند الله وله قربي وزلفى عند الله، وهذه القاعدة تكوينية.

قلت سابقاً ان هذا المفاد قد يستغله أصحاب الطاغوت والطغيان والأغبياء أنهم ذوي زلفى عند الله بسبب ترفهم وغناهم وسطوتهم وهذا خطأ، فان التفضيل في الرزق أو الملك الظاهر شيء والانفراد بقدرة في غير قدرة البشر هي أمر آخر فان تلك الحال لها شهادة في الصدق، فإذا كانت معجزة خاصة خارقة لا يستطيعها البشر والجنة، وأما إذا لم يكن الأقدار بتلك الدرجة فلا شهادة فيها وإنما هي في خضم وعموم الامتحان الإلهي للمخلوقات ولبني البشر من تمكينهم من أمور كما مكن بعضهم من سلف ومن غير فليست هي إعجاز

أو تحدي أو تفرد وامتياز، ولكن أصحاب منهج التضليل والإغواء ليشرعوا لطغيانهم وجبروتهم وفرعونهم يسوقون مثل هذه القاعدة، وهو تمسك مغالطي لا حقيقي.

«وان ذلك شهادة من الله تعالى بالصدق له ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدللكم على أن ذلك ليس في طباع سائر أجناسه من الملائكة حتى يصير ذلك معجزاً» إِذَاً المعجز عبارة عن قدرة إلهية خاصة من اللدن الإلهي لا يعطي تلك الصلاحية إِلَّا لذوي المهام الإلهية من قبله تعالى، وتكون المعجزة قدرة إلهية ما إِذَا كانت متفردة ومتميزة لا يستطيع التمكّن منها أجناس المخلوقات، أما ما يصنعه العفاريت من طي الأرض وغير فهذا ليس تفرد، لذلك طي الأرض لا يسمى معجزة وقد يكون كرامة أو غير كرامة، وقد اوضحنا الفرق بين المعجزة والكرامة قد يكون هو أن الكرامة قد يتمكن منها حتى الكافر وتعطاه لأجل ممارسة رياضة أو ما شابه ذلك.

#### المحور التاسع والعشرون: كنه المعجزة أعظم من اثراها:

ان شان المعجزة وكتتها هو أعظم من اثرها لأن اثراها هو تصديق الآخرين، فكنه المعجزة وحقيقة أنها من قدرات الغيب التي لا يمكنها الله عز وجل إِلَّا لذوي المنصب الخاص من حججه، فتكون شهادة وتتكلم من الله لصاحب المعجزة بالصدق ولغيره بالهدایة، ومن ثم معاجز الأنبياء قصرت عنها الحكماء والعرفاء فمهما بلغوا لا يمكن احدهم من المعجزة، فهذا خط أحمر لا يتجاوزه احد. ولا ينالها الا من لديه هذه الهوية وهي دخول المنطقة الربوبية فإذا دخلت تلك المنطقة فممكّن لك ان تؤتي المعجزة وإذا لم تدخل المنطقة الربوبية فهذا مجرد ادعاء فمهما قال الإنسان إني صالح أو تقي فلا بد من إثبات

لصاحب هذا المنصب من الله وهي عبر المعجزة ، ومهمها ادعى من خروقات فهي ليست معاجز وإنما هي أما تصب في رياضات أو كرامات أو غيرها، وربما حتى صاحب الكرامة يشط عن الطريق فيحسب أن هذه الكرامة معجزة، فهذه ليست هوية إثبات بل المعجزة هي هوية الإثبات.

أن من أحد الأمور المهمة التي كان يمتحن فيها الأئمة غير معرفتهم بما في الضمير وغيره من الاعجازات، وهو العلم بكل المسائل المرتبطة بالدين، سيما انه قد كان في الطائفة رعيل من الفقهاء والتكلمين وغيرهم ومن خواص أهل البيت عليه السلام لا يكتفون بامتحان الإمام في بادئ الأمر بل إلى آخر حياته سلوكاً وخلقاً ونجدـة ونجـابة واكـرـومـة وفـهـما وعلـمـا وحـلـمـا ... الخـ، وـاـنـ مـنـ اـحـدـ بـيـانـاتـ الرـسـوـلـ صلـوةـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـامـ التـيـ بـيـنـهـاـ سـابـقـاـ حـيـنـاـ أـشـكـلـ عـلـيـهـ بـأـنـهـ لـابـدـ لـلـرـسـوـلـ مـنـ قـصـورـ وـخـدـمـ وـجـنـاتـ، فـأـجـابـ النـبـيـ صلـوةـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـامـ بـاـنـ هـذـاـ خـلـافـ وـظـيـفـةـ الرـسـوـلـ فـاـنـ وـظـيـفـةـ الرـسـوـلـ هـوـ أـنـ يـاـشـرـ النـاسـ وـيـؤـدـيـ الرـسـالـةـ وـيـطـلـعـوـاـ عـلـيـهـ وـعـادـةـ الـحـجـابـ يـمـنـعـوـنـ ذـلـكـ فـبـالـتـالـيـ يـعـلـمـ بـهـ النـاسـ.

### **المحور الثلاثون: المعجزة العلمية أبلغ من المعجزة المادية:**

هناك امر اخر ركز عليه المتكلمون وال فلاسفة وهو أن المعجزة العلمية أبلغ من المعجزة المادية، فالمعجزة المادية هي معجزة ودلائل وبرهان وبيان ولكنها دلائل وبرهان للذين يصررون نظرتهم على الأسباب المادية والفيزيائية، وأما ذوي اللب في الحقيقة إنما يجدونهم جانب العلم والحكمة، لأن المعجزة العلمية في الحقيقة تتضمن ليان قدرة أوسع من القدرة المادية، فالقدرة المادية إنما ينالها الحس بمعونة العقل والحس لوحده لا يستعين المعجزة المادية،

لكن محدودية قدرة المعجزة المادية هي المادة أما محدودية أو حدود ودائرة المعجزة العلمية أوسع من ذلك بل هي تنتد بحسب العوالم كعالم الآخرة والعالم الأخرى بل حتى في عالم الربوبية، فالمعجزة العلمية أبلغ بياناً للقدرة الإلهية من المعجزة المادية لذوي اللب والحكمة عكس الماديين أو عكس ضئيلي العلم والحكمة، لأنهم مسجونون في المادة والحس، أي نطاق إدراكيهم للعالم مقتصر على الحس ويجهلون ما وراء الحس، فهم مثلاً الميزان لديهم في مقام المادة فقط، وهذه المطلب للأسف الحضارة الغربية برمتها قائمة عليه إلاّ القليل من التيارات الفلسفية الغربية اللاهوتية، وهو أن الدلائل والإثبات قائم على العنصر التكنولوجي والمادة، والتنظير والثقافات والبيانات الأيدلوجية هذه كلها سراب عندهم وفي الحقيقة إن نظرتهم هذه تعبر عن ألوان براعة عصرية بثواب جديدة وإنما هي نفس فكرة الجاهلية.

والحال أن مثل هذا الأساس إذا ابنت عليه النظرية الفلسفية الغربية المادية أو الفلسفية الحقوقية لديهم أو القانونية هو في الواقع مبنية على جهل جهيل، لأن القدرة المادية محدودة، بينما القدرة في العالم الأخرى غير محدودة، والبرهان والبيان والإعجاز غير المادي هو بيان خالد دائمًا، أي لا يضيق بقصر عمر الدنيا، ومن ثم هو ثابت على عكس البيان المادي، ومن باب المثال القرآن الكريم بما فيه من علوم وبيانات علمية لا زال حي حاضر، أما مثلاً ناقة صالح أو عصى موسى وإحياء الموتى للنبي عيسى وغيرها، فتلك نراها في وقتها وان كانت المعجزة المادية يتحدى بها الله بها البشر إلى يوم القيمة وهذا من نكبات المعجزة المادية، ولكن وقعها وظرفها متصرم، لأن ظرف الإعجاز هو خروج الناقة مثلاً من الجبل، وهذا بخلاف القرآن الكريم الذي هو معجزة علمية تستمر لكل زمان وتحل في كل مكان . ومثلاً الإسلام لا زال يثبت نتائجه الاعجازية من حرمة الriba والاحتياط وحرمة المعاملة الخاوية الباطلة.

أما الآن الكثير في اللاشعور ثبوت الفكر على معطيات مادية يتأثر بها الإنسان في تصويب الصواب وتحقيق الحق بدلاً عن أن يكون على أساس علمية خارجة عن نطاق المادة، وهذا آفة خطيرة من التزعة الحسية في مقابل التزعة العلمية والعقلية، ولابد من دوام الانتباه والالتفات إليها وهي نوع من التوصية المنطقية وهو أن الإنسان لا تتجاذبه التزعة الحسية والتزعة الحسية والمواد والاستدلالات الحسية فإنها ليست تمام الحقيقة.

قد ذكرنا سابقاً أن الكرامات لا تصل في مبلغها مبلغ المعاجز، وبعبارة أخرى يوجد نوع من المعاجز لا تعطى ككرامات، لأن الأولياء ليس مبلغهم من الكرامات كمبلغ أصحاب الحجج الإلهية فأولئك يزودون بشيء أنفس وأقوى وأكرم واسرف. نعم في بعض الكرامات قد تكون كرامة وقد تكون معجزة حسب حال التحدي، وقد ذكرنا في الدورة الأربعينية فإنه يوجد علامة أعظم من الصيحة أو السفياني أو الخراساني، فالمعجزة العلمية عند ذوي الألباب أعظم من المعجزة العملية.

مثلاً من ضروريات الدين وسنة النبي، ومنهاج الأووصياء فهذه الضروريات لاستكشاف إمامية العدل وتميزها عن المدعين والكذابين فهذه أكبر في البصيرة والنفاذ أكبر حتى من صيحة السماء لوجوه عديدة ذكرناها، لأن العلم شيء آخر ولأنه بالعلم صارت الصيحة معجزة، فأعظم علامة لإمامية أهل البيت عن العلماء هي «أشهد إنك جاهدت في الله حق جهاده وعملت بكتابة واتبعت سنته نبيه» فلا يستطيع أمام الجور أن يكون كل عمله بكتاب الله وإن يتبع كل سيرته بسنة الرسول فلا بد أن يتخذ شعار الغاية تبرر الوسيلة أو المصالح أو سد الذرائع وبالتالي لا يتبع سنة النبي، وهذا من إعجاز نسيج الدين أنه لا يمكن

أن يسير بسيرة الكتاب والسنّة إلّا المعصوم، وان من أهمّ أوسمة علي بن أبي طالب «واتبع سنن نبيه» والبعض يتصرّف بها سهلاً ولكن هذا امنع ما يكون، ولذلك علماء الأمامية في بيان باطل أئمة الجور يذكرون مخالفاتهم لسنن النبي' وكتاب الله ويُشيرون إلى مخالفات فلان مع كتاب الله وسنن النبي ﷺ، فهذه الملفات كلها شواهد على تساقط تلك العناوين مقابل صدق إمامـة أهلـ الـبيـت عـلـيـهـ الـحـلـمـةـ بـخـلـافـ أـهـلـ الـجـورـ، وهذا هو معنى كونـ الـصـرـوـرـيـاتـ مـيـزـانـ وـمـحـكـمـ يـمـيـزـ بـهـ الـحـقـ مـعـ الـبـاطـلـ عـبـرـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـةـ النـبـيـ، فـتـكـونـ الـآـيـةـ الـعـلـمـيـةـ أـعـظـمـ مـنـ الـآـيـةـ الـعـمـلـيـةـ.

### المحور الحادي والثلاثون: نفس صاحب المعجزة :

قلنا فيما سبق في تبيان معنى المعجزة ان من ابرز معانيها هو الطاعة من المخلوقات الأخرى لصاحب المعجزة ونوع نافذية قدرة صاحب المعجزة في الموضوع الذي تتحقق فيه المعجزة نفسها.

وبرهان ذلك في القرآن فان هناك أقوال في علم الكلام حول ماهيه وحقيقة المعجزة فهل هي استجابة الدعاء أو القدرة والولاية التكوينية، والتفسير الفلسفـي لاستجابة الدعاء عند ابن سينا هو في الواقع قدرة، وهو كون النفس البشرية بنحو ترتبط بالنفس الكلية فتؤثر، ومثلا يقولون فلان المتقى صاحب اليقين مستجاب الدعوة وهناك مستجاب الدعوات وهناك مستجاب الدعوة بنحو غالب او دائم كالأنبياء، ويشرح ابن سينا ذلك بقوله أن نفس هذا الشخص متصلة بالنفس الكلية فعندما تطلب وترغب أو تريد فيكون من إرادة للنفس الكلية الذي قد يكون هو ملك عظيم مثلاً.

إذاً مقام نفس من النفوس البشرية وان يكون مستجاب الدعوة ينبيء أن النفس تصل إلى مقامات متصلة مع النفس الكلية بحيث إرادتك تسخر إرادة ذلك الملك بأقدار من الله، ولذلك ابن سينا يرد على المتكلمة من قولهم أن استجابة الدعوة هي خرافية، ويقول أن هؤلاء لا يفهمون من الفلسفة شيء وإنما هي حقائق ثابته، واتفاقاً ابن سينا حتى بحث التوسل تعرض له في الشفاء وأيضاً في الإشارات، أما الذين يحكمون بالخرافية فهو لاء عالة على الفلسفة وليسوا فلاسفه.

وإنما التفسير الفلسفى أو الرياضي أو الروحي بهذا الالحواظ وهو انه اعداد للروح لأن طاقاتها جباره، فالروح تستطيع أن ترتبط أو تدرج فهو يهوى الروح لذلك الذكر اللسانى ويشدد من الذكر القلبى والذكرة القلبى يشدد من العروج الروحي، ومن باب المثال هناك رواية في (الخرج والجراء):

«عن الرضا، عن أبيه عليهما السلام: ان رجلاً وشى إلى المنصور ان جعفر ابن محمد عليهما السلام يأخذ البيعة لنفسه على الناس ليخرج عليهم فاحضره المنصور، فقال الصادق عليهما السلام: ما فعلت شيئاً من ذلك، فقال المنصور لحاجبه: حلف هذا الرجل على ما حكاه عن هذا - يعني: الصادق عليهما السلام - . فقال الحاجب: قل والله الذي لا اله الا هو - وجعل يغاظ عليه اليمين - . قال الصادق عليهما السلام: لا تحلف هكذا، فاني سمعت أبي يذكر عن جدي رسول الله، انه قال: ان من الناس من يحلف بالله كاذباً فيعظمه الله في يمينه، ويصفه بصفاته الحسنة ف يأتي تعظيمه لله على اثم كذبه ويمينه، ولكن دعني احلفه باليمين التي حدثني أبي، عن رسول الله، انه لا يحلف بها حالف الا باهاته، فقال المنصور: فاحلفه إذاً يا جعفر، فقال الصادق عليهما السلام للرجل: قل: ان كنت كاذباً

عليك فبرئت من حول الله وقوته، وجلأت إلى حولي وقوتي، فقل لها الرجل، فقال الصادق (عليه السلام): اللهم ان كان كاذبا فأمته، فما استتم كلامه حتى سقط الرجل ميتا، واحتمل، ومضى به. الحديث».

### المحور الثاني والثلاثون: طواعية الملائكة لأصحاب منصب خليفة الله:

لسنا قد اقتصرنا على البيان الكلامي في حقيقة المعجزة التي هي مبحث من مباحث النبوة، فهناك بيان قرافي على أن العاجز كلها بقدرة من صاحب المعجزة الذي يوليه الله هذا المنصب، والبيان القرافي هو «إني جاعل في الأرض خليفة» وفي سبع سور تبين الآيات أن الذي يجعل له منصب الخليفة فإن من مراسم ومستلزمات هذا المنصب أن يطوع الله له ويقيده الله جميع ملائكة الدنيا والآخرة والسموات والأرض والرياح وخازن الجنان والنيران ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ففي سبع سور فيها اطوع جميع فرق وأقسام الملائكة إلى منصب خليفة الله وان علمه يفوق علم الملائكة وهو معلم الملائكة وفي القرآن الكريم أن جملة عالم الدنيا والطبيعة هي مطوعة وتحت قدرة الملائكة ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً \* وَالنَّاشرَاتِ نَشْطاً \* وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً \* فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً \* فَالْمُدَبِّراتِ أَمْرَا﴾<sup>(٣)</sup> وبضم المقدمات مع بعضها نستتتج أن خليفة الله الذي يعطيه الله معجز ل لإثبات منصبه يصدر المعجزة بأطوع الله تلك الموجودات له.

(١) سورة الحجر: الآية ٢٩.

(٢) سورة الحجر: الآية ٣٠.

(٣) سورة النازعات: الآية ١ - ٥.

## المحور الثالث والثلاثون: مجرد التمكين واستجابة الدعاء لا تدلان على الفضل عند الله:

نكتة لطيفة في الفرق بين المعجزة والشعبنة والدجل والسحر، وهو ربها يعرف أن الطرف الآخر هو مبطل ومشعوذ لكنه يتمتم باسم من أسماء الله الذي له بعض الآثار، ولكن لا يدل ذلك على أنه محق، فهذه النكات قد تلتبس على عامة الناس ولكن دون أولياء الله والعلماء الراسخون اذ المفروض توفرهم على بصيرة في التمييز. إذ مع كون هذا من أهل النار الا انه لأجل أن الباري عادل ولا يجور فأي مثقال ذرة من العمل قبل أن يدخله النار يكافئه بالرغم من انه باطل كعمل، ولذا نجد إبليس قد استغل استجابة الدعاء من الله لأجل إضلال البشر والإيغال أكثر ومع ذلك مكنه الله من ذلك امعانا في الاختبار للعباد<sup>(١)</sup>.

فهذه القدرات الملكوتية لإبليس لا تعني أن إبليس محق الا اننا نلاحظ ان عباد إبليس انطلت عليهم الشبهة من جهة القدرات الملكوتية، وتمكين الله له وان كان فتنه وامتحان الا انه تعالى في قبال ذلك أعطانا قدرة التمييز لذلك، إذاً صرف التمكين والقدرة هذا لا يعني عن ذلك الطرف محق، فمع انه مستجاب الدعوة ولكن لا يدل على انه محق ولكن استجاب دعوته في دار الدنيا، وهذه قد تختلط على الناس فقد تجد إنسان مبطل ذو خلق نبيل فالله يستجيب له من هذه الجهة جراء له في دار الدنيا.

يكفي اننا لا ندرك مظاهر عده تعالى وتدبيره لشؤون العباد البر منهم والفاجر.

---

(١) فليراجع القارئ الكريم خطبة أمير المؤمنين في ذم إبليس على استكباره - نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد.

#### المحور الرابع والثلاثون: المعجزة متقومه بالتوسل:

«ثم قال رسول الله عليه وآله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ «وأسألك أيمها الجبل أمرك الله بطاعتي» وهي القدرة والإيمان  
 «فيما التمسه منك بجاه محمد والطيبين» وهذا توسل بمعنى أن المعجزة متقومه بالتوسل،  
 وهذا البيان يرجع إلى نفس البيان الذي يشار إليه في باب التوسل وان التوسل يرجع إلى  
 الوساطة في الفيض والى سلسلة مراتب الوساطة في الفيض والإفاضة، وبالتالي إنكار التوسل  
 هو إنكار سلسلة مراتب المخلوقات والنظم في عالم الخلق الذي أبدعه الباري، ويرجع إلى  
 إنكار سنة الله التكوينية.

وهناك تفسير آخر وهو أن ذكر أسمائهم و لا يتهم افاض الله المقامات وقد ذكرت  
 هذا المطلب في الإمامة الجزء الرابع وهو أن الأنبياء فيما هو أعظم من معاجزهم هو نفس  
 مقاماتهم الغيبة ومنها النبوة التي نالوها كما في آية (٨١-٨٠) من آل عمران ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنَّ  
 تَنْحِذُوا مِنَ الْمُتَّكِّهَةِ وَالنَّيْنَيْنَ أَرْبَابًا أَيَّامَرْكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسِلِّمُونَ﴾<sup>(٨٠)</sup>  
 ﴿وَإِذَا حَذَّ اللَّهُ مِيشَقَ الْنَّيْنَيْنَ لِمَآءَ أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتَؤْمِنُنَّ بِهِ  
 وَلَتَنْصُرَنَّهُ، قَالَ أَفَقَرَرْتُمْ وَأَخْذَتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشَهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ  
 الْشَّاهِدِينَ﴾<sup>(٨١)</sup> نالوها بالتوسل والشفاعة الذين هما وجهان لعملة واحدة، فالتوسل من  
 المستشفع له يسمى استشفاع ويسمى توسل واستغاثة، إذًا قانون الشفاعة عقيدة وحقيقة تكوينية  
 في عالم الخلق وهي نفس التوسل مع بعض الفروقات المعرفية .

وجاء عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين، في دعائه: «اللهم اجعل نبينا صلواتك

عليه وعلى آله يوم القيمة أقرب النبيين منك مجلساً وأمكنتهم منك شفاعة..<sup>(١)</sup>.

### المحور الخامس والثلاثون: علاقة صاحب المعجزة والعلم اللدني:

مر بنا أن الإعجاز ليس من الضرورة أن يقوم بآليات أو أدوات خارجة عن قدرة البشر، بل قد يقوم بقدرات في متناول البشر إلا إنهم لا يفطنوا إليها ولا يعوها وليس لديهم العلم بذلك، وهذا بخلاف صاحب المعجزة فان له ذلك العلم، ولا سيما في الخلافة والإستخلاف الإلهي فان قوامة بالعلم اللدني.

وما يرى ن عتاب الباري للأنبياء أو ما شابه ذلك هي بالحقيقة للمطالبة بمرتبة علم أعلى، وهذا قابل للتصوير وهو أن يكون هناك مراتب للعلم أو في طلب ذلك العلم، او ذلك الأمر إذا العلم خاطئ، وكثير من المذاهب وحتى النصارى واليهود عندهم نفس الخطأ الذي وقع فيه العامة وهو الخلط بين مراتب العلم والكمال وبين كمال ونقص.

وبعبارة أخرى أن التدبير إذا بني على علم لدنى فهذا التدبير كالإعجاز وان كانت آلياته معتادة وعادية، لأن التخطيط والتدبير الذي يبني عليه هو بالتالي إعجazi، أي يعجز عن ذلك التدبير غيره، إذاً الإعجاز ليس فقط في زاوية معينة أو في مقدمة معينة بل حتى العلم الذي هو منشأ التدبير إذا كان غير مقدور للبقاء وبالتالي يكون إعجazi، وهذا المقدار هل يمكن أن يكون من المقصوم أو خليفة الله في الأرض أن يكون هناك تدبير غير مبني على العلم الاعجazi، فتارة نقول التدبير من قبل الحكومة الإلهية باعتبار أن خليفة الله في الأرض أي يخالف بلا عزلة الله تعالى فيخالف الباري في التصرف بلا أن يكون الباري معزول، فهنا

ليس استخلاف عزلة كما في التفويض أي هو نوع تفويض وبالتالي ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ هو نوع تفويض، ولكن هذا التفويض ليس بمعنى عزل الباري وقدرته ويد تصرفه عن الأمور، ولذلك هناك تفويض عزي الذي هو باطل، وهناك تفويض ليس عزي أي بمعنى اقدار من الله وعدم انحسار قدرة الله، وهذا التفويض ليس هو التفويض الباطل المصطلح والمشهور بين المتكلمين، وإنما هو بمعنى التمكين والاقدار، واستخلاف الباري تعالى أيضا كذلك، أي إستخلفه وجعله خليفة واقدره وأمكنته بلا أن تنحسر قدرة الله وبلا أن ينحسر تصرف الله وبلا أن تنحسر مشيئة الله وبلا أن تنحسر إرادة الله فإنادته نافذة ومشيئته نافذة وماضية ومهيمنه، إلا انه أقدار للطرف الآخر وتوكيل ﴿يَتَوَفَّا كُمْ مَلَكُ الْمُوتِ الَّذِي وُكَلَ بِكُمْ﴾ فالاستخلاف موجود والتوكيل موجود، وهناك أيضا تعبير ثالث موجود «بإذن الله».



## الاتجاه الثاني

### الولاية التكوينية والقدرة للأنبياء والأولياء

«وانه قد جعل السماء والأرض طوعك والجبال والبحار تنصرف بأمرك» أن هذا المطلب عبارة أخرى عن الولاية التكوينية الذي تشهد له الآيات العديدة في القرآن ومنها ما في سورة البقرة وسورة أخرى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ أي انقادوا وأطعوا، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ثم أن خليفة الله ليس خصوص ادم بل ما نقل من مراسم تنصيب ادم انما هو كنموذج لل الخليفة، فمن شؤون خليفة الله أن يتعلم منه الملائكة، وبالتالي من لديه قدرة العلم والتي يفوق فيه قدرة علم الملائكة وبحسب الدليل العقلي منطقيا تكون قدرته اقدر من جميع الملائكة، لأن القدرة نابعة من العلم ولا يعقل قدرة بلا علم، فكلما ازداد بسط العلم ازدادت القدرة.

«وسائل ما خلق الله من الرياح والصواعق وجوارح الإنسان وأعضاء الحيوان لك مطيعة» أما الرياح والصواعق فإنها مدبرة من قبل الملائكة والملائكة طوع خليفة الله وبالتالي ما تحت سيطرتها هو تحت طوع خليفة الله، أما جوارح الإنسان كذلك فجملة من أعضاء الإنسان البدنية بل وقواه النفسانية مسخرة لذات الإنسان، مثلا الآية تقول ﴿وَقَالُوا لِلْحُلُودِ هُمْ لَمْ شَهِدُوكُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَإِلَيْهِ

**تُرْجَعُونَ**<sup>(١)</sup> فكأنما هناك اثنينية بين جلود الإنسان والإنسان، **﴿الِّيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَئِيمَهُمْ وَتَشَهُدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**<sup>(٢)</sup> فهنا اليد والرجل تشهد على الإنسان كأنها هي ذات أخرى. نعم هي مسخرة للإنسان، وهذا بحث فلسفياً بين المدارس الفلسفية وهو انه الإنسان ما هو؟، فحينما تقول بدني فانت تضيفه إلى ذاتك والذات غيره أو تقول نفسي والنفس تضيفها إلى ذاتك والذات هي شيء أو تقول روحي فأيضاً تضيف الروح إلى نفسك، أو تقول عقلي وهكذا تستمرة تضيف اذن أنت من؟، أنت ذلك الشيء المجهول عند الكل، فحتى العقل مسخر لتلك الحقيقة التي هي (أنا) فالنفس بيت للروح وآلتها وأدوات والروح بيت للعقل.

إذاً الجوارح عندما تأمر بطاعة النبي ﷺ ولا تأمر بطاعة الإنسان هذا ليس بالشيء العجيب، مثلاً الشخص المسحور أو الشخص الممسوس بالجبن ففي بعض الحالات يفقد السيطرة على بدنـه فالجـن أو الشـيطـان هو الـذـي يـسيـطـر فـيـتـكلـم بـصـوت آخر فـيـنـازـعـه فيـ بـدـنـهـ، فـالـإـنـسـان يـتحـكـم بـبـدـنـه عـبـرـ المـخـ وـالـأـعـصـابـ، إـذـا اـسـطـاعـ السـحـرـ أوـ الجـنـ أـنـ يـلـعـبـ وـيـعـبـثـ فـيـ هـذـهـ الأـعـصـابـ فـزـمـامـ التـحـكـمـ منـ الرـوـحـ فـيـ الـبـدـنـ يـخـرـجـ، وـطـبـيـعـةـ الجـنـ وـالـشـيـاطـينـ كـهـرـ وـمـغـنـاطـيسـيـهـ فـلـذـلـكـ إـذـا اـحـدـثـ لـسـعـةـ كـهـرـبـائـيـهـ يـعـطـلـ بـعـضـ الـأـعـصـابـ أوـ بـعـضـ خـلـاـيـاـ المـخـ، فـهـذـاـ الـبـدـنـ الـذـيـ هوـ مـرـكـبـ تـفـقـدـهـ الرـوـحـ وـتـصـيرـ النـفـسـ أـسـيـرـةـ، وـفـيـ بـعـضـ الـأـحـيـانـ يـتـحـكـمـ فـيـ الشـيـطـانـ أوـ الجـنـ وـبـعـضـ الـأـحـيـانـ يـتـحـكـمـ فـيـهـ إـلـيـهـ الرـوـحـ.

(١) سورة فصلت: الآية ٢١

(٢) سورة يس: الآية ٦٥

إذاً هذه الأعضاء خوادم وليست عين ذات الإنسان وليست دائمًا هي تحت قدرته فقد تخرج عن قدرته، لذلك هذا التعبير موجود في مفad الرواية فحتى جوارح الإنسان هي جند الله، لأنها تشهد على الإنسان لذلك هذه الجوارح إذا أراد الله بالفرد سوءًا فنفس هذه الجوارح تقوده إلى المهلكة، بل حتى القوى النفسية فيمكن للباري أن يشعلها بإثارة فتقود الإنسان إلى المهلكة ﴿وَلِلّٰهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

«وجوارح الإنسان وأعضاء الحيوان لك مطيعة وما أمرتها به من شيء أئمرت» فحتى الحيوان يمكن إيقاف أعضاء قواه إذا كان عند الإنسان سيطرة وهيمنة، وفي رواية أن اثنين من الرواة الإجلاء شاهدوا الإمام الصادق في طريقه إلى مكة وكان في الطريق سبع فقا لا نخبر الإمام الصادق لنرى كيف يصنع، فهما يردا أن يطمئنون بإمامية الإمام الصادق عليه السلام فلما رأوا الإمام الصادق على دابته إلى أن وصل إلى السبع فأخذ السبع يستعطف الإمام كالدابة الناعمة ثم ذهب، ثم أتوا إلى الإمام فقالوا سيدنا أردنا أن نتحنك فقال الإمام عليه السلام أن طاعة السبع أدنى درجة يصل إليها من كان شيعيا، فأول عالمة إلى تشيع المرء أن تطيعه السبع. وهذا مثل معجزة الإمام الرضا في محضر المؤمنون ومعجزة الإمام الكاظم في محضر هارون وقد ورد أمثال ذلك مستفيضا في تاريخ المعصومين عليهم السلام.

ويذكر النجاشي وغيره أن الحسن بن علي بن فضال شوهد عدة مرات في براري محطة بالكوفة يتبعده فيها وشوهد عدة مرات أن السبع تأتي وتلتمس البركة وتتلاس به والطير يقف عليه.

قال النجاشي: قال الفضل بن شاذان: رأيت قوماً يتناجون [في مسجد الربيع ببغداد،

فقال أحدهم: بالجبل رجل يقال له ابن فضال، أعبدَ مَنْ رأينا أو سمعنا به، قال: فإنَّه ليخرج إلى الصحراء فيسجد السجدة، فيجيء الطير فيقع عليه فما يظن إلَّا أنَّه ثوب أو خرقة، وإنَّ الوحش لترعى حوله فما تنفر منه، لما قد أنسَت به،... ثمَّ خرجمت إليه بعدُ إلى الكوفة فسمعت منه كتاب ابن بكر وغيره من الأحاديث، وكان يحمل كتابه ويجيء إلى الحجرة فيقرأه عَلَيْ... وكان مصلَّاه بالكوفة في الجامع، عند الأسطوانة التي يُقال لها «السابعة» ويُقال لها «أسطوانة إبراهيم (عليه السلام)<sup>(١)</sup>».

وفي رواية عن الإمام الباقر وردت في أصول الكافي في الجلد الثاني تقول:

«عن إسماعيل الجعفي أَنَّه قال: - سأَلْتُ أبا جعفر (الباقر (عليه السلام)) عن الدِّين الذي لا يَسْعُ العباد جهله، فقال: «الدِّينُ واسع، ولكنَّ الْخوارج ضيقوا على أنفسهم مِنْ جهلِهِم». قلت: جعلتُ فداك، فأَحَدَثُك بِدِينِي الذي أنا عَلَيْهِ؟ فقال: «نعم»، فقلت: أَشَهُدُ أَنَّ لِإِلَهِ إِلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله، وأَتُوَلَّكُمْ وأَبْرَأُمْ أَعْدَائِكُمْ وَمِنْ تَأْمُرَ عَلَيْكُمْ وَظَلَمَكُمْ حَقَّكُمْ، فقال (عليه السلام): «ما جَهَلْتَ شَيْئاً، هو وَاللهِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ»، قلت: فهل يَسْلِمُ أَحَدٌ لا يَعْرِفُ هَذَا؟ فقال: «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفُونَ»، قلت: مَنْ هُمْ؟ قال: «نَسَاؤكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ»، ثمَّ قال: «أَرَأَيْتَ أَمَّا أَيمَنَ، فَإِنِّي أَشَهُدُ أَنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَا كَانَتْ تَعْرِفُ مَا أَنْتَمْ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

أي حينما ماتت ولكنها تعرف الخمسة من أهل الكسأء ولا تعرف الأربعteenة الائتين عشر،

(١) رجال البجاشي: ص ٣٤ رقم ٧٢

(٢) الكافي ٢٩٨: ٢ / ح ٦ - باب المستضعف.

فهذه هي وظيفتها بهذا المقدار، فالمقصود بالنسبة إلى معرفة تفاصيل الإمامة هي إلى الحد الذي يعاصره ولكن إذا أبا الإنسان من قبل الإمام بالأئمة الذين من بعد كما هو في الأنبياء الذين كانوا في زمن النبي عيسى عليه السلام كانوا موظفين أن يؤمنوا بالنبي عيسى عليه السلام ومن قبله أو في موسى وإبراهيم ونوح وغيرهم، وإذا إنبائهم النبي الحاضر حينذاك عن الأنبياء الذين سيأتون فيجب عليهم الاعتقاد بمقدار ما يعلموه، وإذا لم يعلموا فليسوا بمؤمنين ولكن بمقدار ما علموا هم مأمورين.

«قالت اليهود يا محمد أعلينا تلبس وتشبه قد أجلست مردة من أصحابك خلف الصخور خلف الجبل وهم ينطقون بهذا الكلام ونحن لا ندرى أنسمع رجال أم من الجبال ولا يغتر بمثل هذا إلاّ ضعفائكم الذين تبحرون في عقولهم فان كانت صادقا فتنحى عن موضعك هذا إلى ذلك القرار وأمر هذا الجبل أن ينخلع من أصله فيسير إليك إلى هناك فإذا حضرك ونحن نشاهدك فأمره أن ينقطع نصفين من ارتفاع سمه ثم ترتفع السفلى من قطعه فوق العليا وتنخفض العليا تحت السفلى فإذا أصل الجبل قلته وقلته أصله يعني القاعدة فوق القمة أسفله (لنعلم انه من الله لا يتفق مثله بمواطأة ولا بمعاون موهين متمندين فقال رسول الله وأشار إلى حجر فيه قدر خمسة أرطال يا أيها الحجر تدرج فتدحرج ثم قال لمخاطبه خذه وقربه من إذنك فسيعيد عليك ما سمعته من الجبل فان هذا جزء من ذلك الجبل فأخذه الرجل فأدناه إلى إذنه فنطق الحجر بمثل ما نطق به الجبل أولا من تصديق رسول الله فيما ذكره عن قلوب اليهود وفيما أخبر به من أن نفقاتهم من أموالهم في دفع أمر محمد باطل و وبال عليهم فقال رسول الله أسمعت هذا اختلف هذا الحجر رجل

يكلمك أو الحجر يكلمك قال لا فأتنى بما اقترحت في الجبل فتباعد رسول الله إلى فضاء واسع ثم نادى الجبل وقال يا أيها الجبل بحق محمد وأهله الطيبين الذين بجاههم» فهنا قوام المعجزة بالتوسل بل كل دعاء قوامه التوسل ولا يستجاب إلا بالتوسل والمعجزة أحد مواطن وموارد الدعاء وظهور الولاية التكوينية للأنبية.

«حتى صاروا كهشيم المحتضر لما انقلعت من مكانك بإذن الله» هنا ليس المراد بالمحضر من الإنسان والهشيم هو الزرع المتهشم الذي تعصف به الرياح فيصير ركاما «وجئت إلى حضري هذه ووضع يده على الأرض بين يديه قال فترزل الجبل وسار كالقارح «الهملاج» الدابة ذو الحافر يركض الهرولة «حتى صار بين يديه ودنى من إصبعه أصله ولصق بها ووقف ونادى لها أنا سامع لك ومطيع يا رسول رب العالمين وان رغمت أنوف هؤلاء المعاندين مرنى بأمرك يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ أن هؤلاء المعاندين اقترحوا عليّ أن أمرك أن تنقلع من أصلك فتصير نصفين ثم ينحط أعلاك ويرتفع أسفلك وتصير ذروتك أصلك وأصلك ذروتك فقال الجبل» وهنا الدقة في معرفة عالم النظام الإلهي «افتأمرني بذلك يا رسول رب العالمين».

ويقول النبي ﷺ «فاستنبطق الله تعالى الجدي فاستوى على أربع قوائم وقال يا محمد لا تأكلني فاني مسموم قالوا صدقت يا محمد هذا خير من ذلك» أما كيف انه خير ذلك؟، باعتبار أن إرجاع الروح إلى الموجود ومعونة الموجودات طاعة للنبي من دون حاجة إلى استئثار جديد، فقدرة النبي ﷺ وولايته على المخلوقات واستجابتها ونصرتها له وما تحتاج إلى استئثار جديد من جبروت أو قدرة جبرائيلية خاصة، فبهذا اللحاظ هو خير.

«قالوا صدقت يا محمد هذا خير من ذلك» فالخريمة هي من هذه الجهة أي تبين ولاية وطاعة المخلوقات وال موجودات للنبي ﷺ، بل أن هناك روايات نصوص كثيرة بل حتى في التوراة بعض الإحداث الهامة مذكورة في التوراة كهجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ولا منافاة في ذلك.

بعد ذلك في الحوار بينه عليهما السلام واليهود يقول «فقال النبي ﷺ فنزلت عن بغلتي الشهباء فضررت بيدي إلى الجدي لأكل فاستنطق الله تعالى الجدي فاستوى على أربعة قوائم وقال يا محمد لا تأكلني فاني مسموم قالوا صدقت يا محمد هذا خير من ذلك قال النبي ﷺ هذه خمسة قالوا بقيت واحدة ثم نقوم من عندك قال هاتوا قالوا سليمان خير منك قال ولم ذلك ؟ لأن الله عز وجل سخر له الشياطين والإنس والجح والطير والريح والسبع فقال النبي ﷺ فقد سخر الله لي البراق وهو خير من الدنيا بحذافيرها وهي دابة من دواب الجنة وجهها مثل وجه الآدمي وحوافرها مثل حوافر الخيل وذنبها مثل ذنب البقر وهي فوق الحمار ودون البغل وسراجه من ياقوتة حمراء وركابه من درة بيضاء مزمومه بسبعين ألف زمام من الذهب» كيف يكون سبعين ألف زمام، ومعنى الزمام هو التحكم أي يوجد سبعين ألف نشاط «عليها جناحان مكللان بالدر والياقوت والزبرجد مكتوب بين عينيها لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله قالت اليهود صدقت يا محمد وهو مكتوب في التوراة» يعني معراج النبي ﷺ مكتوب في التوراة «وهذا خير من ذلك يا محمد نشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله» هنا أيضا نرى المفاضلة بين ملك سليمان وملك رسول الله ﷺ، فلا حظوا أن هناك جانب مشترك بين الأوبياء والأنبياء والرسل الذين يجعلون خلفاء الله في الأرض،

والجانب المشترك هو أن يطوع الله عز وجل جميع الملائكة المدبرين للعوالم وللكون والمكان وما شابه ذلك لطاعتهم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ فهذا منصب ومقام لكل من ينصبه الله خليفة له في الأرض، إذاً أصل هذه الولاية التكوينية بهذه القدرة مشتركة بين الأنبياء الذين يجعلون خلفاء الله في الأرض، وهذا مقام عظيم، فإذا كان إماماً الموتى قد وكل بها عزراً إيل وإحياء الموتى وكل بها اسرافيل وتقسيم المكائيل والمقادير وكل بها ميكائيل، وجبرائيل موكل بيت العلوم أو البطش الإلهي، وبالتالي كل هذه الأمور تحت حيطة خليفة الله في الأرض، وهذا أمر مشترك بين من ينصبه الله خليفة في أرضه.

إلا أن بعض الزائد عن هذا المقدار قد يمتع به بعض خلفاء الله في الأرض، أي بعض من ينصب أئمة في الأرض كما في سليمان عليه السلام فقد زيد في ملكه فعلاوة على ان خلافة الله في أرضه له من خالها صلاحيات زيد له في ملكه حيث سخر له الشياطين والإنس والجن والطير والرياح والسباع، أي تسخير آخر زائد.

وموجود في الأدعية في وصف النبي سليمان انه زيد في ملكه، وأيضاً حتى النبي عليه السلام داود زيد له في ملكه وهي إلة الحديد له بحيث عنده قدرة في يده يتصرف النبي داود في الحديد كما يتصرف في الطين، طبعاً كل خلفاء الله في الأرض كآدم ونوح وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل الذين جعلوا أئمة وخلفاء بالقدرة التكوينية على نهج الملائكة قد يقومون بهذا العمل لكن الذي اختص به داود فانه حتى في الحالة التلقائية أو حتى النفس النازلة مثلاً هذه الأمور تنصاصع لقدرته وليس فقط لنفسه الصاعدة التي يطوع بها الملائكة.

مثلاًً ورد في الإمام الحجة عج أن مشيه على الأرض يكون بطي الأرض، وطى

الأرض موجود عند بعض المرتاضين أو الأصفياء فضلاً عن أهل البيت عليه السلام، ولكن لم عبر انه من خصائص الإمام الثاني عشر؟، يظهر منه انه ليس بنحو رياضات المرتاضين بل بلحاظ النفس الصاعدة أو بأمر معين، بل حتى بحسب النفس النازلة والطبيعة البدنية للإمام الثاني عشر انه تطوى له الأرض، وكثير من تشرف بلقاء الإمام الحجة ذكروا ذلك الشيء و حتى في تعاير الروايات تطوى له الأرض وينخطو على قمم الجبال وكثير من تشرف من علماء الأمامية الكبار ونقلت قصصهم بطرق معتبرة شاهدوا هذا المشي منه، أو مثلاً في الروايات أن صوت زئير الإمام الثاني عشر تتدكك منه الجبال كحالة عادية وهو من بطش يده في الحالة العادية، وهو غير إعمال الولاية للنفس الكلية التي هي خلفاء الله في الأرض.

بعض خلفاء الله يزداد لهم في الملك والقدرات، وان جملة من تشرف بلقاء الإمام الحجة نقل ذلك فان بعض المجتهدين الكبار والمعلم عليهم كانوا يقصون ذلك في مشهد من الكبار ونقله عن أستاذة ايضا وانه رأوا هذه الحالة فيه وانه بيده العادية يقتلع الشجرة اذا هذه الزيادة والتعبير بأنها من خصائصه هو بلحاظ نفسه والحالة الاعتيادية له عليه السلام، والأئمة عليهم السلام لهم هذه الخاصية ولكن هذا بلحاظ نفسهم الكلية أو بلحاظ نورهم أو اطواب الملائكة لهم، وإلابة الحديد كذلك لخلفاء الله بتوسط طاعة الملائكة لهم، ولكن ما يكون حتى في النفس الجزئية في البدن فهذا من الخصائص.

مثلاً من خصائص بدن النبي صلوات الله عليه وآله فان له خصائص دون بقية خلفاء الله في الأرض أن بدن النبي صلوات الله عليه وآله ينبوع الحياة، بمعنى أن أي شيء يimas بدن النبي صلوات الله عليه وآله تدب فيه الحياة، وتظلله غمامه وهذه خصائص خاصة للنبي صلوات الله عليه وآله فيعطي ميزات خاصة، فان لبدن النبي صلوات الله عليه وآله قدرة

خاصة وما شابه ذلك، والمحصلة انه قد يعطى بعض الخلفاء زيادة في القدرة والولاية والتكونين كما قيل عن سليمان «بحق سليمان الذي زيد في ملكه».

ليس من الضروري أن يكون معنى الولاية التكوينية أو القدرة التكوينية بمعنى الآيات باهرة، بل العلم باهر بالوجود، فصنع المستحيل بنظر البشر فهو باليات سهلة فالعلم متوج لكل باهر ومعجز، وليس في ذلك غلو بل باليات عادية ولكن العلم هو علم لدني.

إذاً في حكومة النبي 'الإلهية أقل تقدير لابد أن يكون العلم مستند إلى العلم الإلهي، وهنا هم يسجلون بعض الإشكالات والمؤاخذات وهو أن في بعض تصرفات النبي ﷺ

ليست مستندة إلى العلم الإلهي ومن ثم نرى قوله تعالى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتَ لَهُمْ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَمْ تُحِرِّمْ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ﴾ ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتَنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾

وغيرها فيدعون في تفسير هذه الآيات أن التدبر هنا ليس من الله، وكذلك بقية الأنبياء كما في قوله ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاؤُودَ ذَا الْأَيْدِيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ بِالْعَشَيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَهُ وَفَصَلَ الْخُطَابِ﴾ ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبْأُ الْخُصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمُحْرَابَ﴾ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاؤُودَ فَفَزَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخْفُ خَصْمَانِ بَعْنَى بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحُقْقِ وَلَا تُشْطِطْ وَاهِدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصَّرَاطِ﴾ ﴿إِنَّ هَذَا أَخْيَ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَهَةً وَلِيَ نَعْجَهَهُ وَاحِدَهُ فَقَالَ أَكْفِلْيَهَا وَعَزَّزَ فِي الْخُطَابِ﴾ ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمْكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَغْيِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاؤُودُ أَنَّهَا فَتَّنَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ فَغَفَرَنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿يَا دَاؤُودَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ

خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلوك عن سبيل الله إن الذين يضلُّونَ عن سبيل الله هُمْ عذابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ<sup>(١)</sup>، فهل يا ترى أن خليفة الله لا يستند فعله للعلم اللدني ويستند إلى علم ذهني بشري عادي ينطئ ويصيب؟، كلا فهذا خطأ فإنه دوماً حجة الله و الخليفة الله المعصوم عمله وفق تدبير إلا أن العلوم الإلهية ذات مراتب **﴿وَقَوْقَ كُلُّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾** **﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾** فمع أن علمه من الله ولكن أزاده علماً فوق ذلك، أو **﴿وَكُلَّاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾**، فعلم إيتائي لدني، وحكمة ايتائية لدني ولكن ذات مراتب فالأعلى تكمل الأدنى لا بمعنى أن الأدنى غير صحيح وغير مستقيم، وإنما بمعنى أن هناك ما هو أكمل وهم خلطوا بين العلم الصحيح الصائب الذي فيه ما هو أكمل منه وفوقه وبين أصل العلم الذي لا يطابق الحقيقة.

وبعبارة أخرى فرق بين الإحاطة بكل الحقيقة وبين عدم إصابة الحقيقة بتاتاً، فتارة يصيب الحقيقة ولكن لا يستوعبها وهذا بحث آخر ولكن بالنتيجة فإن ما قام به وما أصابه هو حقيقة، إذاً عدم الالكتفاء بالأدنى والمحاولة دوماً الترقي إلى الأعلى فالأعلى لا أن المكان الذي كانوا فيه ليس بمعصوم أو خاطئ أو ضلال أو اجتهاد ظني، إنما هو علم لدني والعلم اللدني يقول الباري فيه مراتب **﴿وَكُلَّاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾** وليس اكتسبه، إذاً علم لدني معصوم ولكن هناك فوقه علم أعلى، فهو لم يتغير العلم الأعلى من الله ولا بد أن يتغيره، بل إنما هو دوماً في حالة دعاء وليس هو الدعاء اللساني فقط وإنما الدعاء بحقيقة الواقع او كما يقول أهل المعرفة هو الدعاء الحالى حين يكون حاله الحقيقى انه طالب وضارع متضرع

(١) سورة ص: الآية ١٧ - ٢٦.

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فهو ذو علم ولكن يسأل دوما عن مراتب علوم أكثر فأكثر، فهو يجب أن يسأل ما ليس عنده.

إلى هنا انتهى كلامنا حول مبحث المعجزة

### **المبحث الثالث: أمور تتعلق بالرسالة**

قال ابن منظور في لسان العرب: «الرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر فمن أنت جمعه أرسلأ قال الشاعر: قد أتها أرسلي، ويقال: هي رسولك. وتراسل القوم أرسل بعضهم إلى بعض. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَأَتَيْا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ﴾ ومعناه إنا رسالة رب العالمين أي ذوا رسالة رب العالمين. ولم يقل رُسُلٌ فوضع الواحد موضع الجمع لأن فعلاً وفعيلاً يستوي فيما المذكر والمؤنث والواحد والجمع . والجمع أَرْسُلُ ورُسُلُ ورُسَلَاءُ الأخيرة عن ابن الأعرابي وقد يكون للواحد والجمع. وسمى الرسول رسولاً لأنه ذو رساله والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة وأرسلت فلاناً في رسالة فهو مرسل ورسول قوله عز: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٌ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال الزجاج: يدل هذا اللفظ على أن قوم نوح قد كذبوا غير نوح -<sup>عليهم</sup>- بقوله الرسل ويجوز أن يعني به نوح وحده لأن من كذب بنبي فقد كذب بجميع الأنبياء لأنه مخالف للأنبياء لأن الأنبياء - عليهم السلام - يؤمنون بالله وبجميع رسليه ويجوز أن يكون يعني به الواحد»<sup>(١)</sup>.

ولنا هنا مجموعة من الجوانب التي تتعلق بالرسالة وفق المحاججة النبوية المبحوث

فيها:

---

(١) لسان العرب - ابن منظور - مادة رسول - ٢٨٣ / ١١.

## الجانب الأول: الرسول والرسالة:

«فإنما أنت عبد نذير لا شريك في المملكة» أن النذارة في الرسل ثم أن النذير أو الرسول في الأنبياء والرسل أولي الملائكة والرسالة في اصطلاح القرآن كما بينها أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الروايات وهي نكتة لم يلتفت إليها المفسرون يعني كل مأمورية إلهية ولن يست بالضرورة أن تكون إبلاغ علمي خبري بل حتى القيام بمهمة معينه فمثال لذلك جبرائيل في إهلاكه لقوم لوط، وبين أمير المؤمنين عليه السلام موارد استعمال الرسول «وجعل من الملائكة رسلاً» فكل الملائكة رسل مع أن بعضهم ملائكة عذاب بمعنى أن وظيفتهم العذاب، فالمراد من «لا شريك في المملكة» أي انه ليس لديك صلاحيات مطلقة وإنما ما حدد إليك من صلاحيات.

أن الرسالة ليس من الضروري أن تكون مأمورية علمية أبلاغية فقد تكون بعثة الرسالة مأمورية تنفيذية بمعنى دور تنفيذي عملي وليس إبلاغ إنذار أو بشاره، مثلا دور ذا القرنين الذي ليس هو رسول أونبي بحسب التعريف القرآني لكنه أمام وهذا يؤثر في الفهم القرآني كثير، فالملايكه يوصفون بأنهم رسل الله، هنا المراد من دور ورسالة الملائكة ليس فقط الإبلاغ العلمي بل لتنفيذ مهام، مثلا جبرائيل يأتي ويقلب سبع قرى لقوم لوط، فهذه رسالة والرسالة هي المأمورية ﴿الَّذِينَ يُلْغِونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾<sup>(١)</sup> فالمأمورية وظيفة مهمة، وهذا يفتح باب عجيب في قواعد علم التفسير في القرآن على الباحثين التمعن والتدبر به طويلا.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

### الجانب الثاني: معنى الرسول في القرآن والروايات:

أن هناك رسول نوعي ورسول شخصي وهذا البحث لا باس أن نذكره فرسول الله في التعبير القرآني هو كل من يوكل بِمأمورية يقال عنه رسول ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَرَسُولٌ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ أَمْوَاتٌ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾<sup>(٦١)</sup> فالرسول في استعمال القرآن الكريم هو كل من ينذر من أصناف إله إلى مأمورية ومهمة يعبر عنه القرآن الكريم برسول، وهذا الاصطلاح هو غير اصطلاح المتكلمين، فالنبوة أمر والرسالة بمعنى الشريعة أمر أما رسول الله بِمأمورية معينة أمر آخر، والشاهد في روایات أهل البيت عليه السلام الكثير من قول (أرسلنا) ليس المراد منه خصوص الأنبياء، وإنما من يبعث بِمأمورية، والمهم انه يمكن أن يشاهد في الآيات والروايات تعريف الرسول غير ما هو معروف عند المتكلمين.

نعم استعمال الرسول في فهم الآيات والروايات بما هو مقرر في علم الكلام من انه صاحب شريعة أو نبوة، ولكنحقيقة استعمال القرآن الكريم في الآيات والروايات للرسول لا ينحصر بمن يكون نبيا، ففي قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فالبعثة هي إرسال والملك عبارة عن القدرة ﴿أَمَّرَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَيْنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاءَنَا إَلَّا إِنَّهُمْ أَكْثَرُهُمْ وَالْحُكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾<sup>(٦٢)</sup> وهنا هي الإمامة فان احد أسمائها القدرة والملك وهذا يحتاج الى استقصاء المعنى من القرآن لفهمه، والمهم أن طالوت صاحب

(١) سورة الأنعام: الآية ٦١.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٤.

## ١٤ ..... مباحث حول النبوات

مأمورية فان الله بعثه، ونفس الشيء في قصة ذي القرنين ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخَذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾<sup>(١)</sup> ومع أن ذي القرنين ليس بنبي وليس هناك من يجزم بأنه نبي، بل في الروايات انه وصي وعبد صالح فهو بعث وفق مأموريه ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ ﴾.

والمصطلح القرآني (الرسول) هو على المبلغ للرسالة السماوية من الملائكة والناس والرسالة السماوية بها تشتمل يتم تبليغها من خلال رسول الله من الملائكة والناس، ومن هنا نجد ان معنى الارسال العام يشمل الانبياء وغيرهم.

فالهم أن معنى الرسول كما موجود في الروايات والآيات يطلق على كل مقرب وصفي ومصطفى من الله يبعث ويأمر ويوكل إليه مأمورية معينة ويندب من قبل الله أي يبعث، مثلا عزرايل من رسل الله وليس بنبي وأعون عزرايل رسول الله ولا يقال أنبياء، وطالوت مبعوث ولكن ليست بعثة شريعة مع ذلك كانت عندهم عصمة وهي معنى القدرة والوحى. ومثل تعبير ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَدِئُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فيخبر عن الله ولكن ليس بشريعة، والحضر يقول ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ فالأوامر التنفيذية الجزئية ليست شريعة وليس تنظير كلي وإنما هي تنفيذ وتطبيقات في الدولة الإلهية.

فالملتصود أن البعثة والرسالة في الروايات والآيات لا تلازم النبوة، وكذلك في قوله ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثَ رَسُولًا ﴾ فهذا بيان وحججة ولو من خلال الأئمة، ولذلك في التعبير ﴿ يُنَزَّلُ الْمَلَكَاتُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ ﴾

(١) سورة الكهف: الآية ٨٦.

﴿٢﴾ ولم يقل أنبياءه، كما أن الفقهاء وهم لا يقايسون بالمعصومين أطلق عليهم في القرآن بالقيام بالإذنار فكيف بالمعصومين، وهذا بحث مهم يفتح باب كبير، أما الآن في الأدب ما عبر بالرسول هو بحث آخر «لأنبيي بعدي» أو «خاتم النبيين» وهذه نكات مهمة أما السفير الإلهي فهو شيء آخر ولذلك وورد إطلاق السفراء الإلهيين على الأئمة أو الناطق عن الله وهي غير النبوة فان النبوة طريقة تلقى خاصة وحيانية أو نمط أو سنسخ من الوحي أما الرسول فهو شيء أعم.

### الجانب الثالث: شمول معنى الامامة لمعنى الإرسال:

«وقد بقي عليك من ذاك فريضتان مما تحتاج أن تبلغهما قومك فريضة الحج وفريضة الولاية والخلافة من بعدهك فاني لم اخلي ارضي من حجة ولن أخليها أبداً».

هذا تفسير للولاية فمعنى الولاية أني لم اخل الأرض من حجة، وأسماء الإمامة في القرآن عديدة، ففي بحث الإمامة الإلهية ضمن فصول متعددة ذكرت أن استيعاب معنى الإمامة ليس أمر محسوم ولا بد من المواصلة في استجلاء البحث، فمثلاً عندنا تعبير منصب الرسول والرسالة وتعبير منصب الأنبياء والنبوة وفرق بين مقام الرسالة ومقام النبوة، الآن في بعض اللغات بين الرسالة والنبوة في اللفظ ولكن يوجد فرق ولعل في اللغة الانكليزية يميزون بينهما وفي اللغة الفارسية القديمة يميزون بينهما أيضاً.

هناك إطلاقين للرسول في القرآن فجبرائيل يطلق عليه رسول وكل من يكون مأمورية ووظيفة إليه يسمى رسول في استعمال ثاني في القرآن، ولذلك هذه نكتة لا باس أن نشير إليها

## ١٠٦ ..... مباحث حول النبوات

وهو أن في القرآن عنوان الرسول ليس مختص بمن يكوننبي في الاستعمال الثاني ، ففي بعض الآيات التي يبينها أهل البيت فهناك المراد منه ليس خصوص النبي ﷺ فحتى الأووصياء قد يطلق عليهم ذلك، أو في قوله ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ﴾ فهنا شرح وفي روایات أهل البيت ليس المقصودنبي رسول بل كل من يكون له وظيفة وأمامورية ومهمة إلهية،

وورد في تفسير القمي لعلي بن إبراهيم القمي :

«وقوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي يختار وهو جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومن الناس الأنبياء والأوصياء فمن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ ومن هؤلاء الخمسة رسول الله ﷺ ومن الأووصياء أمير المؤمنين والائمة عليهما السلام وفيه تأويل غير هذا»<sup>(١)</sup>.

وورد في تفسير فرات الكوفي:

«فرات قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن زكريya الغطفاني معنعاً: عن عبد الله بن أبي أوفى قال: خرج النبي ﷺ ونحن في مسجد المدينة فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه فقال: إني محدثكم حديثاً فأحفظوه وعوه ول يحدث من بعدكم أن الله اصطفى لرسالته خلقه وذلك قول الله تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أسكنهم الجنة، وإنني مصطف منكم من أحب أن أصطف فيه وأواخي بينكم كما آخا الله بين الملائكة.

فذكر كلاماً فيه طول فقال علي بن أبي طالب رض. لقد انقطع ظهري وذهب روحي

(١) تفسير القمي ج ٢ - ص ٨٧

عندما صنعت بأصحابك فان سخطه بك على فلك العتبى والكرامة.

فقال رسول الله ﷺ . والذى بعثني بالحق ما أنت مني إلا بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى، وما أخرتك إلا لنفسى فأنا رسول الله وأنت أخي ووارثي.

قال: وما الذي أرثت منك يا رسول الله؟

قال: ما ورثت الأنبياء من قبلى.

قال. وما ورثت الأنبياء من قبلك؟

قال: كتاب ربهم وسنة نبיהם. أنت معى يا علي في قصري في الجنة مع فاطمة بنتى، هي زوجتك في الدنيا والآخرة وأنت رفيقى. ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿إِحْوَنَا عَلَى سُرُرِ مُنَّقَّبِلِينَ﴾ المتحابين في الله ينظر بعضهم إلى بعض»<sup>(١)</sup>.

وأيضاً «عالم الغيب فلا يظهر على غيره أحداً إلا من ارتضى من رسول» هنا المراد من الرسول ليس خصوص من يكون نبياً رسولاً وإنما المقصود من يكون عليه عهدة وظيفة إلهية، فاستعمال الرسول في القرآن على نمطين كما بينا ذلك.

---

(١) تفسير- فرات بن إبراهيم الكوفي- ص ٢٢٦ - ٢٢٧.



## **المبحث الرابع: أبحاث عامة حول النبوات**

النبوة لغة مأخوذه من النبأ أي الخبر، ونبأه بالأمر أي أخبره، فيكون معناها الإخبار عن الله تعالى فالنبي ﷺ هو واسطة بين الله تعالى والبشر<sup>(١)</sup>.  
(النبأ: الخبر... والنبي المخبر عن الله عز وجل... لأنه أنبأ عنه، وهو فعال بمعنى فاعل).

قال العلامة الطباطبائي قده.

«والنبي ﷺ على وزن فعال مأخوذه من النبأ، سمي به النبي ﷺ، لأنه عنده نبأ الغيب، بوحي من الله، وقيل: هو مأخوذه من النبوة بمعنى الرفعة سمي به لرفعة قدره»<sup>(٢)</sup>.  
أن الأنبياء يمثلون الواسطة في إيصال تكليف الله عز وجل للملائكة، فالنبي ﷺ دوره يهدي إلى الحق والخير وحفظ البشرية من الانحراف والضلال عن ما أراده الله تعالى لها.

ولنا من المحاججة النبوية مجموعة من الجوانب العامة التي تتمحور حول النبوة وما

---

(١) جاء في لسان العرب مادة نبأ، ١ / ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) تفسير الميزان: ج ١٤ ص ٥٨.

يتعلق بها ومنها:

**الجانب الأول: عدم حاجة الأنبياء إلى آليات الاجتهداد الفقهي:**

في القضاء أو في الفتيا ترى الفرد يفتني والآخر لا ينكر عليه فالسيرة قائمة على عدم التخطئة بل هي التصويب، كما استدلوا بما سيأتي في الحكم الظاهري، وعلى آية حال الدليل الأول الذي استدلوا به على التصويب في الآية وهي بعيدة كل البعد عن بحث التصويب، فالآية في نبئين من أنبياء الله عز وجل وفي عقيدتنا لا يمكن للأنبياء أن يجتهدوا، لأن الاجتهداد هو من يحتاج إلى آلية معينة لكي يحصل على المعرفة أما من كانت المعرفة عنده متوفرة بصورة لدية فليست له حاجة للتعذر بعضا الاجتهداد لكي يسترشد الطريق، ومن جانب ثان نفس **﴿فَقَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلَّاً أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾** فهي في مورد نسخ أو حي إلى سليمان وكون الحكم الذي أوحى إلى داود هو منسوخ، وهذه ليست في صدد النسبية والتصويب، نعم هناك نسبة لكن لا كما يطرحها السفسطائيون أو التشكيكيون سواء القدماء أو الجدد الذي يحملون رأية التعددية آلان.

**الجانب الثاني: حكمـة فريدة في ترك الأولى عند الأنبياء عليهما السلام:**

لابد أن ننتفت إلى أن للذنب مراتب متعددة وبمعناه العام يشمل حتى ترك الأولى، وقد يكون الذنب ذنبا أخلاقيا، وقد يكون الذنب ذنبا بمعيار المقربين وإن كان هو ليس تخلفا عن الواجب او ايجادا للحرام فمثلا الغفلة عنه تعالى عندهم ولو لفعل مباح ذنب، وكل ذلك لا ينافي العصمة عن الذنوب التي ثبتت للأنبياء والأوصياء.

والدليل من سيرة الرسول محمد ﷺ والأئمة عليهما السلام في أدعيتهم ومناجاتهم في خوفهم من البعد عن الله تعالى، وتعبيرهم عن أنفسهم بالذنبين والقاصرتين والمصررين.

أن الانبياء معصومون ولكن العصمة درجات مختلفة فضلاً عن غير العصمة من الكمالات والفضائل، فإن أحد حكم إسرار بيان القرآن الكريم لما يتواهم أنه مثالب للأنبياء وهي بالحقيقة ليس مثالب ولا طعون كما بينه أمير المؤمنين عليه السلام وشرح بعض ما يتخيل ويتوهم أنه هفوات للأنبياء وأنه هفوة كبيرة، ولكن القرآن يركز عليها مع أنها ليست بشيء أمام عصمة الأنبياء وهي مجرد ترك أولى وهو يسير بلاحظ عصمتهم، يقول أمير المؤمنين عليه السلام أن من أحد الحكم لبيان القرآن ذلك أن الصواب المطلق هو عند الباري ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ وليس معناه أن الأنبياء الله ليسوا صادقين بل شهد لهم القرآن بالصدق ولكن يوجد صدق وهناك صدق، وليس معنى ذلك أنه يسوغ لنا أن نتمرد على الأنبياء، وإنما الله تعالى يريد أن يقول اعلموا أن الباري فوق المخلوق مهما يكون مع أن أبوابنا إلى الخالق هم الأنبياء والسبيل بيتنا وبين الله هم الأنبياء والمرسلين ومن رد على الأنبياء ولم يتبعهم ولم يطعهم فهو ضال وهاوي إلى الجحيم، ولكن رغم ذلك يريد أن يقول القرآن ﴿وَفَوَّقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾.

وبالتفاتة أخرى يريد أن يقول أمير المؤمنين عليه السلام أن السداد والصواب درجات ﴿تَلَكَ الرُّسُلُ فَضَلَّا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وحينما يخبرنا القرآن بذلك، فإن هناك حكمة لنعلم أن الذي يأتينا من سيد الأنبياء أحق بالإتباع من الذي يأتينا عن النبي ﷺ إبراهيم أو عن

النبي ﷺ موسى وعيسى ونوح وادم في العصمة والمحجية، فكيف بفضائل ومقامات ليست هي حجة ولا عصمة وإنما هي فضائل ومحامد عظيمة يكترث لها القرآن والدين بلحاظ الجزاء الآخروي ولكن لا يعني هذا أنها أسمى وحجة وسداد مطلق أو حسن عاقبة. نعم هي مقامات ومحامد ومكرمات ويحيث القرآن عليها ولكن لا يعني أنها سداد مطلق أو صواب مطلق أو حجية فهناك فرق بين الأمرين.

### الجانب الثالث: فلسفة فقر الانبياء ﷺ :

هناك أصل عظيم في جواب النبي ﷺ فهم يطالبونه أن يكون ملوكه وصاحب قصور وسلطان جبار قاهر باطش ومحتجب ومتختر، فلا يقبلون إلا أن يكون إقطاعياً فأين هذا من مقام الرسول ﷺ، وفي خطبة لأمير المؤمنين (خطبة الامير في ذم ابليس) أن من شدة الحاجة إلى البشر أن يبعث لهم من يستصغروه في نظرهم وبمقاييس مادية لا بمقاييس عقلائية، فالنبي موسى ﷺ كانت عليه بردة من صوف مرقة ومعه عصا ويدخل على فرعون الفرعانة ﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ وذلك ليزيد شدة الامتحان على فرعون ومن معه، ولو أراد الله أن يسهل عليه الامتحان لأرسل إليه غير ذلك، فهو تعالى يستهدف أن يصعب عليه الامتحان بهذه الطريقة.

### ففي تلك الخطبة عنه (عليه السلام):

«ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون ﷺ على فرعون، وعليهما مدارع الصوف، وبأيديهما العصى، فشرط له - إن أسلم - بقاء ملكه، ودوماً عزه. فقال: ألا

تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك، وهمما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا القى عليهما أساورة من ذهب؟ إعظاما للذهب وجمعه، واحتقارا للصوف ولبسه!»<sup>(١)</sup>.

وي بيان ذلك بشكل لطيف بقوله (لتمحض النظر إلى الله لا إلى الواسطة)، وكذلك من الحال في أدم خلقه من طين وصلصال وحماً مسنون ليزيد شدة الامتحان على إبليس بل حتى على الملائكة، ولكي يتخاضع المخلوق إلى خالقه، ولا يظن المخلوق انه يعي الحقيقة كاملة كربه، والله هو الذي يعلم الحقائق التي تخفي على المخلوقين ﴿أَلَمْ أَكُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يدعى فيلسوف أو عارف غيرهم انه لا يوجد شيء غائب عنه فإذا كان كذلك فهو محيط بكل شيء فهو قيوم وقهار وقدوس، ويقول تعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فأول صفة عظيمة فيهم إنهم يؤمنون بالغيب ومعنى ذلك أنهم يقررون بأنهم قاصرين ومخلوقين ومحدوين، ولذلك في تعريف العلم والفلسفة انه (معرفة الحقائق بقدر الوسع البشري) أن معنى ذلك انه يوجد غيب، ففي التعريف اعتراف بوجود غيب ولكن للأسف هذا الاعتراف بالغيب لم يمنهـجـ بمـنهـجـ مـيزـانيـ قـويـمـ في الفلـسـفةـ والـحالـ لأنـهـ لـابـدـ أنـ يـمنـهـجـ، وهـيـ نفسـ العـبـودـيـةـ وـالـمـوـلـوـيـةـ فـانـ العـبـودـيـةـ بـمعـنىـ القـصـورـ وـالـفـقـرـ أيـ الـاعـتـرـافـ بـالـجـهـلـ فـيـ ماـ وـرـاءـ الغـيـبـ.

«أو ما ترى أن الملوك إذا احتجوا كيف يحرثي الفساد والقبائح من حيث لا يعلمون به ولا يشعرون» وهذا جواب على إشكال من نمط معرفي مرتبط بعلم الاجتماع والإدارة

---

(١) نهج البلاغة.

والقيادة وبعلم القانون، وأجابه النبي ﷺ بعلم من هذه الأصول، وهذا يرتبط بالحكمة العلمية كما يرتبط بالحكمة النظرية.

«يا عبد الله إنما بعثني الله ولا مال لي ليعرفكم قدرته وقوته وانه هو الناصر لرسوله» وهذه دائمًا حالة الإمهال من الله ليزداد الامتحان شدة سواء للمؤمنين أو الظالمين كلا بحسبه، فالمؤمنين يفتنون ليعلموا أن هناك فوق هذه القدرة قدرة أعلى فهذه القدرات ليست كل شيء منها تعاظمت من قوى عظمى وتحالفات وأحزاب ليست هي فوق قدرة الله عزوجل، وفي نفس الوقت امتحان لأولئك حيث يظنون أن كل أزمة الأمور بيدهم، ولكن بين الفينة والأخرى تصدع الأمور ونظمها ولا يستطيعوا المسك بزمامها لأن ورائهم من هو محيط بكل شيء وبعبارة أخرى هذا نوع من الامتحان والمشهد التوحيدى الذي يصره كل من المظلوم والظالم والمحق والمبطل زيادة في تجلی التوحيد، إذًا الحكمة معرفية نظرية.

«إنما بعثني الله ولا مال لي» كما ذكر أمير المؤمنين رضي الله عنه في فلسفة بعثة أدم وموسى وغيرهم من الأنبياء، فالأنبياء لا خدم ولا حشم ولا مال وجبروت ولا صولة ولا جولة «ليعرفكم قدرته وقوته لا قدرة الرسول وقوته» أي لأجل تمحض التوحيد «وانه هو الناصر لرسوله لا تقدرون على قتله ولا منعه من رسالته فهذا أبين في قدرته تعالى وفي عجزكم» فرغم هذه الآليات المتواضعة والبساطة إلا أن الله من وراء كل شيء رقيب، فهذه الآلة التي استعملها الله عزوجل أليق بالحكمة الإلهية في نشر التوحيد وأبين في معرفة التوحيد، وهي رد على ما يطرحه ابن تيمية وغيره من الغربيين من أن القدرة المادية دليل الحقانية، بينما القرآن يقول أن الضعف المادي في دار الدنيا مع الالتزام بالمسار المبدئي هو دليل القدرة الغيبية الإلهية

والحقانية وهو يجلي التوحيد أكثر بل هو يظهر الحق أكثر.

فأتباع أهل البيت عليهما السلام مثلاً في طول التاريخ لم يكن لهم حول وقوته ومع كل ما جرى عليهم من قتل وتشريد واضطهاد إلا أن الثبات على الحق مستمر، وهذا واقعاً ادعى لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يميز ويصر الحق في أي جانب، ويزداد قناعة أن هناك قدرة حافظة غيبة مدبرة لكل الأمور. إذًا هذه الحالة الترابية لحصول البصيرة ولحصول الهدایة للطرف الآخر ولكن من لا يصر يكون النور والهدایة بالنسبة إليه عمى.

#### الجانب الرابع: عدم قدرة البشر على توصيف وادرالك مقامات النبي عليه السلام:

«أنظنون أن رجلاً يعتصم طول هذه المدة بحول نفسه وقوتها أو بحول الله وقوته وذلك ما قال الله تعالى ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَال﴾ فيضربون مثلاً للنبي بالسحر وهذا مثل للنبي، لأن المثل هو الأسلوب الذي يكشف الحقيقة، وهنا القرآن يدلل على أن مقام النبي عليه السلام من المقامات التي يمكن أن يكون لها مثل ولكن مثل عالي وليس بداي فلذلك (فضلوا) وللطيف أنهم لا يستطيعون سبيلاً، فإن البشر العادي لا يستطيع وصف المعصوم وهذه من الآيات الدالة في سورة الفرقان، فكنه معرفة النبي عليه السلام ليس بقدرة البشر وأنى لهم أن يصفوه وهم في ذواتهم دونه بمسافات شاسعة «فَإِنِّي لَهُمُ التَّنَاوِشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ»، فإن الباري يقول ﴿فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِعُونَ سَبِيلًا﴾ أي سبيل لأن يضربوا لك مثلًا لا يستطيعون ولو أرادوا حتى المثل الحقيقي، والقرآن لا يصف فقط عنادهم ولجاجهم بل حتى ليست لديهم القدرة بأن يضربوا لك مثل لا أن يكتنفوكم، فآيتكم أليها النبي عليه السلام انه ليست بقدرة

البشر أن يصفوك فكيف يدركوا كنهك.

إذاً لا يستطيعون ضرب المثل للنبي ﷺ، بل حتى آية النبي ﷺ أو باب النبي ﷺ فان الآية باب لا يستطيعون إليه سبيلاً ولا يحدده إلا النبي ﷺ

قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلى باهها، فمن أراد العلم فليأت الباب»<sup>(١)</sup>.

وهذا برهان على آية النص، فالذى يكون آية للنبي وباب له ومثل للنبي لا يستطيع البشر أن يحددوه بل النبي ﷺ فقط يحدده وهذه ضرورة النص والإرشاد والاستمداد من الوحي. ﴿فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِعُونَ سَبِيلًا﴾ أي لا يستطيعوا أن يثبتوا عليك عمل بحجة أكثر من دعاويم الباطلة التي تبين تحصيل بطلانها.

#### الجانب الخامس: العلم النبوى وشموله للتشرعى والتكتوين:

«قال ابن صوريا فاخبرني يا محمد الولد يكون من الرجل أو من المرأة» هذا سؤال من علوم الطب والتشريح، وهذا السؤال منه للنبي ولم يكن رد النبي ﷺ أن هذا لا يعني النبوة أو أن هذا ليس من شأن الرسالة بالعكس بادر النبي ﷺ إلى الجواب وسيعاد السؤال حول العظام والعصب والعروق وهذا إعجاز علمي من النبي ﷺ وهو أن العظام والعصب والعروق من الرجل وأما اللحم والدم والشعر فمن المرأة، وربما لأن الأبحاث العلمية تنبهت إلى هذا المطلب، «قال صدقت يا محمد ثم قال يا محمد فما بال الولد يشبه أعمامه وليس فيه من شبه أخواله شيء ويشبه أخواله وليس فيه من شبه أعمامه شيء فقال رسول الله ايهما

---

(١) فيض القدير: ج ٣، ص ٤٦؛ كنز العمال: ج ٥، ص ٦٠٠.

علا مائه ماء صاحبه كان شبهه له» وهذا سؤال في الطب أيضاً وعلم الفسلجة وعلم التشريح «فقال صدقت يا محمد فقال فاخبرني عنمن لا يولد له ومن يولد له فقال رسول الله عليه السلام إذا مغرت النطفة لم يولد أي إذا احمرت وكدرت فإذا كانت صافية ولد له» وهذه ثلاثة طبية في علم التشريح يمتحن بها ابن صوري النبي عليه السلام في النبوة.

ويبرز هنا بحث أدياني حاد ومحتمد وهو هل الدين يتکفل شؤون الدين والدنيا للناس وكل شؤون الدنيا للناس؟، نعم يتکفل ذلك وهو بخلاف المسيحية المحرفة من أن الدين يقتصر على العلاقة والروابط الروحية الفردية بين الإنسان والغيب، بل المعنى الصحيح للدين يشمل الأمور الاجتماعية والشؤون الدنيوية، إلا أنه وقع الآن حتى عند الباحثين الإسلاميين والمفكرين وهو صحيح أن الدين يشمل حتى السياسة والنظام الاجتماعي لكنه ليس الدين في صدد سعادة البشر الدنيوية من كل زاوية ورقي وكمال البشر من كل زاوية وإنما يتصدى الدين إلى تدبير أمور معاش الناس ودنياهم بما يصب في الصراط وسييل الهدایة الأخروية والسعادة والنجاة الأخروية، أما الرقي والازدهار والتمدن الدنيوي في كل زاوية من زواياه فهذا ليس من مسؤولية الدين؟ هكذا يقول بعض الباحثين الإسلاميين المحدثين.

وهذا البحث أدياني معرفي وأقيم هذا البحث في القرآن وهو هل أن القرآن يتکفل كل العلوم الإنسانية فبعضهم قال يتکفل العلوم الإنسانية التي تکمل الإنسان وتقيم العدل وبالتالي يتطرق إلى الأمور الدنيوية بما يصب في ایجاد هذا الهدف وفي سبيل وصراط النجاة السعادة الأخروية، أما أن نقول أن فيه علم كل شيء من تفاصيل فيزياء وكيمياء وفسلجة ورياضيات وهندسة فهذا إفراط في القول بل ما يصب في سعادة الآخرة.

هكذا توجد مقالة وهي غير تلك المقالة التي تفرط وتعزل الدين عن الدنيا تماماً، وحتى الغرب علموا أن الدين لا يعزل عن الدنيا تماماً فان الجانب الأسري والروحي في الفرد ينعكس حتى على النظام السياسي في المجتمع وبالتالي حتى المقوله القديمة للعلمانية القديمة تراجع عنها الغرب من أن الدين ليس له صلة بالنظام السياسي، أما المقالة المتوسطة أن الدين له علاقة بالسياسة ولكن ليس في كل صغيرة وكبيرة، وهذا البحث كبحث فلسفى ينعكس حتى على التنظير السياسي والفقه السياسي والإداري وهناك نحو مشاركة لذوي الاختصاص في العلوم الأخرى في المشاركة السياسية والحكم السياسي فهذا البحث المعرفي له تداعيات في النظام الحقوقى والقانونى وله ترجمة وتأثير، والبعض يقول لو كان القرآن لا يتعرض ولا يستعرض العلوم لماذا يذكر بعض قضائياً فيزيائية منذ أربعة عشر قرن لأن توصل إليه البشرية ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا بِأَيْدِٰ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لأن خلال عقود توصلت الفيزياء الفضائية من أن المجرات في حالة تضخم وتوسيع وهذه الحقيقة نادى بها القرآن قديماً، فالقرآن يعطي أسرار الطبيعة، ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرُوا﴾ وهو تلقيح الرياح للأشجار الذي لم تكن تعلم به البشرية والآن التفتوا إليه.

الآن بعض الأسرار الطبيعة قد كشف عنها القرآن عن بعض حماورها الرئيسية بشكل بين فيما إذا تصنعون مع هذه الشواهد انتم أصحاب المقالة الثانية.

وهناك مقالة ثالثة وهو أن الدين والقرآن والنبي ﷺ يعني بكل شؤون الدين والدنيا ولا يغيب عنه شيء، ويؤيده الشواهد في القرآن الكريم، إضافة إلى أن القرآن يتعرض إلى أسس علوم كثيرة منها علم النفس حيث يتعرض إلى أسس خطيرة فيه كعلم النفس الفردي

وعلم النفس الاجتماعي والسلوكي والجنائي والإداري السياسي والإعلامي، والقرآن يشير إلى قضايا كثيرة في علم النفس لو رُعيت من قبل المسلمين لازدهروا، ويشير القرآن إلى علوم مهنية وحرف كثيرة وهذه تقنيات مهمة يشير لها القرآن الكريم فمَاذا نصنع مع هذه الشواهد، فهناك تفاسير علمية تجريبية كثيرة دونت في هذا المجال.

الآن القرآن الكريم يعتبر أحد مصادر النظريات عند الغرب في علوم كثيرة، وحسب بعض التقارير السرية تجد العجيب منهم وعلى الأقل يتعاطوه على انه كتاب علمي فمَاذا نصنع مع هذه الشواهد؟.

ويحيب أصحاب المقالة الثانية عن ان هذه الشواهد تنحصر للدلالة على إعجاز القرآن لا أنها وظيفته الأصلية فقد يتطرق القرآن من باب الإعجاز لأسس علوم أما أن هذه هي وظيفته ومسؤوليته فلا، وهذا البحث يتضاعد ليس فقط في الدين والنبوة والإمامية بل يتضاعد حتى في علم الله، بعض المدارس اليهودية والبودية وحتى بعض المدارس الإسلامية أن علم الله هو في صلاحك.

وهناك شواهد أخرى مثلا ملف ليلة القدر في الآيات والروايات وهناك عدة سور تتعرض إلى ليلة القدر.

ففي ليلة القدر وفق روایات الفریقین أن فيها ما من صغيرة ولا كبيرة من الأحداث البیئة الزراعیة والحيوانیة والجمادیة والنظام الاجتماعي والمحروب والسلم وإحصائیات الأموات والموالید والأمراض والصحة والثروات وإحصائیات غریبة عجیبة عن کل الكون کلها

تنزل على ولي الله كما تنص الآية ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ، عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وليس فقط من أنبياءه ولا رسالته فتنزل في ليلة القدر إذا لم يفصح عنه في سورة القدر أو سورة الدخان ففي سورة النحل أوضح عنده وهو المصطفى الذي شاءته المشيئة الربانية لأن يكون مجتبى لنزول الملائكة والروح، وفي سورة غافر ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وفي سورة الشورى أيضاً، فهذه الأمور ما ربطها بالإمامنة والإدارة والقيادة والتدبير، لأن العلوم الاستراتيجية على طبق معلومات محدودة يرسمون استراتيجية العام القادم أو خمس سنوات أو عشرة أو خمسين سنة وان أقصى ما هو موجود لأن في المراكيز الاستراتيجية استراتيجية مائتين سنة.

والى لأن ليس فيها كل هذه الإحصائيات فماذا نصنع مع هذه فيما إذا ترتبط هذه هل ترتبط بالدين أو غيره أو ترتبط بإمام أو لا، ام هي مرتبطة بالقرآن فباطن القرآن يتنزل، وهناك آيات عديدة تشير إلى ذلك ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾<sup>٥٩</sup> وتعريف الكتاب المبين انه سطرت فيه كل العالم صغيرها وكبيرها ذرها وذروتها وهذه الشواهد ماذا نصنع بها، وفي سور يس ( وكل شيء أحصيناه في أمام مبين ) ماذا نصنع بهذه الشواهد.

ونضيف شيء اخر مهم ومشهور فهناك أسئلة عديدة سُئل عنها النبي' عن علوم عديدة، وسيرة الأنبياء تشير إلى ذلك بل ثبت ان أكثر منعطفات تحضر وتقدن وتطور البشر سببه الأنبياء، فإذا دريس علم الدراسة والتدريس ونحوه وكذا داود علم صناعة الدرع السابعة، بل في عالم المعنى أن كل الاكتشافات العصرية البشرية هي بإشراف روحي شبكي

من خلفاء الله في الأرض، أما لماذا حبي وخص الغرب بذلك؟، فهو لحكمة ونكات لسنا الان بصد الاجابة عنها.

وفي الروايات أن النبي ﷺ أجاب في مختلف العلوم وان الأئمة عليهما السلام كذلك، والآن في هذه المحاججة احد الحجاج التي يحتاج بها ابن صوريا ليستبين ويستوضح نبوة النبي ﷺ يسأله في العلوم الطبيعية ولو كان الامر خارج نطاق معرفة النبي لأجاب أن هذا ليس من شأن النبي ﷺ وقال إنما شأن النبي ﷺ يهدي إلى ما هو رشاد في المعاد أي بشير ونذير، وليس له دخل او اطلاع على مختلف العلوم ، فجواب النبي ﷺ بهذا النحو العلمي دليل واضح على أن ذلك من شؤونه أيضاً.

أما المقالة الثالثة فواضحة بجلاء في روایات أهل البيت عليهما السلام وان كان حتى من علماء الأمامية يتبنى المقالة الثانية لا الثالثة ويرفض الثالثة وسبعين كيفية الجمع بينها، والمقالة الثالثة هي الصحيحة مع شيء من الإضافة. نعم نرى في كتب الرواية للمذاهب الأخرى ت تعرض إلى أن شأن النبي ﷺ والدين هو النمط الثاني حيث يرون رواية تأثير النخل وبعد ذلك شاص النخل والأية تقول ﴿مَا أَصَلَ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى \* وَمَا يُنْطِقُ عَنِ الْهُوَى \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾<sup>(١)</sup> ورواياتهم عكس روایات أهل البيت عليهما السلام التي تصب في المقالة الثالثة.

وللتوضيح نقول الصحيح الجمع بين المقالة الثالثة والثانية ولكن كيف ذلك؟  
أن وظيفة الدين الأولية والأصلية في رتبة مسؤولية الأنبياء والأوصياء هي المقالة الثالثة،

---

(١) سورة النجم: الآية ٢ - ٤.

والقرآن بما يحتويه من مواطن ومنازل غيبية بل حتى في ظاهره ولكن لا يتفطن له إلا الأنبياء والأوصياء فالقرآن بما يحتوي من مشروع هداية هي هداية للدين والدنيا في كل زواياها، وهذه هي مسؤولية النبي ﷺ وأوصياءه لذلك أن للكتاب منازل منها ألم الكتاب والكتاب المبين واللوح المحفوظ والروح الامرية... الخ،

تلك المواطن ليس للفقيه سبيل إليها ولا للعارف ولا للمكاشف إلا بأمطار معرفية يسيرة مفتوحة من المعصوم، فبلحاظ وظيفة النبي ﷺ الدين كمسؤولية وظيفية للرسول وللنبي وللمعصوم من الله عز وجل فالمقالة الثالثة هي الصحيحـة، فالنبي ﷺ والمعصوم في حكومته وحكومة الأئمة الخفية التي يقودون فيها الإحداث في العالم البشري والإسلامي وكذلك أيضاً في دولة الرجعة والظهور، فعندما يقول الدين يتکفل بذلك فهناك أولويات أي ما يصب في الأمر الأخرى أهم فيما يصب في الإنعاش الدنـيـوي لكن كمسؤولية إنما هي أعمـارـ الدين والدنيـا ﴿وَأَلَّـو اسْتَقَامُوا عَلَـى الطِّرِيقَةِ لَأَسْقَيَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(١)</sup> وهذه من الشواهد، ومثلاً ان المسلمين سبقـاـ قالـوا:

«لو ولوها علياً لسار بهم سيراً سجحاً ولا خرجت لهم الأرض كنوزها والسماء درت بكلـذاـ» ومعنى هذا رقي عالم الطبيعة مرهون بإدارتهم وتديرهم.

وهذا المعنى نفس ما سيحصل في دولة الظهور وفق الروايات الموجودة عند الفريقين وانه رقي الجانب الطبيعي حتى في الدنيا سيكون في أوجه تكون طفرة بل تكون طفرة من

---

(١) سورة الجن: الآية ١٦.

دولة الإمام المهدي والرجعة ورقي أعظم، وأعظم رقي ذكرتها الروايات في دولة الرجعة تمدن ورقي أكثر من دولة الظهور وتستمر البشرية إلى رقي أعلى سيكون عند رجعة رسول الله عليه وآله وسليمه وهو الخاتم.

إذاً الشواهد عديدة على أن مسؤولية الدين والقرآن والنبي والوصي لكل شؤون الدنيا والدين في صغيرها وكبیرها، وهناك أولويات وهناك تدرجيات في البناء والرقي والتكامل ولذلك اتفاقاً ما كان من سير الأنبياء إذا عصفت بالأمم والأقوام أزمة معاشية فادحة يفك عقدتها الأنبياء والأوصياء، والآن التاريخ المكتوب من قبل السلاطين والملوك دوماً يغيبون دور الأنبياء والأوصياء وهذا ليس غريباً وهذا بخلاف ما يصنعه القرآن حيث يسلط الضوء على الأنبياء وإنهم هم إبطال التاريخ، أما التاريخ الذي تكتبه دول الملوك والحكام والسلاطين فأنهم دوماً يغيبون دور الأنبياء لأنهم يقرءون السطوح فقط وهذا دليل أن ممارسات الأنبياء وخلفاء الله في الأرض كثيرة اغلبها خفية وتكون عبر شبكات خفية كما يصرح بذلك القرآن الكريم.

ونص آية ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مِنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> فأول تعريف أبرزه الباري لل الخليفة هو اعتراض او استفهام او استغراب الملائكة (أتجعل فيها...) فهذا بمنزلة تعريف لمعنى الخليفة، يعني أن الخليفة هو الحائل والمانع دون وقوع

الفساد في الأرض وسفك الدماء والفساد قد يكون صحي وفساد خلقي واقتصادي وزراعي وبائي وهوائي وعلمي وسياسي وفردي واسري فالخليفة لا يجعله يستشرى أكثر ولا يطغى، واستعمل الفساد في الأرض ضمن الآيات القرآنية في بيئات و المجالات عديدة ليس فقط قضية الحلال والحرام، بل حتى في جهات البيئة مثل (يهلك الحرج والنسل) فبوار الحرج والنسل هو فساد في الأرض.

إذًا نص القرآن أن الخليفة هو الحائل والمانع منذ أدم إلى القيامة وهذا هو معنى «لولا الحجة لساحت الأرض بأهلها» ومنع السوخ ليس من جهة ملكوته فقط فالحجة هو الذي يمنع الفساد في الأرض وفي كل المجالات، إذا تفشي مرض الإيدز يتفشى أو المرض الفلاني يتفشى أو المرض الثقافي يتفشى أو مرض حقوقى يتفشى أو مرض جنسى يتفشى أو مرض زراعي أو سياسى هو يجب أن يحول بينه وبين أن يتفشى بشكل طاغي، أما ليس انه يستأصله بالمرة فالأمر وفق التخطيط والتدبیر فالبشرية في محنة وامتحان وتأهيل للبشر مرحلة بعد مرحلة وهو أمر آخر، لكن يمنع من أن يطغى وان يتفشى بكثرة، فالمحذور الذي ذكره الملائكة ليس يقع بل به سيفع.

ودليل آخر على المقالة الثالثة ما تقرر في علم الفلسفة والكلام والعرفان والحديث والتفسير أن أغراض التكوين لا تتقاطع ولا تصادم مع أغراض التشريع الإلهي، فأغراض التشريع الإلهي تسوق نحو تحقيق إيجاد والحفاظ على أغراض وغايات التكوين الإلهي المعب عنه في الفلسفة ببرهان الغاية وفي علم الكلام يسمى ببرهان الغرض واللطف والحكمة ويسمى في العرفان بالتكامل، وهذا بحث معرفي مهم تنشأ منه قواعد فقهية ثمينة كالفقه السياسي وغيره، وهو إذا قام البرهان العقلي أو دل الدليل الشرعي على أن أحد غايات

التكوين هي القضية الفلانية ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ  
السَّاعَةَ لَأَنَّيْهِ فَاصْبَحَ الصَّفَحَ الْجَعِيلَ﴾<sup>(٨٥)</sup>، وغرض الزوج والزوجة التيسيل هو للحفاظ  
على النسل البشري وهو غرض تكيني وأغراض أخرى، فهنا الغايات التكوينية التي  
أفصح عنها القرآن الكريم أو التي أدركها العقل بالوجدان من المحال أن تصادم مع  
التشريعات في الدين، لأن هناك وئام وتكافل وتساند وتعاضد بين جادة الشريعة والتقنين  
وجادة التكوين وهذه قاعدة معرفية مهمة ويفتح منها قواعد عديدة، وبمقتضى هذه القاعدة  
نستدل على أن أغراض التشريع هي أغراض التكوين سواء أغراض تكينية متوسطة في عالم  
الدنيا أو أغراض نهائية في عوالم لاحقة لكن الأغراض التكوينية المتوسطة توظف وتوسيط  
لبلوغ تلك الأغراض التكوينية في العوالم اللاحقة، إذاً خارطة ومنظومة التشريع تتطابق  
حرفيًا مع خارطة التكوين إلا أنه لا يستطيع الإحاطة بذلك إلا النبي أو الوصي بل ليس كل  
نبي فالنبي موسى عليه السلام ببركة علم الخضر استطاع أن يلتفت أنه كيف يتتطابق التشريع مع  
التكوين.

إذاً القرآن فيه بيان كل شيء ببرهان تطابق التكوين مع التشريع وان التشريع يحفل بكل  
التكوين غاية الأمر التطابق الحرفي الدقيق ليس تكفيه مهمة النبوة بل لابد من ضميمة علم  
الولاية والوصاية، والنبي محمد عليه السلام هو سيد الأولياء واجتمعت فيه كل العلوم، أما النبي  
موسى عليه السلام عنده علم النبوة وشيء من علم الولاية إلا أن تتميمه عند الخضر والخضر عنده

(١) سورة الحجر: الآية ٨٥.

درجة من درجات الولاية.

وإجمالاً ما يعبر عنه بالشريعة الظاهرة والباطنة شر حناه في الإمامة الإلهية الجزء الثالث الفصل الثامن، فان أحد تعريفات الشريعة الباطنة يعني التكوين والشريعة الظاهرة هو تطبيق الشريعة وان كان هناك تعريف أدق وهو تطبيق الشريعة بأدوات واليات ليست أمارات ظاهرية بل بأمارات أو طرق لدنيه يكون شريعة باطنة، يعني الشريعة الباطنة أحكامها نفسها الشريعة الظاهرة وتطبيق الشريعة الواحدة بأمارات ظاهرية يسمى شريعة ظاهرة وتطبيق الشريعة بأمارات لدنيه يسميه شريعة باطنة، فالحضر عندما فسر للنبي موسى عليه السلام بنفسه الشريعة بتطبيق لدنيه وأدوات لدنيه وإنما هو نفس الحكم لذلك ذهب عن النبي موسى الاستنكار بنفس الشوابت الموجودة في شريعة النبي موسى.

إذاً الشريعة متطابقة مع التكوين تماماً وهذا معنى ان شريعة محمد عليه السلام هي الشريعة الكاملة التي تتعرض لكل التكوين غاية الأمر يعلمها النبي والأوصياء ويجهلها الآخرون وتبيانياً واقامتها وظيفتهم لذلك قال ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَلْعَلُّهُمَا...﴾ فهذه كفالة وهي موجودة في الوظائف الإلهية، وكيفية التنسيق البشري والذي يسمى ترقية وتكامل الانسال البشرية فإنه قتل ذلك الغلام لأنّه يسبب دمار في الانسال البشرية، فمسؤولية الحكومة الإلهية والدين الإلهي وهذه المسؤولية ليس تقع على الفقهاء، فعلي عليه السلام عندما كان يحارب في صفين كان مالك الاشتراط أيضاً يحارب ويكبر واستبطئ علينا فقالوا كيف؟، فقال أنا لا اقتل أي كان إنما من لم يكن في نسله مؤمن فالإمام مسئول عن علم الجينات وعن تكامل الأجيال الآتية فضلاً عن الحاضر .

إذاً نحن كلامنا في وظيفة الأنبياء لأنفسهم وبحسب ما يديرون من تدبير خفي وشبكات خفية يدل عليها قضية الخضر فالشواهد لا تخصى من الدين والقرآن وسيرة وتراث الأنبياء والأوصياء.

#### الجانب السادس: احيانا تتأثر ابدان الانبياء لهم بالسحر:

ومن النكبات اللطيفة التي بیناها سابقا هو أن الساحر متصرف فيه وأمر طبيعي أن يكون هو مسخر من قبل الجن والشياطين والمسخر من قبل الجن والشياطين وبالتالي عنده شطط وعقله في جنة وبالتالي لا يسيطر على أفعاله ولا حركاته ولا سلوكه، ولذلك الأنبياء إذا سحروا لا يسحرو في عقولهم وإنما يسحرون في أبدانهم، مثل يقول النبي أیوب لهم أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ هـ هذا في البدن، وقد خاطب إيليس رب العالمين ومن العجيب مع كل ذلك التمرد نرى انه لا زال عنده نوع من المحاورة مع الساحة الإلهية فقال يا رب تبا هي بهذا العبد فسلطني عليه فسلطه على بدنـه فقط، وما ذكر في بعض المصادر أن النبي سحر في بدنـه أي مس في البدن وهذا كله بإذن من الله، بل أكثر من ذلك فالنبي قد يجرح أو يصاب في بدنـه وهذا كله بإذن خاص وإلا في الحالة الاعتيادية الشياطين والمردة ليس فقط لا يستطيعون أن يتسلطا على بدن الأنبياء بل حتى لا يستطيعون أن يقتربوا منهم لوهج نورهم وقدسيتهم وما يحوم حولهم من الملائكة الحافظين كما يشير إليه القرآن.

بـل قـد تشاهد الساحر بحالات هلوسة لكي يمكنه أن يتعامل مع الشياطين والجن لكي يؤثر في الغير فلا يكون أوفر وبعضهم تصير له حالة رعشة أو اهتزاز روحي أو خوف دائم أو

البعض عنده فرح دائم أي غير مترن.

### الجانب السابع: فهم أهمية بعض نوايا الانبياء:

هناك مورد مهم وهو نكير النبي موسى على الخضر ﴿فَانطَّلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلُهُ قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾<sup>(١)</sup> ونسيان النبي موسى له معنى، ودع عنك من يقبلون عصمة الأنبياء ولا يقبلون عصمة كذا، ولكن الباري تعالى كيف يصوغ كلامه مع النبي عيسى بصيغة اتهام واستفسار والله ﴿لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، فهل كل أمر فاحش رديء هاوي يتهم به الإنسان يسائل عنه الإنسان العظيم وهل من حق الرعية أن يسائلون النبي عيسى بهذه الصيغة فأنها قطعا تكون جسارة ومنوعة، الصحيح والذي لا ريب فيه انه ليس نكير من الله على النبي عيسى وكيف وهو اعدل العادلين ولم يقع من عيسى ﷺ سوء وهو معلوم من الله وليس هناك أي ريبة فيه. ولذلك نقول بان هذه الصيغة وردت في القرآن من لا يختلف في عصمه وهو الله عز وجل.

وعلى أي تقدير صيغة هذا التساؤل من الله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَنْعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنَّجِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْهُ فَقَدْ عَلِمْتُهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتُمُ الْغُيُوبِ﴾<sup>(٢)</sup> فهنا لو يثار تساؤل كيف من العدالة أن يسائل الله النبي عيسى بهذه الصيغة فهل من

(١) سورة الكهف: الآية ٧٤.

(٢) سورة المائدah: الآية ١١٦.

العدل أو هل هو من الإحسان من الله وهو فوق العدل، وهل لإبطال حجة النصارى أمس بكرامة بريء، وهل على كون الأمر صوري يبرر أن تمس كرامة نبي من أولوا العزم وفي مشهد من الخلاائق؟، الآن في قوانين المحاكم الوضعية للمتهم حق المطالبة برد الاعتبار، والمفروض عند الباري يوم القيمة ليس هناك استنطاق وعدم علم فقضاء الله يوم القيمة حتم وحسم ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾<sup>(١)</sup>، ففي دار الدنيا يوجد اختصاص أما في القيمة فهناك فقط إبداء حكم، فحيثئذ الباري تعالى في يوم القيمة لا يوجد عنده خصام ولا نزاع ويوجد فقط حكم ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾<sup>(٢)</sup> بالنسبة إلى الباري تعالى لا يحتاج إلى الاختصاص.

وتععميق السؤال سبب أن هناك مغزى لم يذكره المفسرون وقد ذكرته روايات أهل البيت، وهذه المقاضاة في دار الدنيا وإلا المقاضاة في الآخرة أشد وأسرع واحسّم واحكم ﴿أَسْرَعُ الْحَسِينَ﴾ فلا يحتاج إلى مسائلة وإنما ستكون بت في القول، ولذلك لاحظ لو أحد من الرعية يسأل النبي ﷺ أو الإمام بهذه الصيغة أيضاً فيها تجاسر وتجري ولذلك نشاهد من المعصومين رد المتجاسرين بشكلتك أملك أو شيء هذا التعبير لأنه التجاوز لا يراعي الأدب، فالآن الله يخاطبنا ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ثم يأتي شخص ويحدث في حديث آلافك كذا وكذا فهذا تجاسر، وفي سورة النور ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالْسِّتِّكْمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيْنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> فمجرد التجرأ باللسان

(١) سورة ق: الآية ٢٨.

(٢) سورة النور: الآية ١٥.

عظيم لأن النبوة مقام طاهر ومقدس، ولذلك لا أحد يجرأ ويسائل عليا بهذه الجرأة بالصيغة التي تقولها فاطمة في تلك المحادثة المروية بينهما وإنما كان جواب أمير المؤمنين جواب آخر، ولكن قال لها «نهنئي عن وجدك يا بنت الصفوة وبقية النبوة...» فهناك سر في البين.

والمقصود أنه ما السر في أن الباري تعالى يصيغ بهذه الصيغة ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَخْنَذُونِي وَأَنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ واللطيف النبي عيسى عليه السلام لم يتبدئ بتبرئة نفسه كما ذكرنا وإنما ابتدأ الأدب بتنزيه الله وابتدأ بإصغار مكانته فلماذا وما السر في ذلك؟ ان هذه أسرار وليس عفوية وعبطية وفيها دقائق من القواعد والمعانى وقد بيتها روایات أهل البيت، والرواية التي مر ذكرها في الكشي وفي موارد أخرى موجودة ، إذًا سرذا المطلب في صيغة الباري تعالى مع جواب النبي عيسى فليس القضية صورية بل فيها معزى آخر وليس فيها حجاج النصارى بل فيها قيام النبي عيسى بواجبه لكي يؤدي الله حقه ويقيم نفسه في مقام العبودية ويستقيم على العبودية لله عز وجل ومع ان الفعل فعل آخرين ومع ذلك يحدث له موقعه مسؤولية وهذا أمر مهم يجب أن نلتفت إليه.

إذًا من حق الله ولطفه يتكلم مع النبي عيسى بهذه الصيغة لأنه لابد أن ييدي الله عز وجل عتابه لعيسى فمن باب اللطف للنبي عيسى أن يبين الله عبودية وتواضع النبي عيسى لكل أهل المحشر وهذا كمال للمخلوقات وهذا التنزيل مثل «وليس لك من الأمر شيء» وهذا بيان للحقائق كما هي فهي كمال ولطف للمخلوقين لأن الباري حقه عظيم ولذلك من الخطأ أن يسائل المخلوق الخالق كند لنـدـ فـانـ هذا تـكـبـرـ وجـبـرـوتـ.

وهنا مطلب اذكره وسيأتي بيانه في الجزء الثالث من الكتاب بأن الآداب ليست صرف مجاملات وإنما هي حقائق وقواعد أو تستطيع أن تقول السلوكيات تتكلم فتظهر فيها مؤديات ومن باب المثال في رواية رواها الصدوق في الامالي أن النبي داود كان يقرأ الزبور بين الأودية فكانت الجبال تردد معه والطيور وكل من يسمع كلام النبي داود إلى أن وصل إلى جبل عليهنبي آخر من أنبياء الله يسمى حزقيل فعلم حزقيل أن هذا داود فلما وصل إليه داود قال داود لحزقيل اصعد إلى الجبل إليك؟ فقال له لا، فأتى الإلهام من الله لحزقيل لا تعير داود بخطيئته فبكى داود واستعبر فقال الله لحزقيل بالإلهام لا تعير داود بخطيئته فأبليك، فيا ترى من أين قد عيره وأين هو فعل التعير فهذا الفعل كفعل فقط ينطوي على معاني وان لم يتلفظ بها حزقيل فينطوي على معاني وداعي موجودة في النفس وان لم يتلفظ بها حزقيل لكن الله عز وجل أبداهما وفهمها داود لذلك بكى فكانا قد تنزعه حزقيل عن داود وكان لا يرغب في اجتماعه معه فالله عاتب حزقيل لا تعير داود وإلا أبليك فرفع حزقيل يده ومدها لداود ورفعه إليه.

«قال فخرج داود عليه السلام يمشي على قدميه ويقرأ الزبور وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى حجر ولا شجر ولا جبل ولا طائر ولا سبع إلا يجاوبه حتى انتهى إلى جبل وعليهنبي عابد يقال له حزقيل، فلما سمع دوي الجبال وصوت السباع علم أنه داود، فقال: هذا النبي الخاطئ فقال داود: يا حزقيل تأذن لي ان اصعد إليك؟ قال: لا فإنك مذنب.

فبكى داود عليه السلام فأوحى الله عز وجل إلى حزقيل يا حزقيل لا تعير داود بخطيئته وسلني العافية، فنزل حزقيل وانحدر بيده داود وأصعده إليه، فقال له داود: يا حزقيل هل همت

بخطيئة قط؟ قال: لا، قال: فهل دخلك العجب مما أنت فيه من عبادة الله عز وجل؟ قال: لا  
قال: فهل ركنت إلى الدنيا فأحبيت أن تأخذ من شهواتها ولذاتها؟ قال: بل ربما عرض ذلك  
بقلبي قال: فما تصنع؟

قال: ادخل هذا الشعب فاعتبر بها فيه، قال: فدخل داود عليه الشعب فإذا بسرير من  
حديد عليه ججمة بالية وعظام نخرة وإذا لوح من حديد وفيه مكتوب فقرأه داود، فإذا فيه:  
أنا أروى بن سلمة ملكت الف سنة وبنيت الف مدينة، وافتضضت الف جارية وكان آخر  
أمري ان صار التراب فراشي والحجار وسادي والحيات والديدان جيرياني فمن رأني فلا يغتر  
بالدنيا»<sup>(١)</sup>.

فالآداب أو السلوكيات هي كلام وتكلم وموافق وأحكام واقضية ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فهذه آداب ولكن تنطوي على أن هناك مقام  
للحضر وحجية من خلا لها يفضل النبي موسى وان كانت التسليمة المحصلة ان النبي  
موسى أفضل ولكن من حجية معينة الحضر أفضل، وهذه العملية صورتها صورة آداب  
ولكنها حقائق واقعيات.

وفي رواية أخرى لإيصال المعنى والمطلب وان عبرت عنه بعدة تعبيرات ولكن ارحب  
أن نتوصل إلى تعبير دقيق أكثر، ففي قوله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا  
شُكُورًا﴾ يقول الإمام الصادق - ما مضمونه - «والله أن علي لم يتلفظ ولم يتكلم بذلك ولكن

---

(١) تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٣١ و ٢٣٢.

انطوى ضميره عليه فأبرزه الله، بمعنى أن صفات الإنسان كلام وأفعال المخلوقات كلام لأنه ينطوي على معاني يفهمها من يعلمه الباري بذلك فيصير تكلم منه، ومثلاً لدينا روايات عن بعض الحيوان مثل حيوان فاجر أو حيوان كذا فهذا بأي معنى فهل صدر منه نطق أو كلام أو تعهد بل المعنى أن هذه الصفات تنطوي على معاني وهذه المعاني بمنزلة تكلم و موقف، ولعل النملة في الآية ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتُوا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فهي اتخذت هذا المعنى عملياً ولكن معناه ومضمونه بعض التكلم بهذا المعنى فالتكلم كما نتصور ليس مجرد صرف أصوات والمقصود أن الكلام والتكلم وما شابه ذلك ليس من الضرورة أن يكون بأصوات وألفاظ أو في الآية ﴿قَالُوا أَنْجَبْلُ فِيهَا﴾ قد يكون ليس كلام قيل بالستهم وإنما تعجبهم واستنكارهم هو هذا معناه ففهم من ذلك ان الفعل ينطق والمعنى الأعظم من ذلك هو ان خلق الله للمخلوقات تكلم من الله فالأنبياء أو الأووصياء إذا يرون ظاهرة معينة يتلقون عبرها رسالة كلامية من الله ونفس هذا الخلق والتخليق له معنى أبداه الله أي تكلم به وأهل المعنى أو العرفاء يعبرون عنه بهاتف الغيب وهو مأخوذ من الروايات أي كيف تعرف أن الله عز وجل يخاطبك شخصياً لا بمعنى النبوة وذلك من خلال مثلاً عقوبة الله هي كلام من الله بأنك أنت أذنبت وهذا هو جزائك، إذاً الأفعال كلام وتكلم.

#### الجانب الثامن: الآداب الإلهية عند الأنبياء:

هذه نكتة جداً مهمة تمثل دقة في المطالب فإن بعض الآداب الإلهية قد ترفع الإنسان إذا

فطن لها وقد يتسائل بمخالفتها، مثلاً الرسول في المراج عرضت له امرأة لم يتوجه إليها وعرض له مناد آخر وثالث لم يعوا به، ثم جاءه جبرائيل وقال يا رسول الله لو توجهت إلى تلك المرأة لأقبلت أمتك على الدنيا والمنادي الثاني بولس الذي نصر النصارى والمنادي الثالث يهودا الذي هود اليهود ولو التفت إليهم لتهودت أو تنصرت أمتك، فالمقصود هناك آداب إلهية هي دقيقة بالنسبةلينا سيماء من يعلو مقامه فحتى أدنى ترك الأولى يؤثر، فمراجعة دقة الآداب تعلو بالإنسان، وفي رواية أن النبي يوسف في أدب معين لم يراعيه من أبيه يعقوب وانه لابد أن يجعله بشكل أكثر فقال له جبرائيل افتح يدل ففتحها فاخرج منها نور النبوة وقال هذا نور النبوة لا يكون في نسلك.

قال الصادق عليه السلام:

«إِنَّ يُوسُفَ لِمَا قَدِمَ عَلَيْهِ الشَّيْخَ يَعْقُوبَ، دَخَلَهُ عَزَّ الْمُلْكَ فَلَمْ يَنْزِلْ إِلَيْهِ، فَهَبَطَ عَلَيْهِ جَبَرَائِيلُ فَقَالَ: يَا يُوسُفُ!.. ابْسِطْ رَاحْتَكَ، فَخَرَجَ مِنْهَا نُورٌ سَاطِعٌ فَصَارَ فِي جَوِ السَّمَاءِ، فَقَالَ يَوْسُفُ لِلْمُلِكِ: مَا هَذَا النُّورُ الَّذِي خَرَجَ مِنْ رَاحْتِي؟.. فَقَالَ: نُزِعْتَ النُّورَ عَنْ عَقْبِكَ، عَقْوَبَةً لَمَّا مَنَّتِ الْمُلِكُ عَلَيْكَ يَعْقُوبُ، فَلَا يَكُونُ مِنْ عَقْبِكَ نَبِيًّا»<sup>(١)</sup>.

والنبي موسى عليه السلام مع الخضر بالدقة تلتفت هل أن أحدهما أفضل أو لكل له فضل من جهة. فبحث الآداب في الأنبياء ينم عن معارف ومقامات ولذلك ذكرنا في بحث سابق أن الفضائل أو الآداب الإلهية هي في الواقع مناسب ومقامات بلسان الآداب أو الفضائل،

---

(١) النفيسي في بيان رزية الخميس ج ٢ - ص ٢٢٦.

والثابت انه سيد الأنبياء يقف أمام وبقية الأنبياء مأمورين فهذا ليس فقط أدب وإنما ينم عن مقامات ومناصب إلهية للنبي يفوق بها الانبياء جميعا، والنبي عيسى يصل إلى خلف الإمام المهدي عج فهذا ليس فقط أدب بل ينم عن مناصب ومقامات للمهدي على النبي عيسى عليهما السلام.

#### الجانب التاسع: النبوة العامة والخاصة وأدوار الأنبياء:

في المحاجة بينه عليهما السلام واليهود في أفضلية سيد الأنبياء على الأنبياء السابقين ومر ساقها في أكثر من موضع ان هذا مما يدلل على الأقل أن أحد نزاعات اليهود أو ربما مقولتهم ليست منحصرة في إنكار أصل نبوة سيد الأنبياء وإنما في أفضليته وبالتالي ناسخيته لشريعة النبي موسى ولزوم إتباعهم له.

لكن هناك نكتة مهمة نذكرها في بحث الأنبياء وهي انه ورد عندنا في الروايات أن الأنبياء على أقسام ودرجات وأنماط، فنمط ذو شريعة ناسخة وبالتالي شريعته عامة، ونمط شريعته ليست عامة وإنما هي خاصة، وهذه الخاصة ربما لا يطلق عليها شريعة فعنده مأموريات محدودة معينة ملزم بأن يبلغها إلى جماعة، مثل النبي يونس ﷺ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةٍ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ<sup>(١)</sup>، فالمقصود هذا ربما لا يطلق عليه شريعة وإنما مأمورية خاصة فيها تعليم خاصة، وقد ورد ان أصحاب الشرائع هم الخمسة (أولي العزم) فقط وبقية الأنبياء هم أصحاب مأموريات تتسع وتضيق ومتعددة في الروايات أن بعض قد يبعث إلى أهل مدنته أو أسرة

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٤٧ .

أو الحبي أو لنفسه فقط.

والظاهر أن التقسيم الموجود في الروايات أو الآيات هو بلحاظ رسالة الرسل والرسالة عبارة عن مأمورية ووظيفة، والشريعة وبالتالي هي نفس الشيء، وأما النبوة بلحاظ تبليغ الدين أو حماية الدين والدفاع عن الدين والظاهر أن هذا هو وظيفة جميع الأنبياء.

أما النبوة التي لا تقرن مع الرسالة بلحاظ تبيان معالم الدين والحماية عن الدين فان الظاهر هي وظيفة كل الأنبياء، فالمقصود أن هناك فرق بين دائرة الدين ودائرة الشريعة، فدائرة الدين هي أصل المعتقدات واصل الأركان والفروع وأصول المحرمات وأصول الواجبات فهذه ليست شريعة وإنما هذا دين اتفق عليه جميع الأنبياء ولا يمكن أن يكون منسوخا، فهذا الدين كل الأنبياء يبعثون به، ونستطيع أن نعبر انه ليس بعثة رسالة لأنه ليست مأمورية خاصة، مثلاً زكرياً ليس صاحب شريعة ويحيى ليس صاحب شريعة ولكن أتاهم الله الكتاب والحكمة وحتى يوسف لم يكن صاحب شريعة، فكونه غير صاحب شريعة أمر وكونهنبي بلحاظ نبوته وله وظائف فهو أمر آخر، وحتى يعقوب وإسحاق ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾<sup>(١)</sup> والإمام له وظائف تختلف عن حبيبة وظائف النبوة والرسالة.

المقصود أن ما ورد في كثير من الروايات أو الآيات أن الرسالة مأمورية خاصة وربما

تقترب من شريعة عامة أو شريعة خاصة أو غير ذلك، ولكن النبوة لها وظائف عامة وإن لم يكن النبي رسول قبل حتى لو كان النبي لنفسه فقط، فعنده وظائف عامة مع الناس وإن لم تسمى مأمورية خاصة ورسالة، والمأمورية العامة هي أن يشيد الدين ويحمي ويدافع عن الدين ويبيّن الدين، لأنه بالأساس هذه الوظائف واجبة على عموم المؤمنين فكيف ببني من أنبياء الله الذي هو أبصر بالدين من غيره وأكثر حيطة منهم.

الظاهر أن ما ورد أن بعض الأنبياء يبعث لأسرته أو لنفسه أو لحيه أو لمدينة أو جماعة فإن المقصود منها بلحاظ الرسالة تختلف الدوائر، وإلا بلحاظ عموم وظائف النبوة كل الأنبياء موظفوون لا أقل بالوظائف العامة التي هي ملقاء على الجميع والكل مشترك فيها ولو على نحو الإجمال وهم أبصر وأدرى بذلك.

ولذلك نشاهد كثير من الأنبياء استشهدوا وقتلوا مع أنهم ليسوا برسل وربما ليسوا بأئمة أي لم يحوزوا منصب الإمامة ولم يحوزوا منصب الرسالة ولكن قتلوا في سبيل الدين فان الدين واحد في مقابلة الكافرين، وتقول الآية ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الْنَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَجْبَارُ إِنَّمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهِدَاءَ فَلَا تَخْشُو الْنَّاسَ وَأَخْشُونَ وَلَا تَشْرُو إِثْمَاتِي ثَمَنًا قِيلَاءً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ﴾<sup>(١)</sup> فإقامة التوراة على عهدة النبيين الذين أتوا بعد النبي موسى عليه السلام ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا الْنَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ

هَادُوا وَالرَّبِّينُونَ وَالْأَحْجَارُ إِمَّا أَسْتَحْفِظُوْا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهَادَةً فَلَا تَخْشُوْا النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْرُوْا بِعَيْنِي ثُمَّنَا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ أي صلاحيات الولاية في الدين أولاً هي مستندة للأنبياء.

فالقول بأن بعض الأنبياء لا يبعثون كما ورد في الروايات هو صحيح بلحاظ الرسالة ولكن بلحاظ النبوة له وظيفة فلا نظن أن بعض الأنبياء انه يبعث لنفسه أو أسرته يعني أن مأموريته الخاصة بهذه الحدود، كلاً أن نبوته لها وظائف عامة، لذلك كثير من الأنبياء قتلوا وشردوا وطردوا، وهم أولى بصلاحيات رعاية الدين من العلماء أو الفقهاء أو الأوصياء إذا لم تكن رتبة أولئك أعلى.

ومثلا النبي يونس ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾<sup>(١)</sup> فهذا ليس معناه أن النبي يونس ﴿إِذَا شاهدَ مَدِينَةً أَخْرَى تَرْتَكَبُ فِيهَا مَعَاصِي اللَّهِ لَا يَرْدِعُهُمْ؟﴾، فليس المعنى هكذا لأن الامر يتعلق بواجبات مشتركة بين المؤمنين ناهيك عن الانبياء الذين هم في مقدمة المؤمنين والاصح ان هناك مأموريات خاصة وتوصيات خاصة لمدينة نينوى التي بعث إليها النبي يونس.

وهذا يقرب نكتة معينة وهي أن النبي موسى ﴿إِنَّمَا يَنْهَا مُوسَى وَغَيْرُهُ نَشَاهِدُ مِنْهُمْ دُعَوةً إِلَى التَّوْحِيدِ لِغَيْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مَثَلًا النَّبِيُّ مُوسَى دُعَا الْأَقْبَاطُ وَدُعَا فَرْعَوْنُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، لَكِنْ يُقَالُ بَانْ هَنَاكَ دَلَائِلُ رَوَائِيَّةً أَوْ قَرَائِيَّةً تَدْلِيْلٌ عَلَى أَنَّ شَرِيعَةَ النَّبِيِّ مُوسَى خَاصَّةٌ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَعْنَى

كون النبي موسى من أولي العزم ليس بمعنى أن شريعته عامة وإنما هي لبني إسرائيل ولكن عزمه من جهة أنه من لم يكن لديه ترك الأولى بدرجة معينة أو لم يتوانى في قبول ولاية أهل البيت عليه السلام كما اشارت الروايات لسبب تسمية الانبياء الخمسة باولي العزم.

عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى توحد بملكه فعرف عباده نفسه، ثم فوض اليهم أمره وأباح لهم جتنّه فمن أراد الله أن يُطهّر قلبه من الجنّ والأنس عرّفه ولايتنا، ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عن معرفتنا.

ثم قال: يا مفضل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفح فيه من روحه إلا بولاية علي عليه السلام، وما كلام الله موسى تكليمًا إلا بولاية علي عليه السلام، ولا أقام الله عيسى ابن مريم آية للعالمين إلا بالخصوص لعلي عليه السلام<sup>(١)</sup>.

وأيضاً ليس هناك دلائل تثبت أن أجداد النبي كانوا على شريعة النبي موسى أو عيسى. نعم كانوا على الملة الحنيفية الإبراهيمية ثم أن تصوير ذلك هو أن هناك فرق بين الشريعة والدين، فالشريعة من قبل النبي موسى أو عيسى فان هناك جماعة من علماء الفريقيين يقولون طبقاً للروايات أن شريعة النبي موسى والنبي عيسى خاصة ببني إسرائيل وإن كان النبي عيسى عنده دعوة إلى انطاكيه وقد دعاهم إلى التوحيد ﴿وَاصْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ \* إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فالرسل أنبياء ورسل من قبل النبي عيسى، بعبارة أخرى كان عنده فتوحات

(١) الاختصاص: ٢٥٠، البحار: ٧: ٣٤٤.

(٢) سورة يس: الآية ١٣ - ١٤.

توحيدية في الدعوة وهذا لا ينافي أن شريعته خاصة لبني إسرائيل، لأن الشريعة دائرة والدين دائرة أخرى، كما أن النبي موسى عليه السلام يدعو فرعون والأقباط لتوحيد الله وإقامة الدين وإن لم يدعوهم إلى شريعته.

ونفس النبي يوسف مع أنه لم يكن صاحب شريعة يدعو إلى التوحيد ﴿يَصَدِّجُونَ

السِّجْنِءِ أَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الَّهُ الْوَحْدَةُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ أَقْرَبُوا إِلَيْنَا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وزكريا ويعقوب مع انهم ليسوا برسل ولكن استشهد النبي يحيى قتلا ورفع راسه للطغاة بعد مقتله والنبي زكريا قطعوه بالمنشار أربا وغيرهم من الأنبياء الذين قتلوا واستشهدوا، وفي رواية أن المساجد كلها على قطرات دماء الأنبياء، لأن لأنبياء وظيفة تبليغ الدين وهي وظيفة عامة وليس خاصة ولا تحتاج أن يتزل عليه وحي خاص ويقول له بلغ الأمر، لأن أصل معنى النبوة أنه ينبي بالدين، فإذاً كل الأنبياء لهم دعوة إلى الدين وإن لم يكونوا رسل ويخاهدون على ذلك ويقتلون ويستشهدون، ومن وظائفهم العامة نشر دين الله الواحد، وإقامة الفرائض.

نعم المأموريات والشرع هذه تأخذ مساحات محدودة، لذلك نرى أن إقامة الدين شيء وإقامة الشريعة جانب آخر، وبناء الملة شيء آخر والعمل بالحكمة باب آخر الذي من بحثه حيث أن الحكمة غير الدين وغير الطريقة وغير الشريعة وغير الملة.

إذاً هناك وظائف متعددة للأنبياء غير الرسل، وربما حتى لقمان الذي كان مأموراً بان يحامي عن الدين بشكل من الاشكال وأيضاً كان يدعو إلى الحكمة كما تشهد بذلك سورة لقمان، فهناك وظائف أخرى لا يمكن حصرها في الشريعة.

ولذلك في بعض الروايات أن الإمام الرضا فرق باباً لم يفتحه قبله من الأئمة أي فتح بباباً من العلم والمعرفة، وكذلك الإمام الحجة سيفتح أبواب من العلوم لم تفتح من قبل، ومعنى الكتاب الجديد الذي سيظهره الإمام الحجه للناس أن الجدة فيه هو بهذا المعنى أي في التفاصيل وإلا أصل شريعة سيد الأنبياء مبنية على أساس ان «حلال محمد حلال إلى يوم القيمة حرام محمد حرام إلى يوم القيمة»

عن الصادق عليه السلام في حديث: فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشرعيته ومنهاجه حتى جاء محمد عليه السلام فجاء بالقرآن وبشرعيته ومنهاجه فحالله حلال إلى يوم القيمة وحرامه حرام إلى يوم القيمة ...<sup>(١)</sup>.

وهذه الأمور يجب التدقيق فيها فأين هي وظائف الشريعة ووظائف الدين أين ووظائف المنهاج والطريقة والملة والحكمة، فهذه ستة أبواب مختلفة بعضها عن بعض.

فأي نبي عند عدم كونه صاحب رسالة ول يكن ولكن عنده وظيفة نبوة وإمامية وعنده صلحيات إمامية وعنده صلحيات نبوة ولكن تختلف عن صلحيات الرسالة ولا تتنافى معها وهي قابلة للتصوير، وحتى صاحب الحكمة كما يطلعنا القرآن الكريم بيت الحكم،

---

(١) الكافي: ١٧/٢؛ المحاسن: ص ١٩٣.

فمن أين اتت الحكمة الى لقمان فهل أخذها من نبي؟ وكذلك مثلا الإمام الصادق من أين حدث العالم الإسلامي بهذه الأحاديث العجيبة، والمزي الذي كان معاصر وصديق لابن تيمية لكنهما مختلفان في المشرب حيث ان المزي استعرض في كتابه فضائل اهل البيت عليهما السلام وبينما ابن تيمية حاله في النصب والانحراف عن اهل البيت مشهور معروف، وقد ذكر المزي بسند متصل انه يسأله عدة رواة وفقهاء من العامة انه كيف ملئت الأفاق بالحديث وأنت لم تختلف إلى احد او قليل؟، فأجاب أن علمنا ليس كعلمكم تأخذوه من أفواه الرجال وإنما علمنا مدخول عن رسول الله، أي محفوظ ومكتون غيبي.

#### الجانب العاشر: أصالة علوم الأنبياء:

ولدينا في هذا الجانب مجموعة من الاشارات المهمة:

##### أولاً: شمولية علم النبي محمد ﷺ:

ذكر ﷺ أقسام عالم الخلقة وانها ليس محصورة بذلك وإلا ذكر الماء «وكان عرشه على الماء» وذكر أيضا الثرى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنُهُمَا وَمَا تَحْتَ التَّرَى﴾<sup>(١)</sup> وتحت الثرى غير الثرى وغير فوق الثرى فهذه أقسام لعالم الخلقة ومنها عالم اللوح والقلم وعالم النور، فالأنواع في عالم الخلقة كثيرة جدا مذكورة في الآيات والروايات، فعالم الثرى عالم يحيط بالسموات والأرض، أما تفسير الثرى بالرمل أو الأموات فهذا تفسير لمن لا يعي الغيب أما في الروايات موجود أن السموات السبعة التي هي مهولة نسبتها إلى الثرى كحلقة

في فلأة، وهناك بحر وهناك ماء وعوالم عديدة جداً وهذا كله دون الكرسي والعرش، وفي تعبير العرش الكرسي واللوح وعالم النور وعالم الأمر وإنما ذكر بشكل تفصيلي السموات في ستة أيام أو سبعة أيام فالثرى كيف والماء والعرش الذي على الماء «وكان عرشه على الماء» أي مستولي على الماء وليس بمعنى أنه محمول بل العرش هو مستولي وحامل والماء مستعلي عليه، وهناك عوالم كثيرة جداً سبحانه الله، وفي روايات المعراج أو غيرها روايات الخلق عند أهل البيت فيها بيان تفصيلي جداً للطيف عن تلك العوالم وعظمتها.

فالنبي ﷺ الذي يحيط بزوايا تلك العوالم ومع ذلك يأتي لك عالم أو عارف مثل شمس التبريزي أو الحافظ المولوي أو غيره يأتي ويقول لك أن القدرة المخلية عند النبي ﷺ ملونة بالبيئة العربية في ذلك الزمان أو بعلوم ذلك الزمان ولا ادري مدى الإسفاف عند هؤلاء أو معروف الرصافي أو غيره، فالذي خيلته وحسه يحيط بزوايا عوالم جبورية، كيف تتصوره هكذا ما إذا قلت أن هذه أساطير فأذن انتم ليس عندكم قدرة في التصوير فتقيسون مخلوقات عظيمة عند الله بأنفسكم، وعند ابن عربي في الفتوح أو الفصوص بان النبي ﷺ في تأثير النخل لا علم له به، والحقيقة ان مشكلة البشر انه يقيس النبي ﷺ على نفسه وهذا خطأ، والعجيب أن بعضهم يصورون ويقررون أن جبرائيل شاع من أشعة نور النبي ﷺ فإذا كان جبرائيل كذلك فكيف بالنبي ﷺ، وكذا عزرائيل يحيط بكل هذه الأرض فمن يكون حينئذ سيد عزرائيل ومرشد جبرائيل كيف لا يحيط بها هو اوسع، ولأن قدرة الخيال عندهم قدرة صغيرة أو الها رد دسك لا يتحمل فيصورون أن الآخرين كلهم قدراتهم محدودة، ومن بباب التصوير من كان يتصور أن عشرة آلاف كتاب أو أربعين ألف توضع في قرص فهم في

الماضي لا يتصورون ذلك أو تخزن كميات هائلة من المعلومات في شريحة صغيرة، فهو يقيس الآخرين على نفسه، ويقال أن أول حاسوب صنعوه كان عبارة عن مجموعة غرف ولم يتصوروا حينها كيف سيكون اللاب توب او الآيياد، فهم يتصورون أن قدرة النبي ﷺ تقاس بنفس ما موجود عندهم وهذا غير صحيح، والمشكلة مع أن العلم فجر أفق قوية وهؤلاء بنفس العقلية الصدئة القديمة الحجرية وانه يقيس الواقعية على ذهنيته فلماذا هذا الأمر؟.

فمشكلة الإنسان يقيس سيد الأنبياء وخلفاء الله في الأرض على نفسه أو يقيس نفسه عليهم، وان أول من قاس هو إبليس مع انه اشتبه بالقياس فانه اعتمد جهات ظنية ليست محطة ورصينة، فهذه الانفجارات في العلوم المفروض توجب لهم تقدم لا أن يقون على المعادات القديمة ويقيسون الواقعيات عليها، ومثلا سابقا كيف كان الورق أو أن الحروف كيف تصطف فتحتاج إلى مسافات كبيرة ولا يستوعبها كتاب أما الآن الكتاب الإلكتروني شيء آخر، ومن يصدق أن ثمانمائة راكب من البشر يرتفون صفيحة معدنية وتسافر بهم في أعلى الهواء أو في ثانية تتكلم من شرق الأرض إلى غربها من كان يصدق ذلك، إذاً الحقائق أوسع من إدراك الإنسان وكذا القدرات المهيمنة في عالم المادة أوسع من قدرات الإنسان.

إذاً هذه أمور يجب الالتفات إليها وهي ضرورية ومهمة فالمقاييس صعبة جدا، فإذا كان سيد الأنبياء يحذثنا عن كل زوايا تلك العالم ويحيط بها فكيف بزواياها ومستقبل الأرض وماضيها وهذه ذرة في بحر، بينما المقابل يجمعون بين المتناقضات وكل سبب ذلك هو المقاييس بأنفسهم ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، واحد الإعلام ذو باع في الحكمة عندما يريد أن يفسر أن المقصود كيف يدللي برأيه فيقول نعم يلاحظ الخاص والعام

فهو ينسى البحوث العديدة التي شيدها ففي التفاصيل ينسى، وحتى العرفاء مثل ابن عربي يريد أن يوجه رواية تزعم في شأن أبي بكر فيستدل بان النبي ' قال أن من كان له فضيلة من الفضائل دخل لأجنة ثم أشار إليه وقال جمعت فيك، فيفسرها من باب وحدة الوجود، فإذا كانت مختصة بوحدة الوجود فلم اختصت بزيد وعمر وبكر بل الكل فيهم فضائل، فلو أردنا أن نستند إلى هذه القاعدة الموجودة لديهم لما اختصت بشخص دون شخص فكيف تخصصها به، وبالتالي هذا ليس توجيه ولا تخصيص ولا تفسير فهم كثيراً ما يقررون قواعد ولكن عندما يريدون الدخول في التفاصيل تضيع عليهم التفاصيل فهذا نتاج بشري والمشكلة حينئذ المقايسة.

والمحصلة ان علوم الانبياء والائمة اوسع مما يتصوره البشر باعتبار ارتباطهم بمصدر العلم المطلق وهو الله تعالى.

## ثانياً: أصول العلوم من تراث الأنبياء:

ان أقسام الخلقة كبيرة وعديدة وليس محدودة بل اصل معرفة سبع سماوات لم نعرفها بالحس فالحس لم يدركها إنما اخبر بها الغيب من الكتب السماوية وإلا البشر لا يعلمون أن وراء هذه السماء سموات أخرى، بطليموس باعتبار انه قرأ في التوراة والإنجيل ففسرها بالهيئة التي عنده، ونتعجب من هؤلاء الحداثيون أو المهرمنطيقيا يقولون أن ما موجود في القرآن إنما هو بحسب البيئة العلمية، فلا يعلمون بان التوراة والإنجيل هي قبل بطليموس وهي موجود في التوراة والإنجيل وقبل الفلكيين والفلكيين لا يدركون السماوات سبع أو

عشرة فهذا العدد للسموات كان قبل الفلكين والفلكين نظموا أمورهم على ما هو موروث وحتى هذا البروفسور الاسكتلندي يقول أن قضية السبع سموات لم يدركها الفلكين ولا الفيزيائين وإنما على ضوء النبوءات التي تذكرها الكتب السماوية فنقول لابد من تصويرها الفيزيائي هكذا وإلا الصورة لم تنقدح في ذهن البشر لأنها مأخوذة من بطليموس فانظر إلى هذا التعجرف فينسب ما في الكتب السماوية إلى بطليموس بل أن بطليموس أخذها وحاول أن يفسر على تفسير فلكي ما موجود في التوراة والإنجيل، فالذى صوره بطليموس كأنها قشور بصل وتطبق على بعضها البعض وهذا التصوير من بطليموس كان بعد النبي موسى فكيف النبي موسى يأخذ ذلك من بطليموس، وحتى في أدعية صحف إبراهيم وحتى في كلمات النبي نوح موجودة وفي تراث ادم موجودة أي في صحف ادم، وهذا نموذج ان أصول علوم البشر مأخوذة من الأنبياء والكتب السماوية وتراث الرسل.

فالكلام فرق بين أن تعرف أصل لأعلم ثم عندما يفتح لك تذهب إلى غرفها وفروعها وبين أن اصل الانفتاح لا تلتفت إليه فكل هذه العلوم من أصول الأنبياء السابقين، فأصل الكيمياء اعترفوا انه من الإمام الصادق عليه السلام من خلال تلميذه جابر بن حيان، فالمقصود أن أصول معادلات العلوم هي من الأنبياء فكيف يقولون أن الأنبياء لا يعلمون بالطبيعة كيف ذلك وهم مؤسسو معادلات علوم الطبيعة، بل ابسط الامور تعلمتها البشرية من الانبياء فحتى اللباس فلم يكن يعرفوه فإدريس عليه السلام بدأ بالخياطة أو آليات الحرب فالنبي داود عليه السلام هو من أسسها وغيرها وكلها من سلسلة الأنبياء واصل علم النجوم احد الأنبياء أتى به الذي هو يقال سبب وجوده ، الآن لا تري أن تستقصي التاريخ وتعرف الحقيقة وتريد أن

تقول أن البشر هم أصحاب الدور وليس الأنبياء فهذا عناد وجاج وهو بحث آخر، الآن كيف الكلمة لها إعراب أي لها غير الحرف الظاهر الإعراب هو حروف ولكن حروف ذاتية صغيرة فأنت تتهجى بحروفين الحرف المعرف وهذا الحرف واقعاً حرفين صغير وكبير وما التفت إلى نفس هذه الظاهرة إلا علي بن أبي طالب ثم التفت الناس إليها، فالتعليم كله سماوي وإلا الإنسان لا يستطيع أن يفجر فطرته.

ومن يريدون أن يتسلقوا ورائها لا يستطيعون فكل ما حاولوا أن هذا الجدار أن يخترقوا لم يستطعوا ذلك لأنها العقل البشري أن يخترق هذا السقف فيقول له الباري أخساً وارجع ويقولون لو عرفنا ما ورائها لاكتشفنا أسرار مهولة في الكون ولكن لا نعرف، فالبشر أكثر علومهم هم مقلدة للأنبياء وعندهم بالفطرة أنه يوجد ورائه شيء إجمالاً ويعلمون أن الحقيقة وراء هذا، فلذلك نتعجب لمن يريد أن يسفه الأنبياء بعلوم البشر الذين هم في الحقيقة كلهم عالة وطفيليون على الأنبياء فهم عيال الأنبياء لا العكس وعجب ترد البشر وجاجه، وكل هذه العلوم مذكورة وموجودة عهود عديدة من الأنبياء غير العهدين القديم والجديد الذي يقطع الطريق أمام من أن يقول أن الأنبياء متاثرين وإنما هم تأثروا بالأنبياء فاصل الطب والقضايا الأخرى تبدأ من الأنبياء وكل بدا الحرف والصناعة هي من الأنبياء.

وعندنا في الروايات العديدة ولعل في اصل بودا كان هونبي ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَقَ لِهَا نَذِيرٌ﴾ وقد حرف أتباعه أصوله الأخلاقية واصل أن هناك خلق وخالق وان هناك روح مأخوذ من الأنبياء، فهذه الأمور من العلوم الإنسانية من الأنبياء والعلوم الطبيعية من الأنبياء وفي الواقع يوجد تحدي وهو تأسيس الأنبياء للعلوم الكثيرة، والآن يكيف المنهزم في نفسه

يكفيه أن لا ينهرم في نفسه يشاهد عهد علي عليهما السلام الاشتراط فرغم تطور العلوم الإدارية والعلوم الاستراتيجية وعلوم النظم فقد صوتت البشرية في الأمم المتحدة وليس بسعى إسلامي ولا شيعي أنها صوتت على أن هذا العهد جدير بإدارة الدول ومصدر لقوانين البشرية والعلوم الإدارية والنظمية بعد مضي أربعة عشر قرن من كتابته والعلوم الاستراتيجية من اعقد العلوم لأنها فيها معادلات المتغير وهي صعبة وليس من قبيل علوم أخرى بل علم جداً صعب فالذي يخوض في علوم الإدارة يلتفت إلى أن علم الاستراتيجية والنظم كيف هو صعب، فأنت تنظم ما هو متغير فحتى هذا النظم لابد أن يجري عليه تغير لكي تستطيع السيطرة على المتغير، ورغم السيطرة على كل متغير هو صعب فكيف بين نظم معينة في كل المجالات وبعد أربعة عشر قرن هي جديرة ورائدة وهناك لجان علمية تخصصية بحثت جدارتها وجداوليتها وليس مجرد أمور تصوitye، وهذه كلها منبهة أن السماء رائدة علوم الأرض وإن السماء تكفل تكامل أهل الأرض.

والثورة الصناعية روادها رغم إخفاء الساسة والعلمانيّة لذلك أن روادها يشهدون أن أكثر الالتفاتات العلمية المهمة هي من النصوص الدينية واينشتاين يذكر ذلك، والذي اكتشف البكتيريا باستور أو غيره أو مكتشف الكهرباء فهم يلاحرون النصوص الدينية أعم من مسلمين أو يهود او نصارى فيلاحرون النصوص الطبيعية الدينية في اكتشاف العلوم الطبيعية، اتفاقاً هم الآن في اعترافات أن معظم بنى الثورة الصناعية الغربية هي اكتشافات إسلامية فالساعة أو التحكم في الزمن فكم له تأثير في كل الثورات العلمية الموجودة، وعلوم المسلمين علومهم منطلقة من تأسيس أهل البيت لعلوم الإسلام، إذاً تفجير بدايات العلوم

مفاتيحها من الأنبياء فحتى في التعميم ففيها ما فيها من بيانات وإنما أنت مثلاً لست بفiziائى ولا مراجع لتاريخ الفiziاء فهنا الطامة الكبرى أن تحكم من بعيد على تاريخ الفiziاء، فسروش الآن ليس فiziائى ولا يعرف تاريخ الفiziاء ولا يعرف إن التاريخ له تخصصات فمن الخطأ في الجامعات الأكاديمية أن يأتي لك شخص إنما مؤرخ في كل القرون فيقال لك اذهب أنت عشوائي فإذا أردت أن تتخصص في نصف قرن وفي جانب من الجوانب ثم تحكم بشيء أما أن تأتي وتطلق أحكام عمومية بهذه جهالات في العلم فإذا أطلقنا نفينا وإثباتاً ولكن نحن نستند إلى منبهات موجودة في إشارات الولي، الآن بعض المعلومات التي ذكرت بين مولد بطليموس وتاريخ وفاته وبين النبي موسى وأعطيك معطية تاريخية، أما أن نطلق أبهامات بهذه نتيجة خطيرة، وان هذه المائة سنة من الثورة الصناعية مهدت لها التي قبلها وثم هذه المائة سنة الأخيرة ليس كلها نتاج عقولهم هم، والآن ليست عقولهم التي تدير الناس فالنسبة الأكبر منها عقول غير أمريكية والجامعات الأمريكية القسم الأكبر منها تدار بعقل ليس أمريكي هي عقول أكثرها غير الأمريكية، ونحن ليس لنا عنصرية معهم بل نحن عندنا تحسس معهم من جهة الأنبياء أنهم أنبياء أو غير أنبياء وبائيات وجهود الأنبياء هي التي أسست مثل هذه الأمور، ونعاود بالكلام بأنه من عرف تاريخ علم النجوم متى بدا ومن الذي وضع علم النجوم فإذا عرفنا التاريخ حيث يقولة القائل مقولته.

### ثالثاً: القرآن منبع للعلوم:

يقولون أن الذي وضع علم الاجتماع هو ابن خلدون؟، من قال انه ابن خلدون وما

هذه النكات الاجتماعية المذكورة في نهج البلاغة كحكم وغيرها وفي القرآن، إذاً المقصود يجب التثبت فيه هل أن رسالات السماء هي تأثرت بالعلوم البشرية أو العلوم البشرية انطلقت من رسالات السماء، وليس خصوص سيد الأنبياء بل منذ ادم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ويحيى وداود....، فالأنبياء عرفو للبشرية الأعراف. نعم صحيح الإنسان ان المعارف مدفونه في عقله «بعث الله الأنبياء ليثروا فيهم دفائن العقول»<sup>(١)</sup> فدور الأنبياء اظهار هناك موجود في الفطرة دفائن العقول لا أن البشر كالبهيمة بل مخزون فيها ولكن الإثارة ليست هي من قدرة ووظيفة البشر بل هي وظيفة السماء وقدرة الباري تعالى «ليثروا فيهم دفائن العقول ويستأدوهم ميثاق فطرته» وهذه الفطرة فيها مواثيق علمية كبيرة جدا ولكن الذي يفصل ويفتق هذه الأكمام هو دور الأنبياء لا أن نقول أن الأنبياء هم يستفيدون من علوم البشر، فمثلاً الآن حتى للأسف محققين كبار في المعرف وذوي باع في الحكمة والتفسير في قوله ﴿تُبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول ليس هو الفيزياء وليس تبياناً للكيمياء، مع أن القران يقول ﴿وَمَا مِنْ غَائِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup> فهل هذا إغراء في القرآن أو أن هذا صحيح، نعم الدور الأهم في القرآن هو الهدایة وفرق بين دور الهدایة ودور اظهار العلوم والهدایة شيء أعظم من العلوم، فالقرآن مع انك لست فيزيائي لا يعلمك الفيزياء، أما إذا كنت فيزيائي فقد يعلمك الفيزياء أو يجعلك ويعلمك كيف توظفها في الكمال ولسعادة البشرية لا لدمارها، فالفيزيائي لمن يلتفت يعلمه، وإذا قلنا أن للقرآن وجود

(١) نهج البلاغة / ص ٤٣.

(٢) سورة النمل: الآية ٧٥.

علوي إذاً رسالات هي روافد تهدي البشرية وتبين لكل شيء فهو تبيان لكن من له قدرة فهذا بحث آخر، ويقول **الباقر عليه السلام** لو شئت لاستخرجت الدين كله من لفظة الصمد فقد روى عن الإمام **الباقر عليه السلام**: «لو وجدت لعمي الذي آتاني الله عزّ وجلّ، حملةً، لنشرتُ التوحيد، والإسلام، والإيمان، والدين، والشرياع؛ من (الصمد) .. وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أمير المؤمنين (عليه صلوات المصلين) حملة لعلمه»<sup>(١)</sup>.

وهذا بحث آخر فمن يستطيع بهذه القدرة. بل من يستطيع من هذا المتن الظاهر الكثير الكثير ومثل علم الرياضيات هم يقررون أن علم الرياضيات يستطيع أن يحيط عن كل أسرار الكون ولكن من الذي عنده القدرة أن يفجر ذلك؟ ولذلك لم يجحدوا أن في القرآن القدرة على كشف الإسرار لكن من المعلم الذي يقتدر على استخراج ذلك وهو شخص لابد ان يكون مرتبط بالسماء، والكيمياء والإحياء والفيزياء هذه لها قدرة أن تكتشف أسرار الحقيقة ولكن من يستطيع أن يستخرجها من تلك العلوم فهذا ليس من قدرة البشر نعم البشر عنده سعي وعنده حركة والسماء تدعوه إلى عدم الجمود بل تدعوه إلى الحركة ولكن لا أن لا يتمرد على السماء فأنت متعلم وطالب حقيقة وعندك قابلية لأن تتعلم فلا تتمرد على المعلم الأصلي لك والمعلم الأصلي هو السماء.

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق: ص ٩٢



## المبحث الخامس: معاني الوحي وأنواعه

قيل ان الوحي في اللغة كما يظهر من بعض اهل المعاجم هو الإعلام بخفاء بطريق من الطرق<sup>(١)</sup>.

وفي القرآن الكريم جاء في موارد متعددة مختلفة منها قوله سبحانه:

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا﴾

يايجاد السنن والنظم في كل سماء.

ومنها قوله سبحانه:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنَّ الْجَنِيدِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمَا يَعْرُشُونَ﴾

ما أودع في خلقه وكيان النحل من غريرة يتوصل من خلاها إلى أعماله الحيوية.

ومنها قوله سبحانه:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أُمُّ مُوسَىٰ أَنَّ أَرْضَعِيهِ﴾

ايصال مصير النبي موسى عليه السلام لأم موسى كان بإلهام وإفهام خفي، عبر عنه بالوحى.

ومنها قوله تعالى في وصف زكريا:

---

(١) راجع في ذلك معجم مقاييس اللغة: ٦-٩٣؛ لسان العرب: ١٥، ٣٧٩.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمٍ مِّنَ الْمُحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

فقد أشار إليهم من دون أن يتكلّم، لأن الله تعالى أمره أن لا يكلّم الناس ثلاث ليال سوياً.

ومنها قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوْحُونُ إِلَى أَوْلَيَاءِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ﴾

عبر طرق الشياطين من الوسوسة والتزيين ويدرك الأفكار في الآخرين من كان مستعدا لذلك.

والملهم هنا ان الغالب في استعمال الكلمة الوحي في القرآن هو كلام الله المنزل علىنبي من الانبياء، فكلّما مورد ذكر فيه الوحي من دون تقييد او تحصيص او قرينة فيراد منه وحي النبوات، وهو شعور خاص يوجده الله سبحانه في الانبياء.

وفي المحاججة «فقال ابن صوريا قد صدق يا محمد فقد بقية خصلة أن قلتها آمنت بك واتبعتك أي ملك يأتيك بما تقوله عن الله قال جبرائيل».

وفي كثير من الكتابات والأبحاث أن مصادر الوحي على أقسام وأنواع عديدة جداً ومن الخطأ حسبان أن الوحي على نمط واحد، وتقول الآية ﴿وَمَا كَانَ لِيَشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسَلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> فهذا خصوص التكليم فالتكليم له ثلاث أنماط، وإنما هناك وحي صورة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ

أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَتُخَوِّفُهُمْ كَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَيْرًا<sup>(١)</sup> فهذا تكليم بمعنى اخص، وهناك آيات لم ينزل بها جبرائيل عليه السلام منها ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَا نُورًا مَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> وهناك نزول جملي للقرآن لم ينزل به جبرائيل عليه السلام، فهذا نوع من الوحي وليس خصوص التكليم الذي هو سماع سواء بالقلب أو الإذن أو غيرها، فالوحى اعم فقد يكون بالرؤيه وبالتأييد والتسديد، وبالم المناسبة أن الآية الثانية هي تأتي بعد الآية المقدمة التي تقسم أنواع التكليم الإلهي.

وفي آية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ يشرح في نهج البلاغة أن هذا وحي من نمط آخر، فالخلق العظيم الذي تكون للنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وقد شرحه أمير المؤمنين عليه السلام في احدى خطبه قائلاً: «ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليه ونهاره»<sup>(٣)</sup>.

فحينما اكتملت المكارم قال الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فهذا الخلق العظيم يسميه أمير المؤمنين عليه السلام نوع من الوحي وهو وحي تربوي ثم ان شاكلة نفس الرسول مصاغة بيد إلهية وهذا نوع من الوحي، لأن كل سلوك وخلق النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يدل على أدب وخلق الهي، وهذا المبحث مثبت في الروايات ولكن في جملة من الأبحاث الكلامية والتفسيرية تشاهد

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٠.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٣) نهج البلاغة الخطبة: ١٨٧ ، طبعة عده.

عندهم اقتضاب في هذا البحث لذلك عندما يصلون إلى مباحث وعرة وحساسة يحصرون الوحي بأقسام خاصة، مثلا قوله ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى \* وَمَا يُنْطِقُ عَنِ الْهُوَى \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾<sup>(١)</sup> فهذه عصمة النبي ﷺ في النطق، وقالوا هذا عصمة النبي ﷺ في تبلیغ الوحي، ونقول أي وحي منها؟، وللأسف حصروه في وحي فيما إذا جاء جبرائيل والحال كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام أن الآية ليست في خصوص الوحي واللطيف أنهم حصروه في القسم الثالث من التقسيم بينما الآية ليست في خصوص هذا المقسم من الوحي التکلیمي فضلاً من الحصر في الثالث من التکلیمي فنفس النبي عليه السلام قلباً و قالباً هو وحي، فالوحي لا يختص فقط بالسمع، وفي قوله ﴿وَآيَدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ﴾ فهذا ليس فيه معنى بل فيه متن وجود ولا يرتبط بالمعنى فحتى لو أردت أن تفسر ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾ بمعنى يوصل إليه المعنى فلا يندرج فيه مع انه نوع من الوحي، إذاً الوحي ليس كما ذكره التعريف الرسمي للمتكلمين أو التعريف الرسمي لكثير من المفسرين أو التعريف الرسمي لكثير من ابحاث المعارف من انه عبارة عن إيصال معاني أو سماع، بل أكثر فالوحي أنواع عديدة.

وذكر صاحب القوانين مباحث كأنها اليوم كتبت بعض المباحث تجد كانه ينظر بعض العلمانيين اليوم، وبعض الاثارات كما ألان يناقشها، وعنه عبارة ظريفة في الجواب على الإخباريين يقول أن البديهيات العقلية وحي الهي، فهذه الفطرة المترجمة باليد الإلهية هي وحي، وفي الروايات

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

(١) سورة النجم: الآية ٢ - ٤.

«حجّة الله على العباد النبي ﷺ، والحجّة فيها بين العباد وبين الله العقل»<sup>(١)</sup>.

روي عن الإمام الكاظم عليه السلام: «أن الله على الناس حجتين حجّة ظاهرة وحجّة باطنة فأما الظاهرة فالرسول والأئمة وأما الباطنة فالعقل».

وميرزا القمي غير اللفظ وقال وحي باطن ووحي ظاهر، فهذا وحي بمعنى البديهيات لا نظريات، إذاً هذه الفطرة المودعة البديهية التي هي رأس مال الإنسان هي وحي فطري خفي وهو يتحكم في الإنسان واستعمل في الآيات والروايات فالوحي أقسام عديدة.

وهناك وحي آخر كما ذكرنا وهو أن نفس الشيء الموحى وهو الروح الامری وآلته الوحي الله اعلم بها، فالشيء الموحى إلى الرسول هو وجود الروح الامری وقد أودع في روح الرسول وغرز الروح الامری في روح الرسول وهذا نوع من الوحي كما تغرس الفطرة في الإنسان ولكنه غير ذلك وأعلى، ويقول ﴿وَعَلَّمَنَا مِنْ لُدُنَّا عِلْمًا﴾ وهو العلم اللدني، فالوحي أقسام وأنواع إذا تبع المتبوع لروايات أهل البيت عليهم السلام يجدتها كثيرة وغير ما حصرها وقسمها العرفاء وان كانوا أكثر سعة من المتكلمين.

لذلك آية ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهُوَيْ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ فأي وحي هذا؟ فليس فقط وحي الصوت، ونفس ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ هو وحي، وهذه تدل على عصمة النبي عليه السلام العلمية والعملية، فالغواية أو الهوى الجانب العلمي وضل هو الجانب العلمي حتى في الصغيرات، فيتركون قوله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهُوَيْ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾

(١) الكافي: ١/٢٥.

(٢) الكافي: ١/١٦.

يُوحَى ﴿ وَيَتَمْسَكُونَ بِقَوْلِهِ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ويفسر بقسم واحد من تصرفات  
وحياة النبي ﷺ من الوحي.

أن المراج هو نوع من الوحي وهو نحو من مكاشفة عاليه ومشاهدة تامه ﴿ مَا كَذَبَ  
الْفُؤَادُ مَا رَأَى \* أَفْتَهُرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾<sup>(١)</sup> وهذا نوع من الوحي، فالوحي أقسام وأنواع  
وباسم جامع نقول انه (ما خفي)، والضمير في الآيات يرجع إلى النبي ﷺ ما ضل هو وما  
غوى هو وما ينطق هو وفي ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ قالوا هناك ليس المراد كل ما يصدر  
من النبي ﷺ بل نطقه فقط، بل الصحيح ان النبي ﷺ كله كتلة من الوحي قوله و فعله و هديه  
﴿ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ وبعضهم يقول هذا ليس في العadiات أي الامور  
والافعال الاعتيادية التي لا صله لها بالتشريع بل هو بها يرتبط بالتشريع، وكلامنا أين  
عاديات الرسول؟، فأسلوب التعامل انما الذي فيه منظومة من الأحكام و يتوجهها كاثار و سنة  
لازمة فأين معنى العadiات وبأي معنى تكون؟؟.

قال الشيخ المفيد:

«فإن قيل: ما الدليل على أنه معصوم من أول عمره إلى آخره؟ فالجواب: الدليل على ذلك أنه لو عهد منه في سالف عمره سهوا ونسيان لارتفاع الوثيق عن إخباراته ولو عهد منه خطيئة لنفرت العقول من متابعته فتبطل فائدة البعثة»<sup>(٢)</sup>.

وهذا مذهب الشيعة الذي شهد به علماء السنة قال الفخر الرازى :

(١) سورة النجم: الآية ١١ - ١٢ .

(٢) النكت الاعتقادية ص ٣٧ .

«اختلفت الأمة في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على قولين أحدهما قول من ذهب إلى أنه لا يجوز أن يقع منهم ذنب صغيراً كان أو كبيراً لا عمداً ولا سهواً ولا من جهة التأويل وهو قول الشيعة»<sup>(١)</sup>.

مثلاً قد تقول من اختلاف سنة النبي ﷺ في المصاديق أن غرفته كانت من الطين فان هذا خاضع لتبدل المصدق و لهذا حتى في القضايا الشرعية التي مثلاً ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أو (فاستعنون) فالمصاديق والآليات تختلف لكن ليس موضوع حكم شرعي، واتفاقاً لهذا التساؤل في عاديات الرسول تذكره قريش لعبد الله بن عمرو، فمنعته قريش وقالت أن الرسول إنسان يتكلم في الرضا الغضب والسرور والرخاء والعاديات، فقال للنبي ذلك وكان جواب النبي ﷺ «اكتب فو الله ما يخرج من هذا إلا حقاً»<sup>(٢)</sup>.

«... عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهني قريش، وقالوا أتكلّب كل شيء تسمعه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلّم في الغضب والرضا! فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأوّلما ياصبعه إلى فيه فقال: أكتب، فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق!»<sup>(٣)</sup>.

وحتى في العاديات فيها بحث الآداب وأسلوب التعامل لذلك كله قالب وحي كيفية مشيه وجلوسه وكيفية تعامله مع أهله وأسرته، ولذلك ضبط هذا في التاريخ والسير.

(١) المحصول. ٢٢٥١٣.

(٢) روى أبو داود في سننه ج ٢ ص ١٧٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٩٢ (بتفاوت يسير).

نعم القضايا الشرعية لا تقتصر على مصدق واحد فقد يتبدل مصاديقها ولكن القالب نفس القالب، مثلاً مسواك رسول الله ﷺ وان كان الأطباء الباحثين لحد آن يقولون حتى المسواك له خصوصية طبية، وقد يستفاد البعض التعميم إلى الفرشاة والمعجون ولكن أصل التسوك هو مستحب في نفسه وتأسي.

إذاً كل أفعال النبي ﷺ هي راجحة فعاديات النبي ﷺ هي في الواقع راجحة فمن أراد أن يقلد النبي ﷺ في أقواله وسلوكياته وهديه لا يقتصر على المصاديق السابقة فقد تستجد مصاديق أخرى تحمل نفس الطبيعة، لأن طبيعة الأحكام تحرى مجرى الليل والنهار، لذلك ذكرنا كثير من المسلمين ضبطوا كيفية جلوس النبي ﷺ ونومه ومحادثته وإقباله ودرجة صوته وحركة عينيه، فهذا الضبط لفهمهم أن هذه الأمور هي آداب شرعية استنبطوا من ذلك آداب شرعية وبالتالي يدل من أنه مصدر تشريع.

المقصود أن الوحي أنماط وموارد كثيرة تتسع لتشمل كثير من المواطن المعرفية واحد معاني الوحي تطهير الله ﷺ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا فهذا نوع وحي ولكن ليس وحي سماع وكلام، يعني أن هذا القلب مصاغ بيد القدرة الإلهية، واحد معاني الوحي انه يبرز لك الإرادة الإلهية والشاكلة والأنموذج والهدي الإلهي، فصياغة الطهارة وإذهب الرجس بيد القدرة الإلهية نوع من الوحي، وهذه نكتة مهمة في المعارف وهو أن الوحي ليس خاص بالنبوة بل اعم بما يكون ارتباط بالغيب بشكل خفي.

«فقال ابن صوري يا قد صدقت يا محمد أن قلتها آمنت بك واتبعتك أي ملك يأتيك بها تقوله عن الله» وهذا سؤال إيهامي من أن الوحي فقط الرسول «قال جبرائيل قال ابن

صورياً ذلك عدنا من بين الملائكة ينزل بالقتل الشدة وال الحرب» لأن الذي خسف بقرى قوم لوط هو جبرائيل.

ونذكر أن تعريف النبوة الموجود في كتب المتكلمين أو الفلاسفة أو حتى العرفاء هو تعريف ناقص وقصير ويسبب قصور في معرفة النبي ﷺ ويسبب وبالتالي التجاسر في ما نتعاطاه من معرفة مع النبي ﷺ، لأن المقابل يتوهم بـأن النبي ﷺ مجرد ساعي بريد، بل أن وجود النبي ﷺ وحي والقول أنه ناقل فقط خطأ في تعريف النبوة وفي معرفة حقيقة النبوة والرسالة، لأنه لم يعرفها، والقصور واقعاً موجود في تعريف ومعرفة النبوة والرسالة ما هي.

### اتساع معاني الوحي:

ومن الأمور التي وقع الاشتباه فيها هو أن الوحي على نمط واحد من كونه وحي الهم أو صوت أو تكلم، كلاً فـان التسديد وحي والتأيـد وحي، ويـشرح أمـير المؤمنـين عـلـيـهـالـحـلـلـةـ في أصول الكافي أنـماـطـ وأنـوـاعـ عـدـيـدـةـ منـ الـوـحـيـ، وـخـلـقـ الطـيـنـةـ منـ طـيـنـةـ خـاصـةـ نوعـ منـ الـوـحـيـ وهي طـيـنـةـ الفـطـرـةـ، فـكـيـفـ نـنـطـلـقـ نـحـنـ فيـ الفـطـرـةـ منـ الـبـدـيـهـيـاتـ وـنـسـتـطـعـ أنـ نـسـتـعـلـمـ المـجـهـولـاتـ إـذـاـ كـانـ الـفـطـرـةـ الـبـدـيـهـيـةـ وـاسـعـةـ جـداـ أوـ قـلـ كلـ الـأـمـورـ الـفـطـرـيـةـ بـدـيـهـيـةـ، وـتـبـيـرـ الـمـيـرـزاـ الـقـمـيـ فيـ القـوـانـينـ أـنـ الـبـدـيـهـيـاتـ الـهـامـ، إـذـاـ الـوـحـيـ أـنـماـطـ فـقـولـهـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ فـيـوـحـيـ إـلـيـهـ الـقـوـانـينـ أـنـ الـبـدـيـهـيـاتـ الـهـامـ، إـذـاـ الـوـحـيـ أـنـماـطـ فـقـولـهـ ﴿وَمَا كـانـ لـيـشـرـ أـنـ يـكـلـمـهـ اللـهـ...﴾ هـذـاـ فـقـطـ فـيـ التـكـلـيمـ وـغـيـرـ التـكـلـيمـ شـيـءـ آـخـرـ ﴿وَمـاـ كـانـ لـيـشـرـ أـنـ

وقد يستعمل الوحي بمعنى اخص ولكن لا يعني أن الوحي معناه خاص، مثلاً ﴿وَمـا كـانـ لـيـشـرـ أـنـ يـكـلـمـهـ اللـهـ...﴾ هـذـاـ فـقـطـ فـيـ التـكـلـيمـ وـغـيـرـ التـكـلـيمـ شـيـءـ آـخـرـ ﴿وَمـاـ كـانـ لـيـشـرـ أـنـ

يُكَلِّمُهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ  
 (١) فالوحي أقسام وأنواع، فمثلاً في قوله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أُمَّ مُوسَى﴾ فقالوا هذا وحي بمعنى  
 اللطف، وكيف يكون كذلك والآية تقول ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أُمَّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتَ  
 عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فهناك ستة  
 اختبارات وأوامر فكيف يكون بعد ذلك معناه لطف؟!، فان معنى اللطف عندهم هنا هو  
 توفيق من الله، فالوحي الذي فيه تسديد وفيه عصمة وفيه آثار فهذا لا يقتصر على الهمام أو  
 التكليم أو الرؤية، وهذا الأمر صيرفته وتشميشه عند من يعيش هذا العالم وهم أهل البيت عليهم السلام  
 والذي لا يعيش في هذا العالم لا يدرى بالأول والأخر فيه ولا يمكنه ايضاح حقيقته فضلاً عن  
 الوصول إليها.

إذاً سبب خطئهم في بحث الوحي أنهم يظنون الوحي فقط هو الإلهام أو الكلام أو  
 الرؤية، ولذلك أمير المؤمنين عليه السلام في أصول الكافي يشدد على هذا المطلب وهو أن الوحي أنهاط  
 وأنواع وأقسام، وخلق طينة النبي عليه السلام من أفضل الطين هو نوع من الوحي لأن هذه الفطرة  
 معلومات وكالات وهذه الفطرة رابطة بين الإنسان والغيب، فان الله على الناس حجتان باطنها  
 وظاهره والحجة بمعنى الواسطة والرابطة، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ  
 النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فالدين  
 وحي.

(١) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٢) سورة القصص: الآية ٧.

(٣) سورة الروم: الآية ٣٠.

وتعبير الميرزا ألقمي في الجزء الثاني في القوانين بجوابه على الإخباريين في مسألة ما حكم به العقل حكم الشرع والميرزا القمي غير اللفظ في الرواية في وصف العقل وقال نفس حكم العقل هو وحي واستلهام من اللوح المحفوظ في البدويات وليس النظريات، إذاً الوحي ذو أقسام وأنواع وأنماط، ومنها الأدب ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ فان هذا من أقسام الوحي كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، أصلا استعراض الله عن النبي عليه السلام موسى من بداية طفولته وإلى أن كبر كيف كان تحت الحراسة والتربية والتوجيه والإرشاد الإلهي، وهذه كنفوت مؤهلة للنبي موسى كنبي وقدوة ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَدَهُ، إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

ولذلك المشكلة حتى في كلمة الوحي عند السيد الخوئي وعنده السيد الطبطبائي في الميزان وقد طغى في الساحات العلمية مقولات العامة والحال أن الوحي في اصطلاحات روايات أهل البيت عديدة جدا، مثلا في القرآن ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِيمَانٌ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> فالموحى روح والموحى هو الله والموحى إليه النبي عليه السلام والواسطة الله أعلم من هي وما هي، أي خلق روح القدس في أرواحهم هو وحي، وكل هذه جهات تعطيك زوايا متعددة لتكلل الوحي بأنواعه وأقسامه في النبي عليه السلام.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> فهم يقولون في الشرعيات لا في الأمور العادية؟، فيا ترى أي شيء عادي في النبي عليه السلام وكما يقول ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ يعني

(١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

كل خلقك والأفعال مولودة للأخلاق بالبرهان العقلي والفلسفي والعرفاني فكل أفعاله وليدة خلق عظيم بشهادة رب الخلقة، فهم يقولون الأفعال العادلة فلا أما الأفعال في جلسة التشريع فصحيح أما في الأمور العادلة هو بمنزلة الشافع مثلا ولا يعمل ولايته؟، وهذا غير صحيح لأن التشريع على أقسام، فهو في كل أخلاقه على خلق عظيم في حله وترحاله وفي نومه ويقظته وسكنونه وحركته وقوفه وجلوسه وفي بيته وظهوره وفي حربه وسلمه، أما بعض الخلق فلا لانه لم يقل انك على بعض الخلق عظيم، فالآية فيها تعميم، والخلق هو مجموعة المنظومة التي تسير البدن، ولذلك وصف بالعظمة وليس فقط في هذه الآية فهناك آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِيَعْضُّ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(١)</sup> فمكانة النبي في كل شؤونه هكذا مكانة عظيمة بحيث الإنسان يفقد إيمانه بإساعة يسيرة في نظرنا غير مقصودة تجاه النبي تخرج وتمرق الإنسان من الدين، فهنا لا يشعر بالتائج وإلا مقصوده ارتكازاً موجود ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ كلها افخام من الله عز وجل لمن قاموا بها وهذا واضح انه على سدنة إلهية عظيمة.

ومن قواعد معرفة العصمة في المعصومين وهي قاعدة التكامل في المعصومين، وقد مرت بها شؤون وجهات وحيثيات عديدة منها أن تلقي المعصوم عن المعصوم في الدرجة الأولى ليس تلقي مادي وإنما هو تلقي نوري وإلهامي وتلقي من ألوان القنوات الغيبية والملكونية ومن ثم يعبر عن أئمة أهل البيت أنهم سفراء الله في خلقه، فالسفير لا يختص

بالنبي ﷺ بل بكل قناة غيبية توصل مرادات الغيب إلى الصفة البشرية النازلة فيعبر عن تلك القناة بالسفارة. وأقول لا يتلقى بسمعه البدني وإنما يسمع البرزخي أو العقلي أو الملكوي. وبالتالي تتلقى النفس الجزئية وهي ليس البدن وإنما النفس الجزئية ليس البدن الدنيوي وإنما بلحاظ البدن الخاص في قبال النفس الكلية والروح الكلية بل بلحاظ ابدان مختلفة أو بلحاظ المادي ككل فهذه الكلية والجزئية ليست المنطقية وإنما يعبر عنها كلية أو جزئية في علم العرفان أو تستخدم في علم الاقتصاد، ففي الاقتصاد كلي ليس كلي منطقي وإنما اقتصاد كل البلد واقتصاد جزئي المراد عينة خاصة والكل والجزء قد يكون في المقادير والسعة الوجودية سواء كانت كل مادي أو سعة وجودية غير مادية. وورد تعبير في عزراائيل عليه السلام وهو ملك مقرب أن الأرض والآفوس عنده كالجوزة.

فتلقى المعصومين عن النبي ﷺ غير منقطع بخلاف غيرهم منقطع، ونفس ما يتلقاه المعصومين ليس يتلقونه عن السمع وإن كان فيها السمع موجود وهو برزخي أو غيره « يا حسين أن الله شاء أن يراك قتيلاً» وهذا التعبير موجود ولكن ليس بالضرورة سمع حسي بدني ومضافا إلى ما مر بنا أن سنة النبي ﷺ حكمها حكم القرآن وكذلك الكلام في مصحف فاطمة والصحيفة السجادية فوجودها الحقيقي هو وجود غيبي ومقام تكويني، إنما هذه الألفاظ تنزلات، فسنة النبي ﷺ وهدى النبي ﷺ وشرعه هو عين مقامات النبي ﷺ وهذه السنة ليس من حافظ وواصل لها بشكل غير منقطع غير أهل البيت، كما أن القرآن له منازل غيبية هي حقائقه وهذه الألفاظ في المصحف تنزلات وترقى وتشفف وترشح، ودائماً يصف القرآن الكريم أنه تنزيل وهو غير التصعيد، فمقامه في الأصل شيء غيبي وإنما هي تنزلات

وكذلك مصحف فاطمة، وواسطة فاطمة للامة في العلم ليس فقط في المصحف المنقوش وإنما أحد النوافذ الغيبة فتحتها للمعصومين، فتنزل عليها فصار مقام يرثونها منها فقد ورد في الزيارة «السلام عليك يا وراث فاطمة بنت رسول الله» وهذه الوراثة تكوينية، لذلك علم الأئمة بمصحف فاطمة يظهر ويترشح في ورق، صحيح هو مصحف ورق كما القرآن أيضاً، ولكن هذا تنزل له وجود آخر حقيقي ملكوتي، وهذا المعنى الوجودي ليس في القرآن فقط بل الزبور والإنجيل والتوراة وصحف إبراهيم وموسى والصحيفة السجادية والسنة النبوية كذلك.

روى أبو بصير قال:

«دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له إني أسألك جعلت فداك عن مسألة ليس هيئنا أحد يسمع كلامي فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً... «وساق الحديث»... حتى أجابه الإمام قائلًا: «وان عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدرىهم ما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاثة مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد إنما هو شيء املاها الله وأوحى إليها قال قلت هذا والله هو العلم انه لعلم وليس بذاك قال ثم سكت ساعة ثم قال: انّ عندنا لعلم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال انه العلم وما هو بذاك، قال قلت جعلت فداك، فأي شيء هو العلم، قال ما يحدث بالليل والنهر الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيمة».

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«نَحْنُ حُجَّاجُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَجَدْنَا فَاطِمَةَ لِلَّهِ حُجَّةً اللَّهِ عَلَيْنَا»<sup>(١)</sup>.

من يتوهם بان سنة النبي ﷺ حفظها في سمعها، فمن حفظها فهذا أنها هو من التنزل وإلا اكتناه تلك السنة النبوية يعني اكتناه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وفي كلمات أمير المؤمنين وبياناته يقول فلما كمل خلق النبي ﷺ قال له الباري ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم قال ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ حيثئذ بعث النبي ﷺ رسولاً، وحيثئذ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ وحيثئذ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، في المرتبة النازلة لم يبعث ولكنه كان نبياً وهناك خلط خاطئ بين البعثة بالرسالة والبعثة النبوية فالبعثة النبوية كانت وهو جنин في بطن أمه. وتلك المرتبة من النبوة غير هذه المرتبة من النبوة في النفس الجزئية.

وعلى أي تقدير هذه الكتب لها مقامات غيبة تكوينية ملوكية ولذلك ورد في الحديث أن حدثنا له ظهر وبطن وللبطن بطن إلى سبعين بطننا كالقرآن الكريم

قال أبو جعفر عليه السلام:

«قال رسول الله ﷺ: إنّ حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يؤمن به إلاّ ملك مقرب، أو نبيّ مرسلي، أو عبد امتحن الله قلبه لايُهان فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلوات الله عليهم فلانـت له قلوبكم وعرفتموه فاقبـلوه، وما اشـمأـرت منه قلوبكم وأنـكرـتموه فرـدـوه إلى الله تعالى، وإلى الرـسـول عليه السلام، وإلى العـالـمـ من آل محمد، وإنـما اهـالـكـ أنـ يـحـدـثـ أحدـكمـ بشـيءـ لاـ يـحـتـمـلهـ فيـقـولـ: وـالـلـهـ ماـ كـانـ هـذـاـ، وـالـإـنـكـارـ هوـ الـكـفـرـ»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير أطيب البيان: ١٣ - ٢٢٦.

(٢) بصائر الدرجات: ١ / ٢٠.

وهذا إشارة للمقامات والأصول الملكية وقوله أن في كلامنا محكم ومتشابه، فعلى أي تقدير حفظ سنة النبي ﷺ من غير المعصوم لا يمكن بما تقدم من البيان، أضف إلى أن نفس هذه الألفاظ المترفة في درجة ألفاظها لم تحفظ بشكل تام عند غير المعصومين في مرتبة الألفاظ وبالتالي فإن الأمر أشد في مرتبة المعاني المستعملة وفي مرتبة التفهم أشد ومن ثم مرتبة المراد الجدي أشد ومن الحتمي أن مرتبة البطون أشد وأشد.

فالحافظ لسنة النبي ﷺ هو المعصوم في درجاتها كافة وكم رأينا في أبواب أحاديث أئمة أهل البيت تخطئة ورفع الالتباس والاشتباه الموجود عند العامة، فمن إسقاط لفظة تغير راس المعنى وحقيقة وتقديم وتأخير يغير المعنى من راس، وقرائن خفية خفيت عنهم؟، فإن من كانوا بين يدي النبي ﷺ لم يدركوا خفايا القرآن ولا يلمون بها تماماً فان افهمها هم مختلف واستيعابهم مختلف وحذاقهم مختلفة ﴿وَتَعِيَّهَا أُذْنُ وَاعِيَّهُ﴾ فالوعي واصل الالتفات ليس للكل، فليس الحديث بالرواية بل الحديث بالرعاية، وهذا لرد شبهة من يقول أن حفظ سنة النبي ﷺ شريط صوت كما يقول العامة، وشبهة من يقول أن هذا اختلاف من النبي ﷺ فهذا إفراط وتفريط، والآن شبهة دائرة وهي موجودة عند عرفاء الصوفية وهي هل النبي ﷺ مجرد ساعي بريد ويأتي بطرد بريدي أو يعي ويستلهم وينبني بما يوحى إليه وفي حين إنما يوحى إليه ليس من صنع النبي ﷺ فهو حد بين حدرين فمن جهة يقول انه ليس من صناعة النبي ﷺ فهذا اللفظ هو ألفاظ الوحي الإلهي وانظروا إلى الأقسام كم هي فالقرآن وحي والحديث القدسي وحي والسنة النبوية وحي آخر ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وعلى الأقل أن العامة تقبل في سنة النبي ﷺ أنها وحي وهي تبليغ للشريعة، وللنظر أن سنة النبي ﷺ تختلف

في وحيانيتها عن القرآن الكريم والحديث القدسي يختلف في وحيانيته عن القرآن الكريم فهذه أقسام في الوحي ولذلك في روايات أهل البيت التأكيد على هذه الحقيقة التي غفل عنها الكثير من الفلاسفة والعرفاء بان التسديد وحيي والتأيد وحيي وان خلقة المعصوم نوع من الوحي بأي شاكلة وطراز وهندسة خلقته نوع من الوحي الاهي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَ﴾ فنفسه خلق النبي ﷺ كله بإرادات وفق الذي يريد الله فإذا كنت تريد أن تستعمل إرادات الله التشرعية ما هي فانظر إلى خلق النبي ﷺ وهنا نروي هذه الرواية الجليلة عن جابر بن زيد الجعفي - في حديث طويل قال: قال الإمام الباقر عليه السلام:

«يا جابر إن لنا عند الله منزلة ومكاناً رفيعاً ولو لا نحن لم يخلق الله أرضاً ولا سماءً ولا جنةً ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً ولا براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً ولا رطاً ولا يابساً ولا حلواً ولا مراً ولا ماءً ولا نباتاً ولا شجراً، اخترعنا الله من نور ذاته لا يُقاس بنا بشر، بنا أنقذكم الله عز وجل وبنا هداكم الله ونحن والله دللناكم على ربكم فقفوا على أمرنا ونهينا ولا تردوا كل ما ورد عليكم منا فإننا أكبر وأجل وأعظم وأرفع من جميع ما يرد عليكم، ما فهمتموه فأحمدوا الله عليه وما جهلمتموه فكيلوا أمره إلينا وقولوا أئمننا أعلم بما قالوا - إلى أن يقول - وفوض إلينا أمور عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله، ونحن أحلفنا الله عز وجل هذا محل واصطفانا من بين عباده وجعلنا حجته في بلاده، فمن أنكر شيئاً ورده فقد رد على الله جل اسمه وكفر بآياته وأنبيائه ورسله، [...] الخبر»<sup>(١)</sup>.

---

(١) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٨، نوادر المعجزات ص ١٢٠، عيون المعجزات ص ٦٩، إلزم الناصب ج ١ ص ٣٦.

وَقَدْ وَرَدَ عَنْ السَّجَادِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ:

«اخترعنا من نور ذاته، وفَوْضَ إلينا أمور عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله، ونحن أحَلَّنا الله عز وجل هذا المَحْلُّ، واصطفانا من بين عباده، وجعلنا حجته في بلاده»<sup>(١)</sup>.

إذاً الوحي أقسام عديدة، ولذلك في تفسير أهل البيت ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهُوَى﴾ لا يفسروه بالوحى الكلامي بل الوحي أقسام والقرآن الكريم يبين ذلك ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ حتى ان روح القدس في روح المقصوم فهذا إنشاء تكويني وخلقية ولكن يعبر عنه بأنه وحي. كما أن هناك أرواح متعددة من روح الغضب والشهوة والخيال وهذه أرواح وإيجاد هذه الروح في أرواح المعصومين فكل إنسان له أرواح والمعصوم يمتاز بأرواح أخرى فإيجادها وإنشائها تكويناً يعبر عنها القرآن ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ومثل التعبير القرآني الآخر ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ دُوْعَ الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾<sup>(٢)</sup> كما يلقى الكلام وهذا نفسه نمط وحي وأقسام الوحي في الروايات عديدة ولكن لم أجده لا في كتب الفلاسفة أو غيرهم الذين يبحثون حقيقة الوحي ومن أوليات حقائق الوحي مذكورة بروايات في أصول الكافي.

أما ما ورد أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم فهذا بمعنى الخفاء وهو بحث آخر. وكلامنا في الوحي الاصطلاحى الذي هو نتيجة العصمة والاصطفاء بحيث هذا المتلقى

(١) البحارج ٢٦ ص ١٤ .

(٢) سورة غافر: الآية ١٨ .

يتلقى وهو معصوم ومصطفى وأما في غير المعصومين فليس عليه المعمول، فبلעם بن باعوراء أوي حرقاً من الاسم الأعظم فهل كان سبب في أن يعصمه؟ وهل هداه؟ فهناك فرق كبير بين المعصوم وغيره، وحتى الشيطان كان بينه وبين الله حواريات ومع ذلك لم يعصم من المعصية فهذا لا يسمى وحي.

إذاً الوحي أقسام وهذه مسألة اشرنا إليها كراراً ودائماً وإذا وقفنا على شاهد قراني نبه عليها، وهو أحد الغفلات الكبيرة في المعرفة، التي في كتب علوم القرآن وحتى التي كتبها بعض علماء الأمامية درجوا في تفسير أقسام الوحي مدارج المذاهب الأخرى وهذا من القواعد المعرفية الأم في تفسير القرآن فلاحظوا الميزان والبيان والتبيان ومجمع البيان وكتب تفسيرية أخرى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى \* وَمَا يُنْطِقُ عَنِ الْهُوَيِّ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾<sup>(١)</sup> فهنا يفسرونها بالوحي وهذا نفس التفسير الرائج عند أولئك المخالفين بينما المراد هنا شيء آخر وهذا بحث طويل عريض له نتائج و يؤثر في بحث النبوة والإمامية وفي بحوث عديدة وهو معنى أقسام الوحي، والقرآن لديه طابع مشترك في قبال الحديث القديسي وفي قبال سنة النبي، فله طابع مشتركة وفي هذا الطابع المشترك هناك تفاوت فهناك أم الكتاب وفيه آيات متشابهات ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ حُكْمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَيْغُ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابُ﴾<sup>(٢)</sup> والمتشابهات ليس لها الأهمية لذلك ورد تعبير سورة يس قلب القرآن وسورة

(١) سورة النجم: الآية ٢ - ٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

الحمد عدل القرآن فمراتب سور القرآن أيضاً مختلفة وبعضها محكمات وأمهات الكتاب وبعضها غير أمهات.

وذكرت في الإمامة الإلهية أن نزول القرآن ووحي القرآن أكثر مفسري الخاصة وال العامة يفسرون نزول القرآن أن له نزو لان والعجيب أن البعض ينكر النزول الجملي للقرآن الكريم، فإذا كان هناك نزول آخر ليس في متناول اليد إذا ما هو ومن ورثه وعن من؟، وهذه تقطع الطريق أمام الأدعية والطامعين، فهي خاصة بأهل البيت عليهم السلام وهنا بيت القصيد وجذع الأنف، بينما الطبراني وجملة من محدثي العامة اقروا بهذا النزول والإنزال الجملي للقرآن الكريم الذي تختلف حقيقته عن النزول المفرق، وقد بينت روایات أهل البيت ليس نزو لان بل نزو لات.

إذاً تلقي المعصوم عن المرحلة الغيبة هذا التلقي ليس تلقي بشاكلة واحدة فوراثة أبناء رسول الله عن رسول الله وراثتهم مقامات تكوينية هو نوع من حفظهم لسنة النبي ﷺ، فإذا كانوا يرثون من رسول الله روح القدس فهم وبالتالي احفظ لسنة رسول الله لأن روح القدس هو جزء القالب الوجودي لـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وهذا نوع من نقل الحديث ولكن ليس الحديث بأصواته وألفاظه وإنما نقل الحديث بحقائقه، فليس فقط سماع لفظي أو لفظي برزخي أو سماع برزخي أو ملكوفي، لأن الوحي القرآني أقسام ونقل سنة النبي ﷺ على تلك الشاكلة هي على أقسام، مثلاً كما يقول الباحث أتريد أن تشاهد النبي ﷺ فشاهد علياً فهذا يعني أن «أدبني فأحسن تأدبي» وعلى أدبه رسول الله وكما يقال «الولد سر أبيه».

إذاً الشاكلة والنموذج الذي يريدوه من النبي ﷺ هو نفس علي بن أبي طالب عليهما السلام مع

حفظ علو النبي ﷺ وهذا يوضح لنا ان نموذج علي سلوكيانا نوع من السنة المنسولة.

فكم أن القرآن الموحى له أنهاط كذلك سنة النبي ﷺ حفظها وتوريثها ونقلها له أنهاط وليس كما قد يتواهم، والآن هذه الأبحاث غير موجودة في علم الكلام والمفروض توجد وكذلك غير موجودة في علم التفسير والمفروض توجد وغير موجودة في علم الأصول والمفروض توجد، إذاً نقل سنة النبي ﷺ على أقسام وحفظ سنة النبي ﷺ على أقسام وحقيقة سنة النبي ﷺ هي على درجات.

ولذلك عندما يريد أن يحتج أمير المؤمنين على قريش في كثير من الأمور والمواطن يقول أنا ربيب رسول الله وهل يؤمن أحد على السنة غيري، فشاكلتي هي شاكلة سنة ومساري ونهاجي هو نهج السنة فأين تطلبون السنة في غيري، وهذا أحد معاني نقل السنة وهو السيرة، وهم يعترفون أن السيرة عبارة عن سيرة تربوية مثلاً يؤكدون أن سيرة الصحابة عبارة عن سيرة تربوية مكونة من صنع النبي ﷺ، والسيرة أحد مصادر وأقسام السنة، إذاً السنة لها أنهاط وبعبارة أخرى للوصول إلى التنظير تارة نصل إليها من لفظ النبي ﷺ وتارة نصل إليها من سيرة النبي ﷺ وتارة نصل إليها في تقرير النبي، وتارة نصل إليها في صنع النبي ﷺ كعلي بن أبي طالب رض، وهناك فرق بين الفعل والسيرة فالسيرة تكرر ظاهر الفعل والفعل هو صرف الفعل، فالسيرة ظاهرة معينة أو نهج معين تتكرر.



## **المبحث السادس: عمق الارتباط بين مقام النبوة والإمامية**

«وكذلك محمدا رسول الله وعليها أخوان كما أن جبرائيل وميكائيل أخوان فمن أحبهما فهو من أولياء الله ومن ابغضهما فهو من أعداء الله ومن ابغض أحدهما وزعم انه يحب الآخر فقد كذب» إذا كان الفرد يقر للنبي ﷺ بعمق تلك المعرفة التي فيها المعنى العام فلا يصح الإقرار في مكان والإنكار في مكان لأنه مما يدلل انه لم يقر بالطبيعة العامة، لذلك وقع المنكر أساسا في إنكار الوصاية والنص بعد رسول الله ﷺ وهو في الحقيقة لم يقر للنبي ﷺ بذلك المعنى الشامخ من مقام النبوة والمقامات الأخرى التي له ﷺ والمهم هنا نستطيع ان نتوقف عند مجموعة من الوقفات المهمة في هذا الصدد ومنها:

**الوقفة الأولى: ختام الأنبياء لا يعني ختام باقي المقامات:**

ورد وصف النبي محمد ﷺ بأنه خاتم النبيين في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ  
مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup> وقد  
بين المفسرون هذا الوصف على أنه اخر الرسالات السماوية وأن النبي محمد آخر نبي من قبل  
الله إلى الناس.

ورسالة الاسلام جمعت كمالات و المعارف النبوات و زيادة عليها وفي الاسلام القدرة الحقيقية على مساعدة احتياجات البشرية الى يوم القيمة من الناحية المادية والمعنوية.

أن هذه الرسالة ستستمر سليمةً ضمن القرآن الذي لا يمكن أن يتعرض لأي تحريف، كما حصل مع الكتب السماوية السابقة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. وهي معجزة مستمرة صالحة لكل الأحقاب التاريخية حتى بلوغ الأهداف النهاية للبشرية على الأرض.

أن بمرور الزمن ومن خلال تطور المعرفة البشرية، وفي تراث الاسلام إشارات واضحة إلى ما كشف عنه العلم الحديث ولازال كثير من الحقائق لحد الان لم يكتشفها العلم وهي موجودة في تراث الاسلام.

واستمرار الاسلام بعد النبي ﷺ من خلال الاوصياء الذين يمثلون الحجج لله تعالى في خلقه ويترب على وجود الحجة بقاء العالم بإذن الله سبحانه فقد قال عليهما السلام:

«أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أمير المؤمنين ع:

«اللهُمَّ بِلِي لَا تخلوُ الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لَّهُ بِحِجَّةٍ إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا أَوْ خَائِفًا مَغْمُورًا»<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم ان النبوة قد ختمت لكن المقامات الأخرى كالإمامية والاصطفاء فان ليس فيها اختتام فقد قال عليهما السلام لانبي بعدى ولم يقل لا صفي بعدى أو لا ولی بعدى أو لا خليفة

(١) الصواعق المحرقة: ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) نوح البلاغه: ٤٩٧.

بعدي أو لا إمامية بعدي أو لا حجج لله بعدي وإنما لا نبي بعدي ومن هنا من لا يقر بجميع السلسلة وهي سلسلة من اصطفاهم الله واختارهم او يقتطعها فانه نفس الطبيعة العامة لم يدركها ولم يقر بها.

### الوقفة الثانية: الوساطة بين الخالق والخلق اعم من النبوة:

«فمن أحبهما فهو من أولياء الله ومنبغضهما فهو من أعداء الله» لأن أصل توسيط البشرية بين الله تعالى والبشر سواء توسيط عبر الرسالة أو النبوة أو عبر الوصاية والخلافة كما يحكيه لنا القرآن ﴿وَقَالَ لَهُمْ تَبِّعُوهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَائُولَتَ مَلِكًا قَاتِلُوا إِنَّهُ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعْكَةً مِنْ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَا عَلَيْكُمْ وَرَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْحِسْنَى وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٢٤٧)</sup> فليس رسولاً ولانبي لكنه بعثته من الله وهي بعثة تنصيب الإمام من الله عز وجل ﴿إِنَّ جَاعِلَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فهذا المعنى عام، إذاً أصل الحاجة الوساطة بين عالم الغيب والباري تعالى هو معنى مشترك بين الإمامة والنبوة وهي اعم من النبوة والإمامية من لزوم الوساطة بين الخالق والخلق، أو حакمية الله عز وجل وولاية الله عز وجل التي هي موجودة في مقام النبوة كما مر في حكومة الرسول انه ليس الحاكم هو الرسول بل أن الحاكم الأول السياسي والعسكري والاقتصادي هو الله تعالى فضلاً عن أن المشرع الأول هو الله تعالى وكل شيء من دون امره ورضاه باطل.

### الوقفة الثالثة: مدرسة الـ ~~بیت~~ فيها توحيد الولاية:

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٧ .

لسنا فقط نقر في التوحيد بالذات أو الصفات أو التوحيد في التشريع انه خاص بذات الله ليس كل ذلك فقط بل أيضاً نقر لله عز وجل بان الولي الأول هو الله تبارك وتعالى أي له كل صلاحيات القدرة والولاية وهذا هو توحيد الولاية وهو يوجد في مدرسة أهل البيت عليهما السلام دون المدارس الإسلامية الأخرى ودون الأديان السماوية الأخرى فالمدرسة الوحيدة في الأرض التي لا زالت تقر بالولاية هي مدرسة أهل البيت عليهما السلام بمعنى تقر بولاية اولياء الله.

فمعنى الولاية إذا اقره الشخص في النبي عليهما السلام فكيف ينكره ببقائه الله ضمن وسائل أخرى وان لم تكن وسائل نبوية بل اولياء اخرون واوصياء، فالذى يقره في النبي عليهما السلام وينكره في غيره فهو في الواقع لم يقر بحاكمية الله في الولاية فهو غير قابل للتبعيض حقيقة لا تزيلا.

قال رسول الله عليهما السلام:

«من ظلم علياً مقدعي هذا بعد وفاته فكأنما جحد نبوتي ونبوة الانبياء قبله»<sup>(١)</sup>.

وقال النبي عليهما السلام:

«من جحد علياً إمامته بعدي فقد جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي فقد جحد الله ربوبيته».

وقال عليهما السلام لعلي عليهما السلام:

«يا علي، أنت المظلوم بعدي، من ظلمك فقد ظلمني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن جحدك فقد جحدني، ومن والاك فقد والاني، ومن عاداك فقد عاداني، ومن أطاعك فقد

أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني»<sup>(١)</sup>.

ثم قال الشيخ الصدوق:

«واعتقادنا فيمن جحد إمامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده - عليهما السلام - أنه بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء»<sup>(٢)</sup>.

#### الوقفة الرابعة: التوسيط يعني الربط بين النبوة والامامة:

كما بینا قبل قليل انه ورد في الروايات أن من أنكر وصيا من أوصياء النبي ﷺ الاثني عشر فكانها أنكر جميع سلسلة الأوصياء والمرسلين، فالربط بين النبوة والوصاية والإمامية، هو أصل التوسيط، فالإمامية عبارة عن تنفيذ وتطبيق لنفس شريعة النبوة، فان شريعة النبوة لم تأتى لأجل العرض التشريعي بشكل تجريدي فقط وإنما لأجل التطبيق على اساس ان الحاكم هو الله تعالى، فهذا الربط التلازمي بين الإقرار بالوصاية والخلافة للرسول ﷺ وكل النبوات والمرسلين وهي ترجع لأصل واحد وهو ولاية الله وحاكميتها فأنت حينما تقر بضرورتها وحاجة البشر إليها وهيمنتها على البشرية فتقر بها في الجميع، وان أنكرتها في حقبة من الحقب فقد أنكرتها في كل الحقب بل لم تقر بحققتها واقعا.

الآن هذه الوساطة بين الأرض والسماء كيف تكون هل بالملائكة أو الوحي المباشر وهو امر لسنا في صدده لكن المهم هناك قناة واسطة مأمونة مع الغيب موجودة ومفعولة ولها أقسام، ولذلك الوساطة النبوية غير الوساطة المولوية لكن أصل جامع الوساطة لابد منها وال الحاجة إليها

(١) هذه الروايات في (الاعتقادات الشيخ محمد بن علي بن بابوية القمي (الصادق) ص ٣٨).

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة.

التي هي اعم من النبوة والإمامية والوصاية فهذه الوساطة شيء مشترك أن اقر به ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحُقْقُ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾<sup>(١)</sup> فهذه لابد من الاقرار بها وهي دائمة وفي كل وقت وليس فقط لصاحب التشريع.

لذلك معرفه بباب الإمامة في الحقيقة ليس هو بباب البحث في أسماء الأئمة الاثني عشر وحياتهم فقط وإنما هي بالذات ولاية الله وباب النبوة واقعا ليس أسماء الأنبياء والمرسلين وإنما هو عبارة عن حакمية الله في التشريع.

#### **الوقفة الخامسة: جهة الاشتراك بين الأصول الخمسة ومحورية التوحيد:**

من كل هذا يتبين أن هناك أصل مشترك بين الأصل الثاني في الاعتقادات وهو النبوة والأصل الثالث وهو الإمامة وان لم ييلوره الى لأن المتكلمين بشكل بين، فهناك بعض البراهين العامة في النبوة غير مختصه بالنبوة كما أن بعض البراهين العامة في الإمامة غير مختصه بالإمامية بل هو شامل للنبوة والإمامية وان اختلفت النبوة عن الإمامة بل ما هو أعظم هناك أصل مشترك بين التوحيد والنبوة والإمامية وهو التوحيد نفسه، لأنه في الأصل الأول هو توحيد الذات والصفات والمقام الثاني هو توحيد الله في التشريع وهناك أصل في باب الإمامة هو الولاية، فاعتقد بتوحيد الله في الذات واعتقد بتوحيد الله في الصفات واعتقد بتوحيد الله في التشريع واعتقد بتوحيد الله في الولاية واعتقد بتوحيد الله في الغاية، فالنتيجة ايهما العبد اخلاص نيتك ووجهتك إلى الباري تعالى، إذاً الأصل المشترك وهو توحيد الله والبرهان على التوحيد ليس برهان فقط على الذات ومن الخطأ إقامة براهين التوحيد على الذات والصفات

بل براهين نفسها بعينها تجري في التشريع وبنفسها وعينها تجري في الولاية وبنفسها وعينها تجري في الغاية، إذًّا براهين التوحيد سارية في كل الأصول الخمسة ثم براهين النبوة تسري في الإمامة بل حتى في المعاد.

كيف في المعاد؟، امور عديدة منها لأنك تتوجه بالنبي' إلى الله وتتوجه بالإمام إلى الله كما تتوجه بالکعبة إلى الله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ أي لاذوا بك وتوجهوا بك واستغاثوا بك في توبتهم وأوبتهم ورجوعهم إلى الله، فإذا كانت الجنة يتوجه بها إلى الله ويتقرب بحباها إلى الله فكيف بحب النبي ﷺ وحب الأووصياء الذي هو أعظم من الجنة فهم أيضاً معاد بمعنى انه يتوجه بهم إلى المعاد النهائي وهو الله.

فالتوحيد هو الأساس الذي ترتكز عليه جميع الأبحاث في الأديان السماوية وهو الأصل الذي يتطرق عليه أهل الشرق والغرب في شكله العام عدا بعض التفاصيل المختلف عليها ثم انه يعد محوراً لجميع الأصول والفرع ولا يمكن لك ان تتحرك في بقایا تفاصيل الدين اذا ما لم تسلم به كمبداً اساسياً فأنت لا يمكن تعتقد بأي نبي او إمام او معاد اذا ما لم تسلم وتصدق مسبقاً بوجود الله تعالى. ولا يمكن ان تصلي وترزكي وتقوم اذا ما لم تسلم مسبقاً ببعوبيته تعالى.

والحقيقة إنًّ مباحث التوحيد تسع لتشمل جميع العلوم الإنسانية وغير الإنسانية وان طرق البحث في مختلف العلوم وطرق التعامل مع الحياة جزماً تختلف باختلاف الرؤية المنشقة من التوحيد فكل موحد يعتبر ان الكون الذي إمامه خلقه الله تعالى فينطلق من هنا في التعامل مع الطبيعة ومع الآخرين.

والملحد ينطلق من زاوية أخرى في تعامله مع الكون والآخرين.

ان معرفة الله تعالى واجبة على جميع بنى البشر لحق العبودية الذي له عليهم ونقصد في معرفته ما يمكن للعقل البشري ان يدركه من مظاهر ذاته في هذا الوجود وإنما ذاته بكنها لا يمكن ان يعقلها موجود غيره تعالى لأن المتناهي محدود فكيف يحيط بالامتناهي الباقي غير المحدود.

وهكذا النبوة فهي تمحور فيها معرفة باقي الاصول وتتفرع عليها بعضها فمن الممتنع تجزئه معرفة الاصول او الايات بعضها دون البعض الآخر.

#### الوقفة السادسة: الترابط بالبراهين بين اصول الاعتقادات:

ان جملة من براهين النبوة تجري وتدخل أيضاً في الإمامة والمعاد، ولذلك الباري يصف النبي ﷺ بأوصاف في مبتدئ الأمور وفي الانتهاء كما يقص لنا القرآن أن كل امة لا تحاسب يوم القيمة إلا بمجيء نبيها وكذلك الأئمة ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، ومعنى هذا أن براهين الإمامة لا تقتصر على الولاية بل تجري أيضاً في المعاد لأنه بالإمام يتوجه إلى الله، فحتى في معاد البشر للرسول دور في ذلك، ولكن للأسف لأن البحث في الصياغة العقائدية والمعرفية لباب النبوة منحازة عن المعاد وهذا خطأ، والصياغة العقائدية والمعرفية لباب الإمامة عند كثير من الباحثين منحازة عن المعاد وهذا خطأ، والصياغة في التوحيد منحازة عن المعاد ومنحازة عن النبوة والإمامية وهذا خطأ بل كل هذه الموارد البراهين فيها متراقبة ومتكررة بحسب الدرجات، فمن لم يقر بأنبياء الله فقد كذب بالتوحيد وهو نفس الرابط فمن لم يقر بالمعاد كذب بتوحيد الله.

وكذلك أصل الوساطة وحاجة البشر لهدایة السماء واصل لطف العناية، وهذه نكتة مهمة وصياغة من المفروض تكون على طبق الآيات والروايات صياغة فنية صناعية متينة ثاقبة في صياغة أصول الدين ومعارف الدين أدلة وعنوانينا.

وفي النهج يقول الأمير عليه السلام:

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدده، ومن قال فيم فقد ضمّنه، ومن قال علام فقد أخلي منه...»<sup>(١)</sup>.

#### الوقفة السابعة: بحث الشاهد الشهيد:

النبوة تتجلّى حتى في المعاد لأنّه من بداية الطريق والهدایة بيد الرسول وأيضاً عند انتهاء الطريق لذلك يوصف النبي عليه السلام بالشاهد وشاهد لأجل ماذا؟، فهناك قضية الميزان والحساب، والبعض يقول أنّ النبي عليه السلام لا علاقة له بالأمر مستشهدًا في سورة الغاشية ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّا هُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> فهذا قدقرأ سورة الغاشية ولم يقرأ سورة الأعراف ولم يقرأ سور عديدة في أنّ النبي 'شاهد، فمعنى شاهد ماذا؟، وما معنى قوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا

(١) نهج البلاغة: ١٤ / ١.

(٢) سورة الغاشية: الآية ٢٥ - ٢٦.

جئنا من كُلّ أُمَّةٍ شَهِيدًا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُرْدَى يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَمُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكُنُونَ لَهُ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ وَ فِي قَوْلِهِ ﴿٤٣﴾ وَأَشَرَّقَتِ الْأَرْضُ بِنُورٍ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشَّهَادَةِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٤﴾، إِذَا لِلنَّبِيِّنَ دُورٌ فِي حِسَابِ أَمْهُمْ، وَبِالْتَّالِي تَجَلِّياتُ النَّبُوَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى التَّشْرِيعِ وَالشَّرِيعَةِ بَلْ تَرْتَبِطُ بِالْمَعَادِ أَيْ مَعَادِ النَّاسِ وَحِسَابِهِمْ وَالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلُكُوكُرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وَهَذَا غَيْرُ التَّشْرِيعِ فَانْ صَحِيفَةُ الْأَعْمَالِ الْخَاصَّةُ بِالْفَرْدِ لِلنَّبِيِّ دُورٌ فِيهَا وَتَعْرُضُ عَلَيْهِ، إِذَا كَيْفَ يَقُولُ الْقَائلُ «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ».

فقد روى:

«قدم أبو بكر من السنج ودخل إلى بيت رسول الله ﷺ فكشف عن وجه النبي ﷺ وخرج مسرعاً وقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وتلا قوله تعالى ﴿وَمَا يَحْمِدُ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ أُرْثُ مُسْلِمٌ﴾ وهنا هدأت فورة عمر وزعم أنه لم يلتفت إلى وجود مثل هذه الآية في القرآن الكريم»<sup>(٣)</sup>.

فهذا الشعار غير صحيح فمن الذي كان من المسلمين يعبد النبي ﷺ؟؟ بالطبع لا أحد ولم يروي التاريخ ذلك عن أي أحد أساساً وأما من يعتبر التعلق غير صحيح فهو خطأ لأن هذا تعلق نبوي بما هو نبوي وعبد الله ورسوله وهو لا ينقطع بالموت، لأن القرآن لا يريده

(١) سورة النساء: الآية ٤١ - ٤٢.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٩.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢ / القسم الثاني: ٥٣ - ٥٦.

أن ينقطع ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ ولماذا القرآن يعلمنا ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ  
 إِشْهِيدُ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتْوَلَةٍ شَهِيدًا﴾<sup>(١)</sup> فيعرفنا القرآن بالنبي ﷺ عبر هذا النعت  
 والصفة لكي يقول أن ارتباطكم بالنبي ﷺ لا يقطع فكما له دور التشريع له دور المعاد أيضاً  
 وهو خليفة الله في خلقه وليس فقط في أرضه، وعلى أي تقدير هذه نكتة صناعية مهمة وهو  
 أن براهين التوحيد لا تقتصر على التوحيد، لذلك ذكرنا أن الفلاسفة تقاصروا عما حرره  
 العرفاء بمعنى، فقصروا مباحث التوحيد على توحيد الذات والصفات وإن كان المتقدمين  
 من الفلاسفة من الإشراف والمشاء من سocrates وأفلاطون وأرسطو وحتى الفارابي ساروا  
 بمباحث التوحيد وأقاموا براهين على لزوم الإمامة والإنسان الكامل، فالمقصود أنها أدلة  
 وعنوانين وقوالب معنوية بحسب الدرجات.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ  
 الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال جلاله: ﴿يَا أَعْبَدُهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.  
 وقال عز وجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ  
 رَسُولاً﴾<sup>(٤)</sup>.

و وقد ورد في الزيارة للنبي ﷺ (العلامة المجلسي رحمه الله في زاد المعاد):

(١) سورة النساء: الآية ٤١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٥.

(٤) سورة المممل: الآية ١٥.

«السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا احمد، السلام عليك يا حجة الله على الأولين والآخرين، السابق الى طاعة رب العالمين والمهيمن على رسالته والخاتم لأنبيائه، الشاهد على خلقه الشفيع اليه والمكين لديه والمطاع في ملكته، الأحمد من الاوصاف الحمد لساير الاصراف، الكريم عند رب، والمكلم من وراء الحجب، الفائز بالسباق والغائب عن اللحاق، ورحمة الله وبركاته».

من مقاماته كونه الشاهد على الخلق بمعنى شاهد على اعمالهم، وخاتم الانبياء هو شهيد الله على

الشهداء جميعاً حيث يقول عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَعَلْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا لِّوَجْهِنَا إِنَّكَ عَلَىٰ هَتَّوْلَاءَ﴾

شَهِيدًا ﴿٤١﴾.

وهذا يعني احاطته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الملكوتية بالجميع وان الاعمال كذلك تعرض عليه، ففي بعض الروايات كل صباح ومساء وفي روايات كل اثنين وكل خميس فهل يمكن ان نقبل شهادة من ليس له اطلاع على الاعمال المراد شهادته عليها

ومقامتات النبي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في القيامة عظيمة وهي اعلى من باقي الانبياء والرسل بل جميع الخلق ومنها هذه الرواية اللطيفة. في تفسير العياشي:

«عن سماحة بن مهران عن أبي إبراهيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: في قول الله: عسى أن يبعثك رب مقاماً محموداً، قال: يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عاماً ويؤمر الشمس، فيركب على رؤوس العباد، ويلجمهم العرق، ويؤمر الأرض لا تقبل من عرقهم شيئاً فیأتون آدم فيستشفعون منه فيدخلهم على نوح، ويدلهم نوح على إبراهيم، ويدلهم إبراهيم على موسى، ويدلهم موسى على عيسى، ويدلهم عيسى فيقول:

عليكم بمحمد خاتم البشر فيقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم: أنا لها فينطلق حتى يأتي بباب الجنة فيدق فيقال له: من هذا؟ والله أعلم فيقول محمد، فيقال: افتحوا له فإذا فتح الباب استقبل ربه فخر ساجدا فلا رفع رأسه حتى يقال له: تكلم وسل تعط واسفع تشفع فيرفع رأسه ويستقبل ربه فيخر ساجدا فيقال له مثلها فيرفع رأسه حتى أنه ليشفع من قد أحرق بالنار فيما أحد من الناس يوم القيمة في جميع الأمم أوجهه من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول الله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاماً مموداً<sup>(١)</sup>.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام:

«يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلق فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فيقام الرسل فيسأل فذلك قوله لـ محمد ﷺ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجَئْنَا بِكَ عَلَى هَتْوَلَاءَ شَهِيدًا﴾<sup>(٤)</sup> وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل عليهم السلام»<sup>(٢)</sup>.

#### الوقفة الثامنة: الامام من نور النبي عليه السلام:

وهذه نكتة مهمة، فشبكة نسيج العقائد فيها بين بعضها البعض هو نسيج واحد مترابط أدلة وفق درجات، وهذه صياغة مهمة ألفت إليها الآيات والروايات، فمحمد رسول الله وعليها أخوان والإخوة هنا نورية كما أن جبرائيل وميكائيل أخوان نوريان وليس الرابط هناك توالد، وفي تعبير الرواية من جناح جبرائيل يخلق كذا ملك فهذا اشتقاء وليس

(١) الميزان، الطبطبائي، ج ١، ص ١٧٥.

(٢) بحار الانوار مجلد: ٧ ص ٣١٣.

ولادة، فيعبر عنها في الرواية بالاشتقاق وهي تختلف عن الولادة في عالم المادة فالتلخيق نفس الإبداع «وكذلك محمد رسول الله وعليه أخوان، كما أن جبرئيل وميكائيل أخوان، فمن أحبهما فهو من أولياء الله، ومن أبغضهما فهو من أعداء الله، ومن أبغض أحدهما وزعم أنه يحب الآخر فقد كذب، وهو منه بريئان، وكذلك من أبغض واحداً مني ومن علي، ثم زعم أنه يحب الآخر فقد كذب، وكلانا منه بريئان، والله تعالى وملائكته وخيار خلقه منه براء»<sup>(١)</sup>.

وروي عنه عليهما السلام:

«حسين مني وأنا من حسين»<sup>(٢)</sup>.

والروايات اشارت ان محمد وعلي عليهما السلام خلقا من نور واحد فقد روى الشيخ الصدوق بإسناده عن أبي ذر رحمه الله أنه قال:

سمعت رسول الله عليهما السلام وهو يقول: «خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد، نسبح الله يمنة العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه، ولقد هم بالخطيئة ونحن في صلبه ولقد ركب نوح في السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عز وجل من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب فقسمنا بنصفين، فجعلني في صلب عبد الله وجعل عليا في صلب أبي طالب، وجعل في النبوة والبركة وجعل في علي الفصاحة والفروسيّة، وشق لنا اسمين من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد والله الأعلى

(١) البخاري: ٩ / ح ٢٨٣ و عن الاحتجاج: ٤٦ / ١ ياسناده عن الحسن العسكري عليهما السلام.

(٢) وسنن ابن ماجة ١ / ح ٥١ و الترمذى ٥ / ح ٦١٧ و مسند احمد ٥ / ح ٣٧٧٥ و مسند ابي حمزة ١٨٢ / ح ١١٧١١.

وهذا على<sup>(١)</sup>.

#### الوقفة التاسعة: خصائص خاصة بين النبي ﷺ والإمام علي:

«وأما ما قاله اليهود فهو أن اليهود أعداء الله فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتوه بعد الله بن صوريا فقال يا محمد كيف نومك فانا قد اخبرنا عن نوم النبي ﷺ الذي يأقي في آخر الزمان؟، فقال رسول الله ﷺ تناه عيني وقلبي يقضان قال صدقت يا محمد» هذا الحديث مروي حتى عند العامة وهو أن النبي ﷺ ينام عينه ولا ينام قلبه موجود أيضاً في البخاري.

وعن أنس بن مالك يُحَدِّث ليلة أُسرى بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة:

« جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في مسجد الحرام فقال أوهلم: أئهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم وقال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيها يرى قلبه والنبي صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء نام أعينهم ولا نام قلوبهم فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء»<sup>(٢)</sup>.

وهذا يبين أن حتى الطبيعة البشرية للرسول ﷺ فيها خصائص وامتياز وبالتالي ليس

(١) علل الشرائع ١: ١٣٤.

ثم أن الشيعة لم يتغدوا في ذلك بل روى الحقيقة بصور مختلفة جمع من علماء أهل السنة منهم:

١- الحافظ الكنجي الشافعي في (كتاب الطالب ص ٢٦٠).

٢- الخوارزمي الشافعي في (مناقب علي بن أبي طالب، ص ٨٧).

٣- العلامة سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص ص ٥٢).

٤- ابن أبي الحديد في (شرح النهج، ٢/ ٤٥٠).

٥- العلامة محى الدين الطبراني في (الرياض النضرة ٢/ ١٦٤).

(٢) أخرجه مسلم ٤٠٠، ١٦٢.

للنبي ﷺ نوم حقيقي، لأن النوم الحقيقي هو ما كان ينام فيه القلب وينام فيه السمع، وكما هو مقرر في الفقه أن النوم إذا لم يستولي على القلب والإذن ولا ينقض الوضوء، ومن ثم ورد في المعصومين هو هكذا فت坦م أعينهم ولا ينام قلوبهم.

قال أبو جعفر عليه السلام:

«لِإِلَامِ عَشْرِ عَلَامَاتٍ: يُولَدُ مَطْهَرًا خَتُونًا وَإِذَا وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ وَقَعَ عَلَى رَاحِتِهِ رَافِعًا صَوْتَهُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَلَا يَجْنِبُ، وَتَنَامُ عَيْنَهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَلَا يَشَاءُبُ وَلَا يَتَمَطِّي وَيُرَى مِنْ خَلْفِهِ كَمَا يُرَى مِنْ أَمَامِهِ، وَنَجْوَهُ (فَسَاؤُهُ وَضَرَاطُهُ وَغَائِطُهُ) كَرِيحُ الْمَسْكِ»<sup>(١)</sup>.

أن عدم نوم القلب يدلل أن هناك نوع من الإشراف والشهادة بشكل دائم عند المعصوم من الولادة إلى ارتحاله إلى الرفيق الأعلى، وورد في خصائص المعصومين انه لا يختلمون، لأن الاحتلام عبارة عن نوم القلب وسيطرة الشيطان أو الجن على الإنسان بينما في المعصوم ليس كذلك، وكما ورد في خاصية الرسول يرى من خلفه كما يرى من أمامه وكذلك بقية المعصومين يرون من خلفهم كما يرون من أمامهم، أن العين البرزخية وهي حسيمة تلك العين العدسة فيها وسعة جداً ترى بشكل تكويري كامل، والعين الحسيمة غير العين المادية ولها آليتها الأخرى، وحتى في المادة الدنيوية توجد أشعة تصور التكوير كامل بشكل كتساوي، فهذه خصائص للمعصوم ولا يستولي عليه الشيطان فهذه الأمور تدلل أن طبيعة الروح في المعصوم في ارتباطه مختلف.

**الوقفة العاشرة: وجود خصائص للنبي وطرق تفسيرها:**

---

(١) الكافي / ١٣٩ كتاب الحجة - باب مواليد الأنبياء.

هناك أمور خاصة بالنبي ﷺ منها النبوة والأزواج، أما غيرها المخصصة بالنبي ﷺ من الخصائص فتشمل المطهرين بآية التطهير. نعم قضية السحابة خاصة بالنبي ﷺ، وكما يذكر جملة من المحققين في هذا المجال كما أن روح النبي ﷺ والمعصومين هي خاصة وذات قدرات وطاقة خاصة ذلك أبدانهم ذات قدرات وطاقات خاصة، ويمثل الباحثون في هذا المجال مثلاً لو تضع رئيس قوات جيش إذا وضعت له فرس أو آلية قوية تتناسب مع قدرته الحربية والعسكرية وإلا قائد جيش ومقدام تعطيه حصان هزيل فلا يصح ذلك أو تعطي جندي عادي تعطيه فرس شموس أو سلاح خطرة فلا يحسن استخدامها فذلك عبث، إذاً هناك قاعدة فلسفية وهي «تناسب الأرواح وأوعية الأبدان»، فإذا فرضنا مثلاً أن الأكل ثمين جداً تضنه في ظرف ووعاء جميل، أما النورة التي تطل على بها تضنه في خزف لأن لكل شيء له وعاء مناسب له حسب الحكمة العقلية، وكذلك الأرواح والأنوار فهذه هي سلسلة مراتب الإنسان فهناك روح كليلة وجزئية ونور كلي وجزئي وكل هذه طبقات ثم تأتي بيئه الزمان والمكان والأرحام، إذاً أجساد الأنبياء والأوصياء تختلف عن الآخرين وهذا بطبيعة الحال لا ينافي البشرية لكنها في قمة وذروة كمال التحقيق البشري، لذلك ورد في الروايات انه فاضل طينة أبدانهم خلق منها أرواح المؤمنين<sup>(١)</sup>.

عن الباقي والصادق عليهما:

«وكان لطيتنا نضح فجبل طينة شيعتنا من نضح طيتنا فقلو بهم تحن إلينا...»<sup>(٢)</sup>.

«إن الله خلقنا من أعلى علينا وخلق شيعتنا من طيتنا أسفل من ذلك...»<sup>(٣)</sup>.

(١) فقدرولي في بصائر الدرجات ص ٣٤.

(٢) وفيه أيضاً، ص ١٦١، عن علي بن الحسين.

وهناك شواهد عديدة على تلك الخصائص النبوية منها ما ذكره الشافعي حيث يذهب على عدم نجاسة دم وبول النبي ﷺ ويستشهد برواية التي شرب فيها أحد الصحابة دم النبي ﷺ حيث قال فعلت حراما ولكن الله حرم بدنك على النار، وهذه أمور ليست إفراطيه بل يشهد لها القرآن والبرهان العقلي، وهذا بحث عام وان كان المقامات الروحية للأنبياء والأوصياء أهم من البحث في مقامات والخصائص البدنية وأن يشغل الإنسان جهده في أدوارهم السياسية والاجتماعية والحضارية والروحية أهم من الاشتغال في خصائص أبدانهم عليهما السلام.

قال أمير المؤمنين علیه السلام:

«ما برأ الله نسمة خيراً من محمد»<sup>(١)</sup>.

#### الوقفة الحادية عشر: المعرفة المنظومية للنبي والإمام أهم من الفردية:

مثلما أن هناك فقه فردي وفقه اجتماعي، فهناك معرفة فردية ومعرفة اجتماعية أي اعرف الرسول والإمام بتعريف موقعيته الاجتماعية بمعنى اعرف الرسول والإمام بتعريف دوره الاجتماعي واعرف الرسول والإمام بتعريف دوره الحضاري واعرف الإمام بتعريف دوره الكوني فهذه نظرة مجموعية وليس فردية.

(١) وفي بحار الأنوار يقول:

نقل عن ابن طاووس رحمه الله انه سمع سحراً في السرداد عن صاحب الأمر عَلَيْهِ الْكَفَافُ أن شيعتنا خلقت من شعاع أنوارنا وبقية طيبتنا...».

وفي تعبير الحديث فاضل طينة نور النبي خلق منها جميع الأنبياء.

(٢) الكافي الشريف ج ١، ص ٤٤٠

والمفروض في معرفة الإمام والوصي والرسول وان كان الإمامة احد مقامات النبي<sup>'</sup> ولكن معرفة النبي عليه السلام بمعرفته في بعده المجموعي والجماعي والكوني، وحتى إذا أردنا أن نعرف النفس النبوية نعرفها بالخصائص الفردية النفسية النبوية، وهذه النظرة وان كان لابد منها لكنها نظرة قاصرة، أما القرآن فيعرف خليفة الله بشكل آخر ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُنَقَّدُسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> فـ مباشرة سلط الضوء على بعده الاجتماعي والسياسي والكوني المنظومي، وللأسف حتى لأن الحاضرة الثقافية البشرية إذا أردنا أن نعرف لهم هذه الأديبيات وما شابه ذلك نعرفها بنزعة تصوروها اسطوريه كالقهرمان أو البطل الفردي، وإنما البشرية لأن في صدد عقلية العقل الجماعي، فيجب أن نفسر الرسالة والإمامية ونعرفها بعدها المنظومي، وعلوم الإدارة والعلوم الاستراتيجية فهي علوم جيدة موازية لبحث الإمامة والقيادة، لذلك ننظر إلى ملف ليلة القدر ليس ملف فردي وإنما ملف منظومي، وهذه أمور مهمة إذا تضمنها الخطاب الديني واتسعت إلى هذا البعد الذي بلغته العقلية البشرية، فالمفروض أن تعرف بهذه الصورة المنظومية فاعرف موقعيه النبي عليه السلام والرسول الاديانية والإمام في بعده المنظومي البشري وفي بعده الحضاري البشري فضلا عن الخصائص الروحية والبشرية وهذه المدارج في الأهمية بمكان بحيث يجب الالتفات إليها، وليس فقط أن أركز لأن على الخصائص البدنية للإمام نعم نحن لا ننفيها فهي مهمة وخطيرة وربما نجد لها موقعيه منظوميه بل نحافظ على اثباتها فالكلمات الشخصية للنبي والإمام فردية في بعدها الجماعي والمجموعي المنظومي.

## الوقفة الثانية عشر: النظرة المنظومية للاعتقادات:

لذلك لا يمكن أن تقتصر الدين على انه طقوس فردية بين الفرد والغيب وإنما الدين أكثر واسع وبعده هو بعد منظومي حتى تعريف التوحيد فلا اقتصر في تعريف التوحيد انه ذات مستجتمعه لكل الصفات بل أن نعرف التوحيد بمعنى العدل مثلا، لأن الأنظمة الغربية العدل السياسي الموجود فيها وان كان نسبي فهو توحيد وان كان عندهم وفق طبقية وبر جوازية وإقطاع وهذا طبعا بالقياس إلى الاستبداد الملوكى الموجود في الشرق الأوسط، فإيمانها اقرب إلى اسلامة النظام، وللأسف هذا نحو من أخوه الدين والمعارف إذا فسرناه في بعد الطقوس الفردية وليس بعده المجموعى النظمي وإذا أردنا أن نعكس التوحيد على النظام السياسي فهو العدل كما يقول ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَيْنَا كَلِمَةُ سَوَامِعٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا بَلْ مَنْ دُونَ اللَّهِ فَإِنَّ تَوَلُّهُ فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِإِنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٦٤)</sup> ومعنى ان لا يتخذ بعضا اربابا من دون الله هو لا يكون لك حقوق أكثر وأنا حقوق اقل، ومعنى التوحيد أن الكل فقير ومحاج والله غني وهو مالك الملك، وترجمة التوحيد في النظام السياسي والحضاري والاقتصادي أمر مهم، وترجمة النبوة في النظام السياسي والحقوقى والقضائى والحضاري امر مهم ايضا، فمثلا الكثير يقول انت تعتقدون بالإمام المهدي وانه حينئذ ما هي ترجمة أبعاده على نظام المعيشة عليكم لأن، فيجب ان تعرف عقيدتك بأهل البيت والإمام المهدي على صعيد نفس النظام؟، نقول نعم مدرسة أهل البيت عليهما السلام والإمامية تعنى ان الظلم باطل والعدل لا بد منه والعدل في قيمته العلمية والعملية، وترجمة العصمة العلمية والعملية وهي أن ننشد حالة من التجريد الذاتي

للمخلوق البشري إلى تحلي التوحيد الكامل في الأنظمة وهذا هو تعريف الإمام ووفق كل هذه الاستراتيجيات هو شخص مرتبط بالغيب وهو المتظر المهدى، أما الاختصار على البعد الفردي فهذه زاوية ضيقة من المعرفة انتجت اهمال كثير من المعارف المهمة .

والمعاد مثلاً دائمًا نفسه وبعد فردي فلم لا تقرأ المعاد بعد كوني وجماعي واجتماعي كي يتفاعل حتى أبناء البشرية في العصر الراهن مع مثل هذه المعرفة والأدبيات وبالتالي تكون المعرف مفعلة ومنشطة ومحركة في ثقافة الناس وحياتهم، فتارة مثلاً اعرف الرسول او الإمام بدل أن نقول فرد بشري نقول الرسول او الإمام شخص يدفع الفساد في الأرض ويمنعه بما زود من علوم وإدارة، فهو له قدرات ملكوتية خفية يتم بها انجاز مظهر إدارة الله لإنما الأرض وهذا تعريف متوازن، وبعبارة أخرى كأنها وجود الرسول او الإمام وجود مبني مؤسس بشكل متلاحم مع مجموع الوجود وليس من خلال وجود منعزل لفرد.

احد الأسباب الكبيرة لعدم ميل كثير من الإطراف من المذاهب الإسلامية والملل لمدرسة أهل البيت عليهما السلام لأننا نحن نعرضها بصورة فردية بينما صورة مدرسة أهل البيت عليهما السلام ليست مدرسة إفراد، صحيح هم أشخاص إفراد ولكن وجودهم وجود مجموعي كتلي ومنظومي ونظامي وتركيز الروايات والآيات على بعد المجموعي أكثر من التركيز على الفرد حينئذ يفهم الطرف الآخر مدرسة أهل البيت عليهما السلام وأما إذا تقارن فرد مع فرد يقول لك هذا فرد وهذا فرد ولا يلتفت إلى أن هذا مفصل في نفس الشبكة الكاملة في المجموع الكوني والاجتماعي، أما إذا بينت خطورة هذا المفصل وموقعيته المجموعة وفق النظام الكوني والوجودي فإنه سيلتفت إليه من لا يعرفه ولا يؤمن به، كما هو الحال في القلب إذا فصلته عن البدن فيقال لك أن هذا مجرد لحم وجسم صنوبري، أما وضع القلب في

البدن فيحرك دوران كل الشبكة الدموية والخلايا والألياف، وكذا الدماغ لوحده هو لحم ابيض أما الدماغ في الرأس فكل أعصاب وخلايا بدنيه مسيطر عليها بهذا الجهاز الصغير فيكون عظيماً، لأن أعطيت تعريفه في موقعه المجموعي النظامي، فهناك فرق بين البعد الفردي الشخصي والبعد المنظومي المجموعي الكوني.

### الوقفة الثالثة عشر: دور النبي ﷺ والامام عليهما السلام في الهدایة :

وذلك باعتبار أن الحاجة إلى النبوة تتضمن الحاجة إلى الهدایة النبوية التي هي هدایة اراءة وهدایة إيصال، والغاية من هدایة الاراءة هي في البيان والندارة والبشرة وتسمى الهدایة الارائية التي هي في النبوة والغاية منها الوصول فهي الهدایة الايصالية، فإذا كانت الهدایة الايصالية مطلوبة وضرورية، مثلاً في القرآن الكريم حول النبي ﷺ قال تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ فالشاهد من مقامات الإمامة فالدور الأول للنبي هو الإمامة والدور الثاني هو النبوة، وهذه الآية تكررت ثلاث مرات مرتين في سورة الفتح والروم ومرة في سورة المزمل ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا﴾ فهذا الآية تبين أن الدور الأول للنبي هو الإمامة ثم النبوة، إذاً أدوار الأنبياء الهدایة الايصالية يعني دور سيد الرسل وهو دور الإمامة عبر الهدایة الايصالية والهدایة الارائية، والبشرة والندارة هي اراءة فيعلم الآخرين ويبيّن لهم، أما شاهداً يراقب الأفعال فيرى الأفعال على النهج والسلوك وتصل إلى الغاية فهو يقودها إلى الغاية ويرقب العمل ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وهذا من مقامات الإمامة وحقيقة لها لأن أمّ يوم أي اتبع في عمل أو سير، لذلك الصراط هو أحد عنوانين الإمامة في القرآن فكل ما ورد بعنوان الصراط فهو

إمامية، فان الصراط هو سير وحركة، ولكن غير مختصة بالأئمة الا ثني عشر بل هي شاملة لإمامية الرسول الذي هو أمام الأئمة وامام الانبياء بل هو عَبْدُهُ اللَّهِ إِمَامُ الْخَلْقِ كَافِهُ.

لذلك الإمامة تبين بعنوانين متعددة منها الصراط ومنها الهادي ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ﴾ وهذا بلحاظ الأمم اللاحقة التي يتعالى الله عنهم الرسول وان كان الهادي الإيصالي غير المباشر يبقى رسول الله بنص الآية التي تقول أن النبي ' هو شاهد على عمل الشهداء فالرسول يتحكم حتى في عمل الأئمة فهو يقودهم ويوصلهم إلى المطلوب وهذا من المقامات النبوية العالية والخاصة .

#### الوقفة الخامسة عشر: من ينكر الأووصياء فقد أنكر الرسل:

اووضحنا مفصلا ان الجهاز واحد والنبوة تتضمن وجود الهادي الإيصالى الذى يوصل إلى المطلوب وهو الإمام، فهدف قافلة ومسيرة الأنبياء هو الإيصال إلى المطلوب وليس فقط الهداية الارائية فالذى ينكر الأووصياء غير الأنبياء فقد أنكر الرسل كلهم، لأنه قال بالهداية الإرائية والبشارية والندارة بلا غاية وما هي الغاية فان الغاية الوصول إلى المطلوب فمن يؤمن وتعهد إليه المسؤولية من الإيصال من الهداية الارائية إلى الهداية الإيصالية للمطلوب، وهذه مقامات أعزت للأنبياء فقد اعزى للنبي أن يكون ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وليس فقط مبشر ونذير، ودور الشاهد الاطلاع على ما يقوم به من الإتباع وهو من سيقودهم إلى الغاية، فان الذى يقوم بهذا الدور حيث نرى الآية تقول في ابراهيم لِلَّهِ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ وقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ وليس فقط نبوة ورسالة وقد طلبها لذرته لِلَّهِ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ وليس فقط أنبياء ورسلأ وهو غير النبوة وهي رسالة أئمة، لأن من أنكر مقام الإمامة

والخلافة الإلهية إلى يوم القيمة كان كمن أنكر جميع الأنبياء والرسل، لأن من مقامات الأنبياء وجود سلسلة ودور الإمامة بل أنها عظمت وبجلت في القرآن قبل النبوة في الأنبياء، فإمامامة الأنبياء دورها هام وهو مقدم على نبوتهم ورسالتهم، إذاً هو الجهاز واحد ومترابط فمن ينكر فقرة من هذا الجهاز فقد أنكر الجهاز برمته.

وقال النبي ﷺ :

«من جحد عليا إمامته بعدي فقد جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي فقد جحد الله

ربوبيته»<sup>(١)</sup>.

وقال عليهما السلام : لعلي عليهما السلام :

«يا علي، أنت المظلوم بعدي، من ظلمك فقد ظلمني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن جحدك فقد جحدني، ومن والاك فقد والاني، ومن عاداك فقد عاداني، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني».

وفي (عيون الاخبار : ١٦٨ و ١٦٩ )

عن الرضا، عن أبيه عليهما السلام قال :

«قال رسول الله ﷺ : ياعلي أنت المظلوم من بعدي فويل من ظلمك واعتدى عليك، وطوبى لمن تبعك ولم يختر عليك .

يا علي أنت المقاتل بعدي فويل من قاتلك وطوبى لمن قاتل معك، ياعلي أنت الذي

---

(١) روى الشيخ الصدوق، الاعتقادات ص ٣٨ .

تنطق بكلامي وتكلم بلساني بعدي، فويل من رد عليك وطوبى لمن قبل كلامك، يا علي أنت سيد هذه الامة بعدي وأنت إمامها وخليفتني عليها، من فارقك فارقني يوم القيمة، ومن كان معك كان معى يوم القيمة، يا علي أنت أول من آمن بي وصدقني وأنت أول من أعايني على أمري وجاهد معي عدوى، وأنت أول من صلى معي والناس يومئذ في غفلة الجهالة، يا علي أنت أول من تنشق عنه الارض معي [وأنت أول من يبعث معي] وأنت أول من يجوز الصراط معي، وإن ربي عَزَّ وَجَلَّ أقسم بعزته أنه لا يجوز عقبة الصراط إلا من معه براءة بولايتك وولاية الائمة من ولدك، وأنت أول من يرد حوضي تسقي منه أوليائك وتذود عنه أعدائك، وأنت صاحبى إذا قمت المقام المحمود، ونشفع لمحبينا فنشفع فيهم ، وأنت أول من يدخل الجنة وبيدك لوانى، وهو لواء الحمد، وهو سبعون شقة، الشقة منه أوسع من الشمس والقمر، وأنت صاحب شجرة طوبى في الجنة، أصلها في دارك وأغصانها في دور شيعتك ومحبيك )

يقول الفيض الكاشاني:

«ومن جحد إمامه أحدهم - أي الأئمة الثانية عشر - فهو بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام»<sup>(١)</sup>.

الوقفة السادسة عشر: البحث في الطبيعة العامة لأفضل من البحث في المصاديق:

وهذا ما يقوله الرسول «وما ذنب جبرائيل إلا أن أطاع الله فيما يريده بكم أريتم ملك الموت اهو عدوكم وقد وكله الله بقبض أرواح الخلق الذين انتم منه ولكنكم بالله جاهلون

وعن حكمه غافلون اشهد أن جبرائيل وميكائيل بأمر الله عاملان وله مطیعان وانه لا يعادى احدهما إلا من عادى الآخر وانه من زعم انه يحب احدهما ويبغض الآخر فقد كفر وكذب» فالتفكك كفر لأنه في الواقع ينكر الكبرى، وهذه نكتة مهمة يغفلها اليهود ويفصلها بعض مذاهب المسلمين انه لا يلحظ الكبرى وإنما يلحظ فقط الصغرى ولا يلحظ القاعدة لعامة وإنما يلحظ بعض المصاديق وهذا لا يصح، فالمصدق حقيقته في شخصه أو بالطبيعة الموجودة فيه فتكون معرفته الصحيحة بلحاظ الطبيعة الموجودة فيه.

وقد جرى حوار في بحث الإمامة في بعض الواقع فتجد شخص تأييه بأدلة عامة على الإمامة ويقول لا أقبلها فكيف لا يقبلها؟، وإنما يريد الأدلة التي تختص بذكر الأسماء وتحدها وهذه مغالطة، لأنه لا يعرف علي بن أبي طالب فقط وهذه ليست حقيقة علي، والعمدة في حقيقة علي بن أبي طالب انه أمام من الله وان الإمامة ضرورة، ومثلما يعبرون بـ (الشخصية الحقيقة وليس الشخصية الحقيقة) وان كانت شخصيتهم الحقيقة والحقيقة واحدة وإلا كيف اعرف حقيقة رسول الله فهل هو فقط انه محمد بن عبد الله وانه رجل من البشر ولده رجل من البشر فهل هذه حقيقة رسول، أو أن هناك قاعدة عامة وهي من ضرورة الرسالة والنبوة وغيرها والنبي 'قام بعهديها، فتفكك القاعدة العامة في دراسة المصاديق عبارة عن جهالة بالمصاديق وبتعبير آخر أن تفكيك الصغرى عن الكبرى هو جهالة للصغرى، والذي يوضح حقيقة الصغرى هو الكبرى، لذلك الأدلة العامة في كبرى الإمامة في واقعها أبين في حقيقة بحث الإمامة من الأدلة التي تنص على الأسماء، لأن تلك التي تنص على الأسماء قد تكون في صدد التركيز على بيان الأسماء والمصدق وليس في صدد الطبيعة العامة والخطيرة الموجودة في المصاديق. إذاً النتيجة تتوقف إلى كل من الصغرى

والكبيرى أما فقط الصغرى بل الكبرى أهم، فان فهم حقيقة الصغرى هو بفهم حقيقة الكبرى، والكبرى موجودة في الصغرى.

وبعبارة أخرى الطبيعة العامة والموجودة في المصاديق مثلا عرفت إنسان باسم زيد وهو هذا الجسم والشكل الظاهري أما حقيقة زيد فلم تعرفها، وهي الناطقية والحيوانية والروحية والقلبية فهذا أبين في حقيقة زيد من زيدية زيد فقط، أو رأيت حيوان يدب على الأرض لكن لم تعلم أن هذا من الثدييات أو زواحف أو ذو نفس سائلة..... الخ،

فالطبيعة الكلية أعمق وأبين من معرفة نفس الشيء وهي العوارض المشخصة فان العوارض المشخصة هي عوارض وليس هي متن الذات ومتن الذات هو القاعدة العامة وهو الطبيعة العامة الكبرى، وبتعبير لأحد العلماء يقول أن طبيعة الإنسان هيئٌ متأله وليس حيوان ناطق، وعلى أي تقدير أن معرفة عمق الإنسان هو هذا، أما أن تعرف طوله وعرضه وزنه أو ابن فلان فهذه كلها عوارض، ولكن انظر بنوته في الروح هو ابن من لأنها أهم من بنوة البدن، فان أبوه من البدن شيء وأبواه من الروح أمر آخر.

أن نفس المتكلمين يبحثون في النبوة العامة ثم النبوة الخاصة بينما عمق البحث هو في النبوة العامة ونفس الكلام في الإمامية، إذاً بحث في كبرى الإمامية في الأدلة هو بحث هام ومن الخطأ أن تبحث في الصغرى والنتيجة مباشرة، لأنها تعطيك عمق معرفة النتيجة، فان عمق معرفة النتيجة هو بمعرفة الكبرى، وقد جرى حوار مع احدهم يقول لم تأتي بکبريات فإنها ليست فيها دلالة وليس لها دور والحقيقة ان هذه غفلة، أو أن قطعية الكبرى لا تدل على قطعية الصغرى، فإذا كانت الكبرى قطعية وديموتها قطعية واستمرارها قطعي إذن هل تخلو من دلالتها برسول او أمام، فكيف لا تدل قطعية الكبرى

واستمرارها على تولد الإمام المهدي، وكيف لا تدل لأنه حسب الفرض إذا كان الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام فحين وصلت التوبة إلى الإمام الحسن العسكري وبعد ذلك هل تقطع السلسلة؟ فواضح أنها تدل بدليل لبي على تولد الإمام المهدي، واحد أدلة ولادة الإمام المهدي الكبرى القطعية على ضرورة الإمامة واستمرارها إلى يوم القيمة، ولا يحتاج إلى دليل خاص ورواية بل الأمر ثابت من أساسه، وحتى إذا لم تبين المصدق والخصوصية ولكن المهم أن تتبع بالكبرى فلا تكفر بها أو تنكرها، فعمق دور الكبرى أهم بمراتب من بحوث في المصاديق في الطبيعة العامة، لأن عمق الحقيقة هو في الطبيعة العامة والقاعدة العامة وليس في خصوص المصاديق بل أن المصاديق هي عوارض وهذا أحد معاني «كلنا نور واحد» وليس بمعنى التناصح الذي يفهمه البعض خطئاً، فالطبيعة العامة مهمة لذلك من الحذر أن تذهب إلى المصدق فقط فإنه لا تعرف حقيقة المصدق إلا بمعرفة حقيقة الطبيعة العامة، لذلك المجلسي (رضوان الله عليه) عقد خمس مجلدات من الطبعة الحديثة في بحث الإمامة قبل أن يبدأ بإمامامة أمير المؤمنين عليه السلام وهي بحوث مهمة جداً وحافلة بالمعلومات، لذلك كما ذكرنا ان المتكلمين يبحثون في النبوة العامة ثم النبوة الخاصة، وإن عيساوية النبي عيسى وموساوية النبي موسى وإبراهيمية النبي إبراهيم لا تعطي معرفة عميقية بالنبي إبراهيم أو موسى أو عيسى، فهذه صفات عرضية وإنما عمق نبوتهم هو النبوة العامة والطبيعة الموجودة فيهم مع تفاوت درجات الفضل فيما بينهم، أما الانغلاق بالبحث في المصدق فقط هو نوع من السياسة المغرضة لتجريف الحقائق وتخويف الأبحاث وإسقاف البحث وتسطيحه حيث إنك لا تفتت عن الطبيعة العامة والبحث في الكبرى، لأنها بالنتيجة لا يعبر عن عمق، أما إذا بحثت عن الطبيعة العامة فتفهم أنه بشراً يوحى إليه فكما أن هناك

جنبة بشرية هناك جنبة ملكوتية غيبة وهذا معنى الطبيعة العامة وهذه هي الكبرى والجانب العلوي المشترك، فهم يريدون أن ينسوا البحث عن ذلك الجانب العلوي وهو وبالتالي يكون إسفاف بمستوى البحث وكذلك المعرفة، رغم أننا لا نريد أن نغفل الجانب البشري بل هو ملحوظ ولكن ليس هو بمستوى الجانب العلوي الغيبي.

إذاً هذا بحث مهم وله بيانات عديدة يبين ويختلف ويرأوغ عليه بأساليب عديدة من التحايل فلا بد من التفطن لها.

#### الوقفة السابعة عشر: الترابط بين معرفة الله والنبي ﷺ والامام:

قلنا ان البحث في الطبيعة العامة مهم وهذا البحث يسري على جبرائيل وميكائيل طبق أي معادلة؟؟ فهل هو على جبرائيلية جبرائيل وميكائيلية ميكائيل أو أن القضية أنهم ملائكة منذين؟؟ فهل تفهم الجبرئيلية بجبرائيل والميكائيلية بميكائيل أم أنهم ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ لَا يَسْقِعُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْعَعُونَ إِلَّا مِنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِّيَّهِ مُشْفِقُونَ﴾<sup>(١)</sup> فهذا هو الفهم للملك فحقيقة عمق معرفة جبرائيل هو بهذا الجانب.

كذلك النبي ﷺ يعرف نفسه (وكذلك محمد رسول الله وعليه أخوان) وهو ان نفس مطلب الإمامة موجود في النبوة وهي الإمامة الموجودة في علي وان كانت في علي ﷺ انزل ما هي في النبي ﷺ، ولكن هذه الطبيعة موجودة، فالآية تتكلم عن الإمامة للنبي ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا بِقَرِينَةِ شَهادَةِ وَهِيَ مَرْتَبَةٌ بِبَحْثِ الْإِمَامَةِ فَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى الشَّهُودِ وَتَتَكَلَّمُ عَنِ النَّبُوَةِ﴾

للنبي ﷺ بقرينة قوله (مبشراً ونذيراً) مرتبطة ببحث النبوة، وفي آخر سورة الحج ﴿وَجَاهِدُوا في الله حَقَّ جِهَادِه هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةً أَبِيسْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمُوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾<sup>(١)</sup> وهي الذريعة التي دعا النبي إبراهيم أن تكون فيها الإمامة وفي القرآن شيء مشترك بينه وبين قربى النبي الذين هم من ذرية إبراهيم التي هي الأمة المسلمة في دعوة إبراهيم واسماعيل وهو أمر مشترك بتفاوت الدرجة بينهم وقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لَنَّكُو نُؤْثِرُ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا أُلْقِبَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقِلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعُ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> فمقام الشهادة موجود لغير الرسول بنص الآية وهو مستمر وهو الإمامة وهو الاصطفاء والاجتباء، فهل يصح إنكار كون النبي حاكماً وولي غير أنه رسول فإنه لا يمكن إنكار ذلك، فالنبي لم يقل لا ولاية بعدى وإنما قال لانبي بعدى وخاتم النبيين لا خاتم الأولياء، نعم هو سيد الأولياء وإمامهم ولكن هناك من يخالفه وان كان دونه.

إذاً غفل من لم يعرف حقيقة الرسول وسينكر الإمامة فلو عرف حقيقة الرسول ولما له من مقام الإمامة لم ينكر الإمامة، ولو عرف المؤمن بصيرة أن في حكومة الرسول أن الحاكم الأول هو الله تعالى وهذه إمامية وولاية لما أنكر حيث إن إمامة علي وإمامية الأئمة الباقيين،

(١) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

وإنكاره لإمامية علي ليس بالدرجة الأولى إنكاره لعلي بل سيؤدي للإنكار الأخطر هو الإنكار لولالية الله جل جلاله، لأن الحاكم الأول هو الله جل جلاله والقناة التي ينزل منها حكم الله جل جلاله وتدبره هم البشر الذين اجتباهم الله تعالى بنص آية الحج، فالذى ينكر إمامية الأئمة قبل أن يكون منكراً لإمامتهم هو أنكر مقامات في الرسول من حيث يشعر أو لا يشعر ولم يعرف حقيقة تلك المقامات، ولذلك تراهم في مقامات الرسول يغلطون ويحرفون فيها، فمثلاً في قوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا إِذَا تَمَّ مَنْعِلُ الشَّيْطَانِ فِيهَا، أُمِنْتَهُ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ أَيَّاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> فهم يفسرونها بتفاصيل غريبة أو أن الرسول يجتهد ويخطئ والعياذ بالله.

إذاً ضحالة المعرفة بالنبي تسبب ضحالة الإنكار بالأئمة بل وقبل ضحالة معرفة النبي ضحالة معرفة عظمة الله جل جلاله وصلاحيات الله جل جلاله وهيمنة الله جل جلاله وسلطان الله جل جلاله ونفوذ الله جل جلاله، فإذا ألغيت الكبائر ليس فقط في إمامية علي بن أبي طالب فترجع إلى كبرى الإمامة في الرسول وليس فقط كبرى الإمامة في الرسول والولاية في الرسول بل ترجع إلى إنكار الكبائر في ولالية الله جل جلاله ومدى نفوذ الله جل جلاله، فمقوله أن الحكم لله وهذا يعني في التشريع، فهل يعني أن ليس لله صلاحية في الحكم السياسي أو القضائي والتنفيذي، وليس طبيعة وكبرى الإمامة تنتهي فقط فليس فقط تنتهي ولاية الأوصياء بل تنتهي ولاية الأنبياء ليس ذلك فقد يرجع إلى إنكار ولالية الله جل جلاله، فإذا كان الله جل جلاله مشرع فقط فهو هداية إرائية، ويكون بذلك ليس الله جل جلاله بهادي إيصال وليس ولي في الحكم إلى هذا الحد تصباعد الطبيعة العامة، إذاً عمق

معرفة علي بن أبي طالب ليس كونه علي بن أبي طالب فقط فهذا اختزال واهباط وحط من درجة المعرفة، فعمق معرفة علي بن أبي طالب من حيث انه يمثل محطة نزول ولاية الله جل جلاله فترجع إلى معرفة الله جل جلاله وإلى التوحيد وهذا لا يعني أن علي رب واله – العياذ بالله – بل هو عبد مطيع لله جل جلاله ومصطفى وتترتب عليه الإرادة والولاية الإلهية وهذا معنى كبرى الإمامة وكبرى الاصطفاء وكبرى الخلافة الإلهية.

#### الوقفة الثامنة عشر: الترابط بين النبوة والإمامية معاني حقيقية:

ان تفكيرك البحث عن الطبيعة العامة يؤدي إلى هبوط وحط من مستوى المعرفة بشكل عجيب وخطير، لذلك في مسألة تناول أئمة أهل البيت عليهما السلام كما في الروايات ان الآيات تركز على الكبرى والطبيعة العامة لأنها تمثل عمق المعرفة، فان الكثير يقرأ هذه الرواية عن الإمام أبو جعفر الباقر عليهما السلام:

«بني الإسلام على خمس على الصلاة والزكاة والصوم والحج ولولاية»<sup>(١)</sup> ولم ينادي بشيء كما نوادي بالولاية.

لكن البعض فقط يلاحظ الولاية التي فيها ولاية أهل البيت عليهما السلام بينما العمدة في الروايات المقصود هي ولاية الله ورسوله وأهل البيت عليهما السلام، فالصغرى إنما تعرف بعمق الكبرى فعمق فهم الصغرى هو بالكبرى، وأما تغريب الكبرى عن الصغرى فهو عبارة عن قشور وتسطيح وعوارض مشخصة، كما ان البدن بالنسبة إلى الروح عوارض مشخصة، لذلك كما في الروايات لو يشاهد الفرد نور علي قد لا يعرفه وينكره في العوالم الأخرى، فعلي

بن أبي طالب ليس ببدنه، وعلينا ان نقرأ ونحاول فهم الرسول ليس في جانبه البدني وإنما مع جانب (يوحى إليه).

وكذلك نقرأ «محمد رسول الله وعلى أخوان» فيا ترى فالرسول وعلى هل ولدا من أب وأم واحدين ، نعم جدهما واحد وجدتها واحدة، ولكن أخوان من جهة الروح روى الحاكم النيسابوري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله عليه السلام يقول لعلی: (الناس من شجر شتی وأنا وأنت من شجرة واحدة ثم قرأ رسول الله عليه السلام) ﴿وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَابٍ وَرَزْعٍ وَخَنِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجَدِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وروى الكنجي بإسناده عن أبي امامه الباهلي قال:

«قال رسول الله عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ أَشْجَارٍ شَتِّيَّ، وَخَلَقَنِي وَعَلَيَّاً مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَنَا أَصْلُهَا وَعَلَيَّ فَرِعُهَا وَفَاطِمَةُ لَقَاحُهَا وَالْحَسْنَ وَالْحَسِينُ ثُمَرُهَا، فَمَنْ تَعْلَقَ بِغَصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا نَجَى وَمَنْ زَاغَ عَنْهَا هُوَ، وَلَوْ أَنْ عَبْدًا عَبْدَ اللَّهِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ لَمْ يَدْرِكْ صَاحِبَتِنَا، أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ خَرِيهِ فِي النَّارِ ثُمَّ تَلَاهُ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup>.

ومعنى الإخاء انه شقيقه في النور، والروح لها نسب والروح لا تتبع الأرضي ولا تتبع الشعوب، الروح من الآخرة وستعود إلى الآخرة أي من عوالم فوقية فالروح لها نسب آخر لها ارتباط اعمق واعلى.

(١) المستدرك على الصحيحين، ج ٢ ص ٢٤١.

(٢) كفاية الطالب، ص ٣١٧.

واما قول الرسول «يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة»<sup>(١)</sup>.

فهذا ليس مجاز إنما حقيقة ولكن الأغلب لا يفهمه الا عن طريق المجاز لأننا نعتبر الحقيقة من خلال المادة فقط واما وراء المادة وهو الغيب فنفيه ولا نفهم الامور من خلاله بينما الصحيح ان الحقائق اوسع من عالم المادة وابوة محمد وعلي (صلوات الله عليهما والهما) انها هي ابواة حقيقة ومن مظاهرها ان تربية الامة في تكاملها نحو القرب من الله تتم من خلالهما ومن خلال تعالييمهما وسيرتها.

#### الوقفة التاسعة عشر: المعاني الروحية والمعنوية:

يقول الاجلاف لا تزور ولا تقدس القبر فان بدن الميت لا يؤثر شيئاً، فإذا كان البدن لا يؤثر فهل الروح لا تؤثر أو غير موجودة ولكن هذا ليس في حساباتهم، فالسلاح يؤثر وبخار السيارة تؤثر أما هذا الميت الذي في القبر فلا يؤثر، فهذا اقتصار على المادة وهذا مذهب حسي مادي دهري، بل العوالم الأخرى اشد طاقة واشد نفوذاً واسع تأثير، ثم هناك عملية اشتقاد روحي ونوري، ولقد خلق الله الأرواح قبل الأبدان بألفي عام ولكن لأجل أن الروح مغيبة لا نقرأ نسب الروح، وعندها في الرواية أن حق الأب المعلم أعظم من حق الأب المولد وهذه ليست تشريفات ومجاملات، فقد ورد أن شخصاً هداه ثم قتله أيغفي عنه أهله فقال كيف لا يعفون عنه فان هذا والده فهو قد قضى على بدنه ولم يقضى على حياته الأخرى الأبدية، أما قوله ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِعَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا

(١) ينابيع المودة لذوي القربي ج ٤ ص ٣٦٩

أَحِيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي  
الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣﴾ تأويلها الأعظم من قتلها يعني قد أظلمها، فالذى يقتل هنا  
النفس اما قتل البدن فالفرد ليس اعظم لان من يعيش ستين سنة مثلا فالمصاله هيئه أما الذي  
يقضي على حياة الأبد ايها اعظم بالبعد عن المدى؟، بالطبع هذا اعظم ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا  
فَكَانَهَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ يعني مصداقها الأعظم الاحياء الروحي والهدایة،  
ولكتنا لأننا نعيش في سجن وصنم المادة نغلقه تحت وطئه قراءات السلف الصالح، فيتذكر  
البعض للغيب والله يعتبر الغيب اعظم من الشهادة، وهم يقولون الشهادة اعظم من الغيب،  
طبعا الشهادة مع الغيب والغيب مع الشهادة لا أن تلغي احدهما وكلما غاب يكون اعظم،  
فهذا ليس محاولة بل تأويلها الأعظم من هداها، لأنه اوجد له حياة أبدية وسبب تكوينها حياة  
أبدية له.

إذاً هذه نكتة مهمة وهو أن إغفال جانب الطبيعة العامة والمعنى الروحي والاهوية  
الروحية وتغييبها يعتبر من أسطح التسطيحات واخواء للمعرفة.



## **البحث السابع: من مواقف الأنبياء وأقوامهم**

ومن تلك الحاجة المهمة لنا مرور على بعض مواقف الأنبياء مع أقوامهم وما يمكننا أن نستجلّي من خلاها بعض المعارف النافعة بعون الله تعالى.

### **الموقف الأول: من مواقف النبي إبراهيم عليه السلام:**

**أولاًً: تعجل إبراهيم عليه السلام بالدعاء على العباد:**

كان النبي في صدد بيان أخلاقيات رسالة الرسول كيف تكون أو أخلاقيات خليفة الله كيف تكون، وهذه شؤون خاصة بالعصوم أو التفاضل في العصمة كيف يكون «وذلك قول ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوْقِرِينَ﴾ (٧٥) قوى الله بصره» الظاهر انه رفع قوى الله بصره «لما رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومسترين فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ثم رأى آخرين فهم بالدعاء فأوحى الله إليه يا إبراهيم إكفف دعوتك عن عبادي وإيمائي فاني أنا الغفور الرحيم والجبار الحليم لا تضرني ذنوب عبادي كما لا تنفعي طاعتهم ولست أسوسهم بشفاء الغيض كسياستك فاكفف دعوتك عن عبادي وإيمائي فإنما أنت عبد نذير لا شريك في الملكة» فهذه نكتة مهمة فلا تبدي من قرائحك لأنك منها وصلت إلى الحكمة فان

الله تعالى هو احْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَهُوَ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا يَصْلَحُ عِبَادَهُ وَهُوَ رَحِيمٌ بِهِمْ لَا يَقْطَعُ عَطَاءَهُ عَمَّنْ عَبَدَهُ وَعَصَاهُ.

ثانياً: التمظهر بعبادة الكواكب لا يعد ذنباً وامتياز الاستدلال الابراهيمي:

المقصود في الذم المتواتر هو من كان على صرف الكفر والظلالة لذلك المتكلمون والفقهاء ذكروا أن الكافر في طريق التحري مدوح لا لكره أو ظلاله بل لكونه باحث ومنقب وفاحض عن الحقيقة، فمن ثم يكون مدوح، واحد الملاحم العظيمة التي يذكرها القرآن أن نبياً من الأنبياء وهو النبي إبراهيم من أولي العزم في مشهد من قصته يتمنى عبادة الكواكب ولكن ليس كعبادة مصر أو متوقف عليها وإنما هو فاحض فهذا يعتبر طريق هداية، لأن الفاحض في الحقيقة هو يرجوا من بعيد الوصول إلى الحقيقة وهي توحيد الله ومن خلال البحث يكون على طريق الهدایة، فمن ثم أن ما مارسه النبي إبراهيم لا يعد ذنب له، وهذا ليس بالأمر السهل أن يتمظهرنبي من الأنبياء وهو من أولوا العزم بهذا اللباس أو السلوك لأن فيه جانب تصريحية بالسمعة مما يدل أن طريق الفاحض هو طريق نجاة وليس طريق ظلال وإن كان هو بلباس أهل الظلالة ما دام الفرد فاحضاً.

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَيْنَهُ أَلَّى لُرَءَاهُ كَوْكِبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ أَلَّا فِلَيْتَ ﴾ ٧٦

﴿الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهِدِ فِي رَبِّ لَا يَكُونُ مِنَ الْقَوْمِ الْمُضَالِّينَ ﴾ ٧٧

﴿الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكَبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشَرِّكُونَ ﴾ ٧٨

وَجِهَيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا آتَاهُ مِنَ الْمُشَرِّكِينَ ﴿٧٩﴾ .<sup>(١)</sup>

وي يمكن ان نصوغ الاستدلال كالتالي:

الآيات التالية تشرح لنا استدلال إبراهيم من أ Fowler الكواكب والشمس والقمر على عدم صحة كونها آلة و عدم صحة عبادتها من دون الله تعالى، فعندما جن الليل ظهر كوكب ووردي في الروايات أنه كوكب الزهرة، فطرح إبراهيم عليه السؤال: هل يكون هذا ربًا؟ ولكن حين شاهده يغرب، قال: لا أحب الذين يغربون، ومرةً في السماء، رأى القمر وعاد إبراهيم عليه السؤال هل يكون هذا ربًا؟ ولكن القمر ايضا اختفى هنا قال إبراهيم عليه: إذا لم يرشدني ربى إلى الطريق الموصى إليه فسأكون في الضالين.

وطلعت شمس النهار، ولما رأى إبراهيم الشمس أعاد السؤال ثالثة هل يكون هذا ربًا؟ ولكنه حين رأها تغرب أعلن إبراهيم قراره النهائي: يا قوم! إن كل هذه العبودات الباطلة التي تجعلونها شريكة لله، كلها مخلوقات متغيرة محدودة خاضعة لقوانين أقوى منها ورائتها إلهًا قادرًا الذي خلق السموات والأرض، وكانت التسليمة:

﴿إِنِّي وَجَهْتُ وَجَهَتِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا آتَاهُ مِنَ الْمُشَرِّكِينَ﴾ .<sup>(١)</sup>

ونلاحظ ايضا ان استخدام الكلمة (رب) تعبر عن ذكاء في الاستدلال لأن المربى لا بد أن يكون حاضرا وقربياً من مخلوقاته ومن هنا فلا يجوز لمن يغيب ويغرب ويختفي أن يكون ربًا

وإلهًا.

بل هو (الرب الباطل) حينما يخضع للقوانين الطبيعية، فلا يمكن أن يحكم على هذه القوانين ويكون مهمينا عليها.

### الموقف الثاني: من تفسير قصة موسى مع الخضر بليلاً:

احد تفاسير توضيح اختلاف نهج الخضر عن نهج موسى عليه السلام ليس في انه شريعة الله هناك منهجان وإنما هو شيئاً واحد ولكنها كما يلي :

الأول: الشريعة تارة تحرز موضوعاتها واليات بموازين وإمارات ظاهرية تصير شريعة ظاهرة.

الثاني: تارة الشريعة تطبق وتقام بموازين واقعية أي بتوسط العلم اللدني فتسمى شريعة باطننة.

مع أنها شريعة واحدة، وتطبيقاتها على المصاديق والموضوعات ( وقد اشرنا إليها في الإمامة الإلهية الجزء الثالث ) يكون باليات يقينية أو لدنية، لذلك لما بين الخضر للنبي موسى القواعد وتطبيقاتها كان تطبيق خفي دقيق، صحيح أن موسى في التنظير والشريعة اعلم أما إقامة تلك الشريعة في بعض المساحات الخاصة فقد كان للخضر من الصالحيات ما لم يكن لموسى، لذلك ورد في الروايات انه كان لكل فضل ولذلك الخضر بر للنبي موسى عن افعاله بما يوافق ثوابت في شريعة النبي موسى.

قال تعالى:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا ﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحْطِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ قَالَ سَتَحْدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ فَانظَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْنَا إِمْرًا ﴾ قَالَ أَمَّا أَقْلُ ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا ﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيْتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ فَانظَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْنَا نُكْرًا ﴾ قَالَ أَمَّا أَقْلُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا ﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِي عُذْرًا ﴾ فَانظَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمُهَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَمَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَا تَخْذَنَتْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَابِقُكَ تِبْأَوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيَّهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ عَصْبًا ﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنَيْنَ فَخَشِيْنَا أَنْ يُرِهْقُهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلُهُمَا رَبِّهِمَا حَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَلْعَلَّا أَشْدَدَهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تِبْأَوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾<sup>(١)</sup>

ورد في (تفسير علي بن إبراهيم):

لما أخبر رسول الله ﷺ قريشاً بخبر أصحاب الكهف قالوا أخبرنا عن العالم الذي أمر الله

موسى أن يتبعه وما قصته فأنزل الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرُحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمْضِيَ حُقْبًا﴾.

قال وكان سبب ذلك أنه لما كلام الله موسى تكلمها فأنزل عليه الألواح وفيها من كل شيء موعظة ورجع موسى إلىبني إسرائيل فصعد المنبر فأخبرهم أن الله قد أنزل عليكم التوراة وقال في نفسه ما خلق الله خلقا أعلم مني فأوحى الله إلى جبرئيل أدرك موسى فقد هلك وأعلمه عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجل أعلم منك فصر إليه وتعلم من علمه فنزل جبرئيل عليه عليه موسى عليه وأخبره في ذل موسى في نفسه وأعلم أنه أخط ودخله الرعب وقال لو صيه يوشع إن الله قد أمرني أن أتبع رجلا عند ملتقى البحرين وأتعلم منه فنزله يوشع هو تاملوح وخرجا.

فلم يخرج وبليغا ذلك المكان وجدا رجلا مستلقيا على قفاه فلم يعرفاه فأخرج وصي موسى الحوت وغسله بالماء ووضعه على الصخرة ومضى ونسيا الحوت.

وكان ذلك الماء الحيوان فحبى الحوت ودخل في الماء فمضى عليه ويوشع معه حتى عيما فقال لو صيه ﴿أَتَنَا غَدَاءً نَّا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرَنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ذكر وصي السمكة فقال موسى عليه فإني نسيت الحوت على الصخرة فقال موسى ذلك الرجل الذي نصبه رأيناه عند الصخرة هو الذي نريده فرجعا على ﴿أَثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ إلى عند الرجل وهو في الصلاة فقدع موسى عليه حتى فرغ من الصلاة فسلم عليهما.

حدث محمد بن علي بن بلال عن يونس قال: اختلف يونس و وهشام في العالم الذي أتاه موسى عليه أيهما كان أعلم و هل يجوز أن يكون حجة في وقته وهو حجة الله على خلقه فقال قاسم الصيقيل فكتبوا إلى أبي الحسن الرضا عليه يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب أتى موسى العالم

فأصابه في جزيرة من جزائر البحر إما جالس وإما متكتئاً فسلم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس فيها سلام فقال من أنت قال أنا موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليماً قال جئت لتعلمني **﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾** قال إني وكلت بأمر لا تطيقه ثم حدثه العالم بما يصيب آل محمد عليهم السلام من البلاء حتى اشتد بكاؤهما ثم حدثه عن فضل آل محمد حتى جعل موسى يقول يا ليتني كنت من آل محمد حتى ذكر فلان وفلان ومبعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يلقى منهم ومن تكذيبهم إيه وذكر له تأويل هذه الآية **﴿وَنُقَلِّبُ أَعْيُدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةً﴾** حين أخذ الميثاق عليهم فقال موسى عليهم السلام **﴿هَلْ أَتَيْعُكَ عَلَى أَنْ تُعْلَمَ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾** فقال الخضر إنك لن تستطع معي صبراً وكيف تصبراً على ما لم تُحظِ به خبراً **﴿فَقَالَ مُوسَىٰ لِلْخَضْرَاءِ﴾** **﴿سَتَحْدُلُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾** قال الخضر عليهم السلام **﴿فَإِنِّي أَتَبَعَّثُنِي فَلَا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾**.

يقول **﴿فَلَا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾** أفعله ولا تنكره علي حتى أخبرك أنا بخبره قال نعم فمروا ثلاثة هؤلاء الثلاثة نفر فإنهم قوم صالحون فحملوهم فلما جنحت السفينة في البحر قام الخضر عليهم السلام إلى جانب السفينة فكسره وحشاها بالحرق والطين فغضب موسى غضباً شديداً وقال للخضر **﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرًا﴾** فقال له الخضر عليهم السلام **﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا﴾** قال له موسى عليهم السلام **﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيْتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾** فخرجوا من السفينة.

فنظر الخضر عليهم السلام إلى غلام يلعب بين الصبيان حسن الوجه كأنه قطعة قمر في أذنيه درتان

فتأنمه الخضر عليه السلام ثم أخذه وقتلها فوثب موسى على الخضر عليه السلام وجلد به الأرض فقال ﴿أَقْتُلْتَ نَفْسًا رَّكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَفَدْ جِئْتَ شَيْئًا تُكْرَا﴾ فقال الخضر عليه السلام ﴿أَمْ أَقْلَلُ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا﴾ قال موسى عليه السلام ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبِنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِي عُذْرًا﴾ فانطلقا حتى إذا أتيا بالعشي قرية تسمى الناصرة وإليها تنسب النصارى ولم يضيفوا أحداً قط ولم يطعموا قريباً فاستطعهم فلم يطعموهم ولم يضيفوهم فنظر الخضر عليه السلام إلى حائط قد زال ليتهدم فوضع الخضر عليه السلام يده عليه وقال قم بإذن الله فقام موسى لم ينس أن تقيم الجدار حتى يطعمون ويرون وهو قوله ﴿لَوْ شِئْتَ لَا تَخْذُنْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ فقال الخضر عليه السلام هذا ﴿فِرَاقْ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَنْبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ﴾ التي فعلت بها ما فعلت صالحة فإنها كانت لقوم يعملون في البحر فأردت أن أعييه وكان وراء السفينة ملك يأخذ كل سفينة غصباً كذا نزلت وإذا كانت السفينة معيبة لم يأخذ منها شيئاً.

وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنٌ وَطَبَعَ كَافِرًا كَذَا نَزَلتْ فَنَظَرَتْ إِلَى جَبِينِهِ وَعَلَيْهِ مَكْتُوبٌ طَبَعَ كَافِرًا ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرِهَقُهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلُهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ فأبدل الله والديه بتا ولد منها سبعون نبياً من أنبياءبني إسرائيل.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ الَّذِي أَقْمَتْهُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لُّهُمْ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشْدَدَهُمَا إِلَى قَوْلِهِ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

### الموقف الثالث: عمران قوم عاد:

«مسائلة عباد الله بهم أرسل الله على قوم عاد ريحًا صريراً عاتية تزع الناس لأنهم إعجاز نخل

خاوية وأمر جبرائيل أن يصبح في قوم صالح عليه السلام<sup>(١)</sup>.

أن عاد في الربع الخالي من الجزيرة ويقال في علم الآثار أن مدتيتهم تحت الرمال وهي مدينة عظيمة في التقنية ويقال إلى آلان البشرية لم تصل إلى تقنيتهم فقد وصلوا إلى تطور عجيب ولذلك ايضا حتى آلان التطور الفرعوني في مصر المكتشفين منه في حيرة وهذه الصخور وبعض الموازين والمعادلات واللومياء، فعاد يقال أن لهم تطور مدني عظيم بحيث أن بيوتهم من البلور والجواهر وبشكل ليس فيه أسباب ضعف، فحسب ما توصف تلك المدينة في الروايات التاريخية وحتى في الروايات عن المعصومين توصف بتقدم مدني عمراني عجيب، والربع الخالي هي نفس جبال صلاله في عمان مطلة على الربع الخالي، أما ثمود قوم صالح فهم يبعدون ٢٤٠ كم شمال المدينة باتجاه تبوك وبيوتهم في الصخور إلى آلان موجودة، ولذلك تاريخياً نؤكّد انه تحت الربع الخالي كنوز عجيبة<sup>(٢)</sup>.

#### الموقف الرابع: أمثلة لافتتان امم الأنبياء:

وأكثر الإيهام والالتباس والمغالطة والخيرة في الأمم وفي موارد عديدة نشأت من التباس أعمال الشيء الذي هو في غير دائرته واقفه بل فوق افقه ومداه، وقد مثلنا سابقاً أن انحراف النصارى واليهود أنهم شبه لهم قتل النبي عيسى عليه السلام وان الله نقم على انحراف النصارى واليهود، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَيْهَهُمْ

(١) راجع قصص الأنبياء للجزيري.

(٢) راجع الملحق في آخر الكتاب، ملحق حول آثار قوم عاد.

وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ، مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَبْيَانَ الظَّنِّ وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) فهم ليس لهم يقين وإنما يتبعون الظن، فكيف يعبر القرآن الكريم بقوله ﴿شُهَدَ لَهُم﴾ أي في عينهم أي القوي شبه النبي عيسى على أحد حواري النبي عيسى أو ربما يقال على عدو للنبي عيسى فقتلوه، فإن إلقاء الشبه أمر حسي، هذا الحس يقين فكيف يعبر عنه القرآن الكريم بالظن وكيف يدم إتباعه وبالتالي التواتر الذي لدى إتباع الديانة المسيحية والنصارى منشئه الحس، فإنه شاهدوا بالحس قتل النبي عيسى عليه السلام فقلوله إلى الأجيال، وفي تعبير المفسرين ومنهم الفخر الرازى أن هنا لغز وتعقيد في مراد الآيات القرآنية وصعوبة حلها، فهل أن الحس ليس بحججة وهل التواتر ليس بحججة، وكثير من مفسري العامة يعبرون أن الأديان قامت على التواتر والحس، فمعجزات الأنبياء وغيرها فإذا كان القرآن يعبر عن الحس والتواتر بأنه ظن ولا يتبع وليس يقين فعل أي شيء نعتمد؟.

هذا الإشكال والتساؤل من الفخر الرازى وغيره من مفسري العامة في الحقيقة أنهم لم يلتفتوا إلى النكتة في منهج القرآن الكريم، فإن المراد في الحقيقة لا يريد أن يقول أن الحس ليس بمطلقه حجة أو أن التواتر المستند إلى الحس ليس بحججة، بل مراد القرآن الكريم أن الحس حجة واحد أسباب اليقين والتواتر حجة واحد أسباب اليقين هو في دائرة محدودة بعدم وجود يقين أكبر منه ومخالف له، لأن اليقين درجات فإذا وجد شيء ويكون سبباً لليقين يخالف الحس والتواتر فذلك اليقيني أخرى بالإتباع وتسلب صفة الحجية عن الحس والتواتر، وهذا من ضرائط المنهج والمنطق القرآني.

بل وحتى المناطقة يعترفون أن البدويات ستة أقسام وهي على ستة مراتب ودرجات، ولم يجعلوا الحسن أبده البدويات، وإنما جعلوا الأوليات ثم الفطريات ثم الحسيات ثم الاستقراء ثم الحدسية فالحسن لم يجعلوه أول أو ثاني أسباب اليقين بل هو الثالث، فجعله في المراتب المتأخرة معناه أن مراتب اليقين على مراتب متفاوتة، فإذا كان اليقين أسبابه على مراتب درجات اليقين متعددة إذًا مراتب اليقين ليست على و蒂ة واحدة في قوة الحجية ودرجة الحجية واعتبارها، والمرتبة العليا هي التي يعول عليها وإذا صادمت المراتب النازلة من اليقين، فمع كونه يقين إلا أن هذا اليقين له درجات، فإذا تجاوزت بدرجة من اليقين عن مداه يكون تمسك بغير حجة ويكون من التمسك بالظن فينقلب اليقين ظنا، فهل تعبير القرآن مسامحي أم التعبير باليقين ظني ليس مسامحي، هو ليس مسامحي لأن حقيقة اليقين إذا كان له درجة ومدى ومدار معين وحدود معينة فهذا يعني أن ما وراء خط وحدود ومدى هذا اليقين هناك يكون اليقين ليس بصفة اليقين بل بصفة ضعيف، وهو شبيه المصباح فإذا كان على مئة وحدة كهربائية فله دائرة من كشف المجهولات بحدود عشر متر مثلاً إذا تجاوزت به إلى ما بعد عشر متر ولنفرض خمسة عشر متر سترى أن له نوع من الارائة ولكن ارائته ضعيفة وملتبسة، ففي دائرته للارائة هو واضح أما ما وراءه تكون الدائرة ملتبسة وغير واضحة فلا يكون حجة، أما لو كان المصباح درجته ألف وات كهربائية فترى مداه إلى مائتين متر، فلذا لو أراد مسترشد أن يأخذ المصباح ذي مئة وحدة كهربائية ويستضيء به لمئات الأمتار، لكن بذلك متبعاً للظن وتاركاً للبيان والنور. وحتى ألف وات فهو لمئات الأمتار أما آلاف الأمتار فلا بد أن يستضيء بالشمس مثلاً أو القمر، لأن لذلك سعة بيان وكشف أكثر.

ومثال آخر يذكره القرآن حيث بين أن أعظم فتنه افتتن بها اليهود هي دعوى قتل النبي

عيسى، وان فتن امتحانات الله في الإدراك والبصيرة والفكر أعظم صعوبة من الامتحانات في الغرائز وأعظم تعقيداً ومثوبية وأعظم عقوبة، ومنها فتنة الجمل والخوارج والنهر وان وصفين وكلها بالدقة فتن في البصيرة، وتعبير أمير المؤمنين عليه السلام «أنا فقيت عين الفتنة»، بمعنى أزال تلك الفتنة وأزال السحب المظلمة لهذه الفتنة، وإنما في الطرف الآخر تجد أم المؤمنين فمن يجرؤ على مقابلتها إذا كانت على خطأ؟، فلم يكن إلا صهر النبي عليه السلام وابن عميه وصاحب يوم الغدير هو من يستطيع أن يبين أن هذه المفاهيم قد تخطئ في الطرف الآخر، وأن هؤلاء الخوارج ذوي الجبه السود يتلون الكتاب وجباهم ساجدة ويتمظهرون بعبادة وزهد وتقشف، فمن يقدر أن يخطئ طريق التقديس الخاطئ؟، إلا أمير المؤمنين عليه السلام، أو الدجل الذي استعملهبني أمية وما شابه ذلك فمن يكشف زيفه إلا أمير المؤمنين عليه السلام.

ويذكر القرآن مثال آخر لفتنة فكرية وهي فتنة العجل والسامری فقد صاغ لهم السامری عجل من ذهب ثم رمى في داخل العجل تراب من تحت حافر حصان جبرائيل باعتبار أن جبرائيل أتى مع الحصان أنوری ليهدي النبي موسى وبني إسرائيل في عبور البحر، والسامری من أهل الفهم وكان من أصحاب النبي موسى لكنه انحرف، فشاهد أي موضع يطؤه حصان جبرائيل يخرج الزرع فجأة فكأنه يفيض الحياة على التراب فعرف أن موضع تراب الحافر له خاصية ملکوتیه فاخذ قبضة من التراب ﴿قَالَ فِمَا حَطْبُكَ يَا سَامِرِيٌّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾<sup>(١)</sup> فعرف أنها تسبب الحياة و(ذلك سولت لي نفسي) فسببت أن يخرج صوت له والتبس هذا الأمر على بنی إسرائيل وهم رأوا أمرا

حسبي وبالتالي امنوا به فتركوا دليل العقل وذهبوا إلى الحس، كما ان المسلمين تركوا نص الغدير وذهبوا إلى حس البيعة في السقيفة، وبالتالي هم قد اخطأوا بالتمسك بالحس وتركوا العقل والوحى وهذه فتنة أخرى من اشد الفتن ابتلى بها اقوام الانبياء واصحاحهم لازالت اضرارها عبر الاجيال.

#### الموقف الخامس: التحرير في الأديان وتعصب اليهود:

«فهذا رب العالمين قد وعدني» فالنبي ﷺ لم يستجب لهم إلاّ بعد أن إذن له الله تعالى «أن يظهر لكم ما تقررون ليقطع معاذير الكافرين منكم ويزيد في بصائر المؤمنين منكم قالوا قد أنصفتنا يا محمد فان وفيت بها وعدت من نفسك من الإنصاف» ولا ندري هل اليهود الذين اسلموا هل ابقوا على نسبهم فاليهود بغض النظر عن تعصبهم لليهودية لهم تحسس خاص تجاه النسب فالمفروض أن سلالة من اسلم منهم يحتفظ بنسبه ولعل هذا هو الذي يكون من الحاجج الدامغة على اليهود في هذا الزمان، وهو أن في اليهود المعاصرين للنبي ﷺ هناك من امن بأيات وحجج النبي ﷺ.

فالتعبير من الرسول ﷺ لأنه لأن الكثير من التبشير اليهودي أو المسيحي ينكرون أن النبي إبراهيم قد اخذ ابنه إسماعيل إلى مكة، فهم يقفزون على الحقائق ولكنهم لا يستطيعون أن ينكروا أن اليهود كانوا في المدينة وفي خير ولماذا نزحوا من الشام وهي الجنان والارض ذات الانهار والزروع إلى صحراء قاحلة أليس ذلك لأجل الاستبشار ببني آخر الزمان، ونفس هذا برهان على نبوة النبي آخر الزمان فخير هي اثر برهانى تاريخي أديانى على أن اليهود والمسيحيون كانوا على علم بمجيء النبي آخر الزمان.

«إلا فأنت أول راجع من دعواك للنبوة وادخل في غمار الأمة ومسلم بحكم التوراة» هنا في حجاج اليهود أنهم كانوا يداينون بحكم التوراة فاليهود في ذلك الزمان قد لا يخصون التوراة باليهود، بينما آلآن اليهود لا يدعون غيرهم إلى اعتناق اليهودية، بينما حجاج كثير من اليهود مع الرسول ومع الأئمة كان حجاجهم أن تقتنع بنبوة النبي 'موسى' وامن بها فقط وانه آخر الأنبياء، ومن العجيب أن اليهود في كل قرن يعيشون في تحريف التوراة أكثر فأكثر، كما هو الحال في طباعة الصحاح فكل طبعة تحرف أكثر وتغير أكثر وأكثر، فهو لاء كل جيل يأتي منهم ينحرفون أكثر فأكثر، ولذلك الصهيونية هي تحريف زائد على اليهودية على ما هي عليه من الانحراف، الآن الصهيونية فيها حاخمات هم ينظرون للصهيونية ويعتبرونها هي الدين والذي يحارب الصهيونية يحارب نفس التوراة، فالصهيونية عبارة مرحلة مسخ لليهودية على ما مرت عليه اليهودية من تهود، وهذه نكتة مهمة هو أن يتبع الإنسان مراحل التغير المتعددة التي مرت بها الأديان، ولذلك هنا تكمن ضرورة وجود وبقاء سلسلة الموصومين فلا يمكن أن يعصم الدين إلا بالمعصومين إلا بيتلى ويناب بنواب التغيير إلى أن يمسخ عدة مرات حاله حال بقية الأديان، فمن الجيد اذن معرفة كم مرة مسخت اليهودية، والصهيونية كما يعترفون نشئوا قبل قرن أو قرنين بتحريف اليهودية، وحتى ما يخص المسيحية من هذا الجانب فقد تابعت بحث في بريطانيا هو ضد الصلبية التي هي نوع مسخ للمسيحية بشكل جديد ويستشهد المؤلف وهو كاتب بريطاني بالدليل على أن المسيحية حرفت عدة مرات ويستشهد أن هناك طقوس دينية عند المسيحيين الشرقيين غائبة تماماً عن المسيحية الغربية، فالمسيحية الموجودة في بلاد الشام عندهم طقوس قد اندثرت في المسيحية الغربية وان تلك المسيحية قد صودرت في المسيحية الغربية، وهذا أمر مهم وهو حقيقة ثابتة أن دين المسيحية أو اليهودية مرت بكم طور تغييري مسخي

انحرفت من خلاله اغلب التعاليم.

### الموقف السادس: حول المهدد العجيب:

دابة دراكة كما في المهدد العجيب أمره حيث قال ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأً مَّلِكُهُمْ وَأُولَئِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ \* وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup> واللطيف لماذا المهدد قدم محذور حاكمية المرأة واستغرابه منه أو استنكاره لمحذور عبادتهم لغير الله، فهل هناك ما هو اكبر من التوحيد؟، فالاستغراب يكون من شيء منكر ولا يستغرب الإنسان من شيء غير منكر، وهذا تقرير من القرآن لهذا المطلب وهو احد أدلة عدم حاكمية المرأة في القرآن رغم أن بلقيس كانت رشيدة مع ذلك هذا الاستنكار يعتبره القرآن فالقرآن يقرر هذا التعجب ويدل ذلك انه هذا شيء غير محله، فالقرآن لم يفنده ذلك رغم ما يمتدحها القرآن يقرر أنها ليست حاكمة، فما السر ان المهدد قدم ذلك المحذور؟.

ونظير هذا التعبير ما ورد معناه عن أمير المؤمنين عليه السلام «الحكم يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم» فهل الظلم هو أزيد من الشرك؟، كلا واتفاقا هناك شرك أو كفر فردي وهناك كفر اجتماعي سياسي، والكفر السياسي وهو الطغيان والظلم، وان مظهر التوحيد في النظام السياسي الاجتماعي هو العدل، ومر بنا أن التوحيد في النظام السياسي بدرجات دانية لا يفرط الله في بقاءه فالحكم يبقى مع الكفر، لأن الكفر هنا الفردي ولا يبقى مع الظلم لأن الظلم في النظام السياسي، أو قل الكفر كتسمية وعنوان ويبقى مع الملك ولكن لا يبقى من الكفر الحقيقي

---

(١) سورة النمل: الآية ٢٣ - ٢٤.

الواقعي وهو الظلم، فان الظلم كفر حقيقي وإلوهية وربوبية واعتنى وأكثر خطورة.

وهنا نفس الشيء حاكمية المرأة في الواقع لا تؤدي إلى العدل السياسي وهو اخطر ظلم سياسي «ما ولی قوم امرأة إلا كان أمرهم سفلاً» أي يسفل نتيجة وجود عاطفية المرأة وتأثيره على إرادتها وبالتالي تختلط الأمور، واختلاط الأمور يسبب فساد في النظام السياسي، وهو نفس التعبير الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام. فالكفر تسمية أو الكفر من جهة فردية، أما الكفر على صعيد الواقع النظام السياسي فهذا لا يبييه الله ولا يديم عمره لأنه يحول دون أصل فلسفة التكوين وخلقية الأرض وعمارتها.

إذاً أغرب شيء ينقله المدهد في سياق ذكر محاذير وطامات عند قوم سبا أول مذور إنني وجدت امرأة تملّكُهُمْ فمركز المذور والإشكال هو كونها امرأة، ثم يذكر مذور عبادة الشمس فان عبادة الشمس طقس فردي أما حاكمية المرأة هو واقع نهج كفري وهو على خلاف الفطرة الإلهية وهذا يدل على عظمة خطورة وفساد أن المرأة تكون حاكمة في رأس الحكم، فالمرأة ليست مخلوقة لهذا وهذا ليس استنقاص للمرأة وهو بحث آخر، فإذا صارت وزيرة خارجية لا يمكن أن ترك المكياج فهل وزارة الخارجية لأجل المكياج أو ترتب شعرها الأشيب مع كبر سنها وتتأذى إذا لم تفعل ذلك فهذا جانب عاطفي وأنثوي، فالمرأة هي هي لا تتغير طبيعتها، وهذه الطبيعة ليست ناقصة. نعم الإسلام والدين عرف كيف يكاملها ويجعل من مريم عظيمة ويجعل من فاطمة أعظم فالتكامل مفتوح للمرأة وبالنهج الذي رسمه لها.

إذاً الكلام انه كيف يدرك المدهد مذوريه الفساد في النظام السياسي اخطر من الفساد في الاعتقاد الفردي أو التسمية وهو نفس تعبير أمير المؤمنين عليه السلام «الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى

مع الظلم». ويمكن للدواب بأقدار من الله أن تدرك والآن حتى في علوم الأرواح الغربية الحديثة يقولون بأن هناك الروح جامد أو صامتة وهناك ناطقة وفاعلة ويعتبرون أن الجمادات لها أرواح وكذا النباتات ويعبرون بذلك بمشاهدات كما في قضية البروفسور الياباني كيف اكتشف تأثير البسمة على الماء ويعبرون روح الحيوان روح ناشطة ولكن كلها ليس بنشاط الإنسان والآن تشاهد بعض الحيوانات إذا علمتها بعض التدريبات الفكرية تتلقنها وتنتفاعل فيها، فهذا أمر ليس محال ومحسن سيبا القرآن يشير إلى ذلك ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِحُهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيلًا عَفْوَرًا﴾<sup>(١)</sup> أي فيه شعور، فسابقاً أوله المفسرون وقالوا تسبيح بمعنى أن نظام خلقتها يشهد على عظمة الله فهو تسبيح فهذا تأويل وليس هو المراد الحقيقي، وإنما ظاهر الآية هو الادراك والشعور، وفي آية أخرى ﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

فالملهم في العلوم التجريبية قواعدها إعدادية وليست فاعلة وسبب عدم الاطراد تراهم بعد جيل من علماء الفيزياء أو الأحياء أو الكيمياء أو غيرهم إنهم ما ضبطوه من معادلة قد تختلف وسبب التخلف هو أن هذه المعادلات ليست فاعلة وإنما هي معادلات قابلة أي استجداء واستعطاها أما أن يعطي أو لا يعطي فهذا بحث آخر، وهذه نكتة مهمة في جميع العلوم الطبيعية أنها علوم إعدادية، وهذا يشير له ابن سينا في إلهيات الشفاء.



## **المبحث الثامن: حجية الأنبياء والأئمة الموصومين**

البحث عن الحجية ذا مراتب وهي مجموعيه وليس انفكاكيه ومفككه عن بعضها البعض بل هي مجموعيه ومتراقبه، وفرق بين أن تقول الأخذ بأحدهما أو تقول الأخذ بكليهما فالحججه الأدنى لا تتقاطع ولا تتنافي مع الأعلى بل هي شعبه وفي ظل الأعلى وإنما تميز ما صورته حجه دانية عن ما هو حجه دانية واقعية، فميزان الحق من المبطل في المراتب النازلة تميزه بالمراتب العالية، من خلال أن الحق ينقاد وتابع وشعبه لما هو أعلى.

وهناك مثال تقريبي وهو بحث جانبي وهو أن كل الأنبياء يدعون لدين واحد أما اي واحد منهم عليه السلام شريعته المنسوخة لا يدعو لها فعيسي عليه السلام هو في زمانه كان يدعو إلى (أحمد) وليس انه يعزب عن الدعوة إلى سيد الأنبياء بل أن من فرائضه أن يدعو إلى سيد الأنبياء.

ولنا هنا مجموعة من الافادات المهمة بشكل مباشر وغير مباشر مع هذا الموضوع:

### الإفادة الأولى: التمييز وفق البديهيات العقلية:

على أي تقدير تميز الحق في المراتب النازلة عن المبطل هو بالانطباق بل حتى في العبودية والألوهية وهو كيف يميز الذي تحصل له مكاشفة أو مشاهدة فهل هذا الهمام رحمني ورباني أو انه الهمام شيطاني فانه قد بعض النفيات منبعها غبيي بينما هي من الشيطان وإنما نميزها ببديهيات العقل، إذاً بديهيات العقل تميز له الإله الحق من الإله المبطل كما في نمرود أو فرعون ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّيْهِ أَنَّ رَبَّهُ اللَّهُ الْمُلْكُ إِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُعْتَقِدُ وَيُؤْمِنُ بِهِ قَالَ أَنَا أَنْعَنُ وَأَمِينٌ قَالَ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّكَ اللَّهَ يَأْتِي فِي السَّمَاءِ مِنَ الْمَسْرِقِ فَأَتَى بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ قَبْلَهُ كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> فهذا في تميز الألوهية فقد يأتيك هاتف أو الهمام أو إيحاء شياطين وتميزه بالبديهية العقلية فبذلك أصبحت العقلية وهي المحكمات في الصدارة وبعدها المحكمات في فرائض الله وبعدها المحكمات في سسن النبي ﷺ وبعدها تأتي محكمات سنن المعصومين وبعدها تأتي محكمات توافقات الفقهاء فيها هو شرعي، إذاً حتى في الألوهية هناك من هو مبطل ومن هو حق وهو قابل للتتصوير.

### الإفادة الثانية: التمييز وفق نظام تراتبي:

إذاً هذه المراتب مجموعيه وفي في نفس مجموعيتها فيها انتظام تراتبي وهذا أمر مهم جداً لتميز هذه الأمور، ولذلك تميز كل حجة حقيقة عن حجة صورية هي بالحججة التي هي أعلى منها، بمعنى الحجة الكاذبة في صورة الحجة الحقيقة فمثلاً ربما تأتيك إيحاءات تظن أنها رحمنية

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

والبعض مثلاً يرى نور شعشعاني فيظن أنه الله مع الباري فالمقصود تمثل من الجن بشكل نور فيظن أنه الله ويلمس منه بعض الأمور بان يخبره أن غداً يقع كذا حدث أو الشخص الغلاني يضم لك كذا وترأها مطابقة للواقع، ومثل هذه الأمور قد يعطي من الجن فيما إذا صار رئيس فرقه ضالة مثلاً وليس لكل أحد وإبليس بنفسه يريد رئاسة وزعامة ولا يريد عليه زعيم، إذاً قد ترى أنهم ينبعون بمعنيات وأن الشيء الغلاني موجود في كذا مكان أو بوقوع حرب عن قريب ستتحقق وهذه أمور ليست بغبية وإنما حقيقتها هي أمور خفية فأنت لو كان عندك جهاز كاشف لعرفتها ونحن ليس عندنا بينما الجن عندهم مثل تلك الأمور تبعاً لتكوينهم، ولا دلالة فيها على الأمور الغبية والملكونية أو أنها من لوازم مقامات إلهانية مثلاً، وما سيق أيضاً ليس له دلالة بينما البعض يتصور أن له دلالة، علماً أن الكهنة هذه هي أدوارهم، والقرآن لم ينفي أن الجن يسترق السمع بل قال ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ ﴿إِلَّا مَنْ حَطِفَ الْحُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ لا انه لا يخطف فيتبعه شهاب يصيه أو لا يصيه وقد يدللي بالمعلومة إلى جنبي آخر قبل أن يحترق، إذاً هذه تدلل أن هناك اختلاف لبعض السمع، حتى في قوله ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ موجبة جزئية للصدق.

### الافادة الثالثة: التمييز يكون من خلال الحجة الأعلى:

إذاً هذه الأمور كيف أميز بينها أنها حجة واقعية أو ليست بحجية؟، أميزها بالحجية الأعلى، ولو فرض أن الترديد في الحجة فال أعلى إلى أن تصل إلى البداية، وهذه نكتة وضابطة مهمة في تمييز الحجج وفرز ما هو سقيم منها وما هو صوري منها عن ما هو حقيقي. ومر بنا أن الذي يحصل عند الأنبياء هو في مرحلة الخيال أما ما فوق الخيال فليس لديهم قدرة كما في قوله ﴿يُنَخِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سُحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾، ومر بنا أن تزيين الشيطان في غير المعصوم لأنهم يستطيعون التسلل إلى

العقل وطبيعة وجودهم هو وجود لطيف لا يرقى إلى العقل الكامل وإن كان لديهم شعبة من العقل الجزئي فطبيعتهم وحركتهم في عالم اللطافة في الخيال والأجسام وفي الخيال لديهم قدرة عجيبة أما في عالم العقل لا يستطيعون التسلق ﴿إِلَّا عِبَادُكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ فليس هذا ترحم وتعاون من إيليس بل انه لا يستطيع فهذا تخصص وليس تخصيص.

#### الافادة الرابعة: حجية المعجزة العلمية أعمق من المعجزة العملية:

قيل عن بعض الأدعية لمقامات السفارة مع قدرتهم على السحر لكن إذا أتيته بمبحث عقلي ﴿فَهُمْ أَلَّذِي كَفَرُوا﴾ لا يخرج من ذلك راس خيط، لذلك ما يدعونه من معاجز دوماً لا قيمة لها، ولا حظ رغم ذلك أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمعجزة علمية، وليس كشف خبر بل مسألة علمية وبرهان ساطع، بل يأتيك بأجساد وصور وتماثلات وهذه لا قيمة لها لأنها تشتبه بين السحر والتخيل وبين الحقيقة فلا وقع ولا خطب ولا شأن لها، بل المدار على الحقائق العلمية العالية، لذلك المتكلمون والحكماء قالوا بان اصحاب الالباب ينقادون إلى المعاجز العلمية كمعجزة سيد الأنبياء أما المعاجز العملية احياناً بعض منها تلتبس بالشعبنة والتحليل السحري، لكن في الأنبياء هي بنحو محطم وغالب لأقوى واعتى السحرة فمن ثم صارت معجزة، ولو أتى شخص عادي ويرى عصا موسى ويؤمن بموسى فلا يؤثر كثيراً بينما أول من امن بموسى هم اسحر السحرة لا عموم الناس، لأن أولئك في أنفسهم يصنعون المزيف وبالتالي هم يعلمون الحقيقي من المزيف كذلك في أمور الطب وغيره حينما عجز الاطباء امام معاجز عيسى عليه السلام.

ومع أنهم جاءوا بسحر عظيم واستهلاوا الناس وقد وصف القرآن سحرهم ﴿وَجَاءُهُمْ وَيُسْعِرُهُمْ﴾

عَظِيمٍ ﴿١﴾ ولذلك العجزة العملية لا يأبه بها الحكام من جهة أن التمييز فيها صعب لا انه ممتنع، بخلاف المعاجز العلمية فلا سبيل للشياطين والجن إليها وتميزها يكون سهل، ولذلك إذا شاهد بعض الكرامات إذا كانت عملية فلا باس بها لكنها غير الكرامات العلمية.

#### الإفادة الخامسة: آثار العلم في النشأت أعمق من آثار العمل:

مررنا أن المرحوم الشاه أبيادي وكان يعظم المرحوم المجلسي فيفسر هذه الرؤية ان الكتب العملية التي للعلماء قد جزءها لا يت彬 في البرزخ أو الجنة أو الآخرة، لأن العلم جزءه أعظم من نفس أجسام الجنة، فالعلم جزءه ﴿فِي مَقْعِدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنْ اللَّهِ أَكْبَرٌ﴾ أما في البرزخ فتظهر آثار الأعمال من صلة رحم أو تصدق بالمال على شخص مدقع أو رأفة بضعف أو ربما تشاهد شخص في البرزخ سيء الحال وشخص حسن الحال ولكن في الآخرة له مقام سيء الحال فيختلف فلا تتتعجب منه وهذا ليس إغراء في التساهل في الجانب العملي كلا ولكن جانب العلم جزءات أكبر وهذه مشاهدة حول أحوال أهل البرزخ وهي موجودة في الروايات فتمر على أهل البرزخ وأهل المحشر أحوال مختلفة وعقبات مختلفة فقد تجد إنسان في عاقبة حاله هناء وفي عاقبة حاله سيء ونکد فتراته في فترة فرح مسرور وفي فترة نکد مغموم، والأعمال مهمة ومؤثرة في هذين العالمين ولكن العلم اثره أعمق وجزءه أعظم، بل حتى في دار الدنيا بعض الأعمال يشاهدها الإنسان لكن العلم مقامه أعظم، ولكن لا يعني هذا عدم الالكترواث بالأعمال ولكن ضرورة وأهمية اقتران الأعمال بالعلوم والعلوم بالأعمال.

#### الإفادة السادسة: حجية القرآن كمعجزة علمية أعمق:

وعلى أي تقدير أحكام كثيرة يمكن التمييز بينها بين مقام العلم والعقل ومقام الأجسام والأعمال، ومنها سلطان وسيطرة الجن أو الشياطين أو السحر أو الشعبدة وكيف تمييزه عن المعجزة العلمية، ومن ثم كان القرآن أعظم معاجز الأنبياء لأنه في الأول والأصل معجزة علمية قبل أن يكون عملية، ولذلك أحد الآليات المهمة في تمييز الحق من البطل سيما أصحاب الشعبدة والسحر والأدعية كما يظن البعض في مرتابه باستطاعته أن يخبرك عن الأشياء ولكن لو طرحت عليه مسألة علمية معقده تراه يتراجل وهذا يميز الحق من البطل كما في مسائل التوحيد أو الجبر والاختيار والميز بينها وهكذا بحوث معرفية أو تفسيرية لا ترتبط بالجسم والأجسام، أو بحوث مكارم الأخلاق كيف يصل إليها وقراءة البحث بلفاظه غير ما يقرأه بمعانيه أو يشعب من معانيه شبكة فحتى لو قراءه بهذا المقدار لكنه إذا أشكلت عليه تراه يتراجل، ولذلك لهذه البحوث العلمية القرآنية حجيتها أمر مهم جداً وإلا والتماثل والسرور والصور ما هي إلا أمور بسيطة فأصعب شيء عليهم هو العلم بل حتى البحوث الأخلاقية الدقيقة لا يمكن أن يصل إليها الجن.

#### **الإفادة السابعة: تمييز صاحب الحجية وفق الوقار والسكنينة:**

وهناك آلية علمية وعملية جيدة للتمييز حيث يسأل زرارة «كيف عرف النبي' أن الآتي الذي يأتيه هو عن الله لا عن الشيطان؟»، (وهذا السؤال يدل على علمية زرارة الكبيرة فإلى جانب كونه فقيه كان متكلماً نحرياً أيضاً) فقال له: عرف أن الآتي الذي يأتيه انه جبرائيل لا الشيطان بالوقار والسكنينة».

وقد روي «قيل للصادق عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله ﷺ فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك مما يترغبه الشيطان؟ .. فقال: إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان يأتيه من قبل الله عز وجل مثل الذي يراه بعينه»<sup>(١)</sup>.

فالجن والشياطين حتى المؤمنين منهم يصعب عليهم أن يكونوا وقورين في الأخلاق ويصعب عليهم السكينة فان طبعهم ناري، والحدة فيبني ادم هي بسبب الجن، وعندما تزوج ابن ادم قابيل من جنية بعد ذلك صار تزاوج بين نسل هذه الجنوية وبين نسل الحورية فالسكينة والوقار من الحورية فلما امترجت الزيجات صارت الحدة والخرق موجودة، فمشية الجن وأجسامهم وتكلمهم وإيحاءاتهم وحديثهم عبارة عن فز وأذ فدوما حالة شدة وحركة سريعة ودفعيه فيها افتراز وفيها اشتغال.

#### الإفادة الثامنة: عدم السكينة والجنون تنافي الحجية والاتزان:

إذاً من بنا ضابطة تمييز حجة الأدون بالحججة الأعلى وضابطة أخرى وهي العجزة العلمية وضابطة ثالثة هي التمييز بمكارم الأخلاق، فمكارم الأخلاق من السكينة والوقار وسکينة المنطق والمشي وسکينة الهدي النابعة من السيطرة الحقيقية على النفس والرغبات والهوى فهذه ممتنعة عند الجن وحتى المؤمن منهم بخلاف الجانب الرحماني.

وانظر إلى شعب أغصان الحدة أو الخرق أو الاضطراب أو الرقص والغناء وفي الجنون فإن فيها حالة سكرة اضطراب وحركة شديدة بينما الحزن بسکينة الذي ليس بجزء وسخط هو

---

(١) تفسير العياشي ص ٢٦٢.

سكون فقد تشاهد مرتاض عنده سكينة ولكن في الآخر تراه يضطرب بالجنون وهذا واضح فيه انه ليس رحمني، ولذلك الشيطان من السلطان فان فيها نوع من الاضطراب والحدة والاندفاع واللاسكون، أما جانب السكينة والوقار والهدوء والحلم وهذا ليس فقط في الجسم بل السكون في المنطق والآراء وفي الصفات النفسانية وكل هذه درجات سكينة ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ أو في معركة حنين ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، وانظر انه سمي النفس الرحافي بالسكينة في مقابل ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ فيها أوار واشتعال وتلون وعدم الثبات واضطراب وهذا جانب شيطاني، أما جانب الرحافي فهو جانب سكينة.

وفرق الشعر عن القرآن فان الشعر فيه اضطراب وزن ونغمة، بينما الذكر فيه هدوء وسكينة، والفقهاء عندهم المجنون حرام فكل ما أو جب سكرة العقل حرام، فانه يمنع العقل عن السكون، الان تلاحظ من يتفرج على لعبة كرة قدم واللعبة ليست فعل جدي فيتقايلون وتصيبه سكتة قلبية فلا يلاحظ هذا فيه مجنون، وكان احد المجتهدين يحرم هذه الحالة وليس اصل لعبة كرة القدم وإنما التي هي في النادي والتي فيها انتءاءات وولاءات زائفه كاذبة فالتفرج عليها حرم والمجتهد هو الشيخ أهلاجري قدس وتجيئه لطيف فان فيها مجنون تسکر العقل، وهذا ليس من باب المصالح المرسلة وإنما من باب عنوان المجنون الذي أتى في الأدلة واللهو، فهناك مقاييس كاذبة صورية زائفه لا معنى لها ولو الان الدول السياسية توظفها لغايات قد تكون حسنة من حمية وتعزيز الهوية الوطنية ولكن هذه الوسيلة كاذبة وخاطئة، وان كان في بعضه موجبة جزئية فبعض ما محرك ومهيج قد يحلله الشرع ويستخدمه ويوظفه ولكن بقدر صارم دقيق وعينة مضيقه لا بشكل مرسل.

### الافادة التاسعة: أثر الحزن والرفق في التعقل والاتزان:

الجانب الرحmani شعاره السكينة والذكر «القرآن نزل بحزن فاقرعوه بحزن» والحزن إذا لم يكن من شيطان و يؤدي إلى اضطراب واستفزاز وبالتالي عدم قناعه او قنوط ، فالحزن سيكون ذكر وعقل وتعقل وهداؤة للقوى الحيوانية في الإنسان، وأما الفرح والطرب هو ترف وإثارة القوى الحيوانية في الإنسان، وقد تجد من يقول لماذا كل شعائر الحسين حزن في حزن فالحزن إذا تحمله الإنسان وهو في نفسه ترشيد عقلي وكبح لنزو الشهوات، والتزو بمعنى القفز والاندفاع والاشتعال والحزن طبيعته يعني يستل فتيل الشهوات بشكل قاتل وصارم بخلاف الفرح والطرب فيسرها بشكل مشعل ، والحزن بيئه للذكر ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ وبيئة القرآن الحزن فيئه إخاد وتهدهة الغرائز بشكل معقول فيئه الحزن هي بيئه الذكر والتعقل والعقل ، والرفق مأخوذ من اللين وسمى الرفيق رفينا لأنه يرفق بصديقه، وان الله رفيق يحب الرفق في الأمور كلها وهذا كله من شعب السكينة، وأنعجب للأخلقين عندما لم يقولوا أن من أصول الأخلاق السكينة ولم يركزوا عليها كثيراً كغيرها بينما قالوا الكرم أو العفة والسخاء والشجاعة والعلم، بينما السكينة شيء عظيم وهي مظهر عملي كبير جداً، وليس من الضروري أن يكون الشجاع متهمور بل يكون رابط الجأش، وفي وصف أمير المؤمنين في الزيارة «كان شديد الغضب عظيم الحلم».

ما وضع اللين والرفق على شيء إلا زانه وما وضع الحدة والخرق بمعنى الاندفاع على شيء

إلا شانه، فاللذين صفة طبيعتها فيها جانب من شعب السكينة فالسکينة نستطيع أن نقول أنها من الأخلاق الإلهية لا فقط مكارم الأخلاق الإنسانية فإذا كانت لدينا أخلاق إنسانية فهناك أخلاق إلهية والتي هي أعظم من مكارم الأخلاق الإنسانية ومكارم الأخلاق الإنسانية تتشعب من تلك الأخلاق الإلهية وهو بحث مهم اعتمدته بعض أهل المعرفة في كثير من تفاصيل تعاليمهم يتناول مستوى عالي من تهذيب النفس وسيرها في طريق التكامل، وعندنا في الروايات المؤمن غالباً ليس عبوس بل هش بش وحزنه في قبليه لا في وجهه بينما الكافر أو المنافق فحزنه في وجهه وفرحة في قلبه، فالحزن أجعله بقلبك كي تهدى فيه الغرائز ومن الأمور العجيبة الماسكة لزمام الغرائز هو الحزن، واحد أسرار الشعائر الحسينية هي هذه وهي أن تقلب الشخص والشاب المتهور الغارق في الشهوات إلى حكيم ونزيه ووقور وعفيف بالحزن فتقطع وتخرص شقشقة الشياطين بهذه الشعائر وهذا أحد أسرار المشهد النفسي لشعائر سيد الشهداء والمشهد الروحي هذا من أسراره، فالحزن يرميك عن علاقتك الغرائز ويجعل بينك وبينها بما وتسخي بها.

وإحصائياً في عاشوراء تقل الجريمة كما في شهر رمضان بسبب السكينة والمهدوء لأن الإشباع يفجر الغرائز بينما الصيام يستل فتيل الغرائز وأيضاً يسبب هدوء الأعضاء والميول والرغبات بسبب، ولذلك عندنا الشبع بأأس القرىن للإيمان والجوع نعم القرىن للإيمان لأن الشبع والترف مقترن بالغريرة.

#### **الافادة العاشرة: التمييز في الحجية من خلال مكارم الأخلاق:**

إذاً هذه ضابطة أخرى للتمييز بين المعجزة الحقيقة والمعجزة الصورية وعلامات الحجة

الحقيقة عن الحجة الصورية وهو الامتياز بالسكينة، ومكارم الأخلاق هو مائز رابع وهي ترجع إلى الفطرة والبديهة، فإذا كان هناك ما يدعو إلى ردائل الأخلاق التي يحكم بها العقل والفطرة فمن الواضح أن هذا ليس سبيل حق ولا صراط حق، وكما في الروايات هناك رسول ظاهر ورسول باطن ففي الحديث: «العقل رسول باطن، والرسول عقل ظاهر»<sup>(١)</sup>.

والميرزا ألقمي في القوانين يعبر عن الفطريات بالوحى الفطري، فقد غرز الباري في ذوات المخلوقات الفطرة وقد نستفيد ذلك من قوله تعالى ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فكل هذه لها فطرة، أو ﴿فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ لذلك نرى المهدى يستنكر بفطرة على قوم بلقيس ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لُهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فمكارم الأخلاق أيضا هي ضابطة للتميز في الحجية الحقيقة من غيرها.

هؤلاء من تنظيم القاعدة أو أدعياء السفاراة إذا كان المجنون خلقهم وإذا كان انتهاك الأعراض خلقهم كيف يكون مسارهم مسار حق لأن مسار الحق عبر مكارم الأخلاق وليس ردائل الأخلاق، وهذا تميز بالحجية الأولى وهي البديهيات. إذاً الباري تعالى وضع للإنسان ضمانات أمان وضمان للبصائر يميز فيها بين الباطل والحق.

وننصح القارئ الكريم بمراجعة دعاء مكارم الأخلاق ومرضي<sup>(٣)</sup> الأفعال للإمام السجاد<sup>(عليه السلام)</sup> في كتاب (الصحيفة السجادية).

### سلطان

(١) المنطق الإسلامي - محمد تقى المدرسي.

(٢) سورة النمل: الآية ٢٤.

**الافادة الحادية عشر: العصمة والاصطفاء تلازم الحجية وفرقها عن بعض المقامات الأخرى:**

من صرح في القرآن او النبي<sup>ﷺ</sup> بعصمه من الواضح أن هذا تصريح بحجيته لأن في حكم العقل بيان عصمة شخص من قبل السماء نوع تصريح بحجيته لأن من حكمة وغايات العصمة السداد والاقتداء به في سداده أو الاحتجاج به فيكون التصريح بالعصمة هو تصريح بالحجية، ولذلك بينما أن الحجية المصطفات اعم أقسام الحجية وهي نوع اصطفاء، وداخل هذه الحجية المصطفات أقسام والحجية المصطفات بالمعنى الاعم شاملة للنبوة وللرسالة ولكن الحجية المصطفات لا يبعد أنها ذات أقسام عديدة.

مثلاً مريم<sup>عليها السلام</sup> ليست بنيه ولا أمام ولا رسول ولكنها حجة مصطفات ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَعْمَرِيمُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَاكِ وَأَطْهَرَنَا وَأَصْطَفَنَا عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤٤)</sup> مثلاً الوصاية مع الإمامة متلازمة أو الوصي احد شؤون الإمامة وهذه كلها بحوث بكر تحتاج إلى تحقيق وتنقيب وغور كثير من قبل الباحثين لبيان الاوجه الصحيحة منها، فهل كل أمام وصي أو الإمامة اعم، مثلاً لدينا مطهرين ولكن لا يعبر عنهم بالأئمة ولا أوصياء، وعلى كل هي مقامات إلهية عديدة الآن هذه الشؤون المختلفة هل تتلازم مع أقسام أو قد نشاهد هذه الأقسام في شخص من دون تلازمها مع ذلك القسم، وبالتالي الضابطة الصناعية يلتفت إليها وهذه كلها بحوث بكر لم ينقب فيها بشكل مبسط وهي حساسة و مهمة.

مثلاً التعبير عن بعض أولاد الأئمة أو ابن النبي عليهما السلام «لو كان ابني إبراهيم حياً لكاننبياً»

فقد ورد عن مقسم عن ابن عباس قال:

«لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال إن له مرضعاً في الجنة ولو عاش لكان صديقاً نبياً ولو عاش لعنت أخوه القبط وما استرق قبطي»<sup>(١)</sup>.

وفيزيارة الواردة على تقدير كونها متن روایة ففيها إشارات من النسمة الطاهرة وقطعها هي نسمة طاهرة، ونفس تعبير النبي 'في إبراهيم رواه الفريقان وهو يدل على الطهارة والعصمة، وهذا في أي شأن مع انه ليسنبي بالفعل، أو التعبير في وصف الطاهر والقاسم من أبناء النبي ' فقد وصفوا بالطهارة أو على الأكبر وصف بالطهارة فيزيارة

جاء فيكتاب (مصابح الزائر) لابن طاووس قال: وتأتي إلى رجلي الحسين فتفق على علي بن الحسين وتقول:

«السلام عليك أيها الصديق الطيب الطاهر، والزكي الحبيب المقرب، وابن ريحانة رسول الله. السلام عليك من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته. ما أكرم مقامك، وشرف منقلبك. اشهد لقد شكر الله سعيك، واجزل ثوابك والحقك بالذروة العالية، حيث الشرف كل الشرف، وفي الغرف السامية في الجنة فوق الغرف، كما من عليك من قبل وجعلك من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

مع انه لا يمتلك وصاية ولا إمامية ولا نبوة، أما الاصطفاء فلماذا؟، فان ظاهر كثير من الروايات أيضا اصطفاء خاص، أيضا مثل من بدا في إمامته محمد العابد ابن الإمام الهادي

والقاسم ابن الإمام موسى بن جعفر كما في الرواية، وعلى أية حال هؤلاء من أبناء الأئمة، وبالنسبة إلى الخضر لم يعبر عنهبني ولا وصي ولا أمام ولكن عبر عنه بالعبد فهناك اصطفاء فهو ولد ولديه ولاد اصطفائية وكانت له حجية، أما لقمان شيء آخر، إذاً هناك شؤون للحجية أو للإمامية أو للاصطفاء هذه الشؤون تكون منفردة وتبرز وتبين في بعض الأفراد ليس بعيداً أن تكون موجودة، فالحصر ليس هو بتبي نهائياً بل هو قابل للبحث والتدبر والفحص.

الآن ما ورد في سلالة إبراهيم في النبي إسماعيل إلى أن يبعث سيد الأنبياء والروايات تدل أن لهم درجة من الاصطفاء جلهم فمجموعه الآيات في ذرية إسماعيل تشير إلى ذلك وقد جمعنا الآيات في الإمامة الإلهية، فهم أمة مسلمة وكلمة باقية في عقبه ول يكونوا شهداء على الناس وتوجد أيضاً تعبيرات عديدة، وحتى ورد في الروايات أنهم أوصياء مع أن الوصاية لها درجات واختلافات، فوصي بكل النبوة ووصي لكل المواريث وهناك وصية خاصة إلهية، وهذه أمور قابلة للبحث. ولذلك التعبير «أني لم أخلو أرضي من حجة ولو لا الحجة لساحت الأرض بأهلها».

وروى عنه عليه السلام قال:

«لو بقيت الأرض يوماً واحد بلا إمام لساحت الأرض بأهلها، ولعذبهم الله بأشد عذابه.. إن الله تبارك وتعالى جعلنا حجّة في أرضه وأماناً في الأرض لأهل الأرض، لن يزوالا بأمان من أن تسيخ بهم الأرض ما دمنا بين أظهرهم، فإذا أراد الله أن يهلكهم ثم لا يمهلهم ولا ينظرهم، ذهب بما من بينهم ورفعنا إليه، ثم يفعل الله تعالى بهم ما شاء وأحب»<sup>(١)</sup>.

(١) الكافي ١: ١٧٩، الحديث ١٢) كتاب الحجّة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إما ظاهر مشهوراً، وإما خائفاً مغموراً»<sup>(١)</sup>.

أما قضية لقمان والحكمة فهذه مقامات لا ترتبط بالحجية يقول الله (عز وجل): ﴿يُؤْتِي  
الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup> وعقد الباري سورة كاملة في لقمان ولكن لم يبين أن قول لقمان حجة لأن له مقام محدد وإنما ما يبينه لقمان متضمن للبرهان وللدليل لا لأن لقمان ولاية أو حجية، وظاهر الآيات أن مقام الحكمة يمكن أن يكتسب، فـ «لا نبي بعدي» والإمامية بالنص الصحيح والعصمة بالنص الصحيح أما الحكمة فيمكن أن تكتسب والباب مفتوح لها، ومقام الصديقين لا يعني الحجية ولا الاصطفاء الخاص مع انه عطية لدنية ولكن لا يعني الحجية فالمقامات الغبية عديدة و موجودة ولا ربط ولا اختصاص لها بالحجية، وكما في قوله ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَدَهُ، مَا يَتَّهَمُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَّلِكَ بَخْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فمن يصل إلى مقام الإحسان يؤتي حكم وعلم.

#### الإفادة الثانية عشر: حول حجية الفقيه مقابل أقسام أخرى:

وقد يشكل أن الفقيه لتفقهه فهو حجة ظاهرية فلم إذا الحكيم الذي يؤتي الحكمة لدنيا كما قال تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

(١) إكمال الدين وإنعام النعمة: ٢٠٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

(٣) سورة يوسف: الآية ٢٢.

{البقرة/٢٦٩}، قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لِقَمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعِبادٍ﴾ {لقمان/١٢} .

والصديق الذي قال فيه الامام الصادق عليه السلام :

(إنّ أولي الألباب الذين عملوا بالفكرة، حتى ورثوا منه حبّ الله، فإنّ حبّ الله إذا ورثه القلب واستضاء به أسرع إليه اللطف، فإذا نزل اللطف صار من أهل الفوائد .

فإذا صار من أهل الفوائد تكلم بالحكمة، وإذا تكلم بالحكمة، صار صاحب فطنة، فإذا نزل منزلة الفطنة عمل في القدرة، فإذا عمل في القدرة عرف الأطباقي السبعة، فإذا بلغ هذه المنزلة صار يتقلب في فكري بلطفٍ وحكمةٍ وبيان، فإذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبته في خالقه .

فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرى، فعاين ربه في قلبه، وورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء، وورث العلم بغير ما ورثه العلماء، وورث الصدق بغير ما ورثه الصديقون .

إنّ الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت، وإنّ العلماء ورثوا العلم بالطلب، وإنّ الصديقين ورثوا الصدق بالخشوع وطول العبادة، فمن أخذه بهذه المسيرة إما أن يسفل وإما أن يرفع، وأكثرهم الذي يسفل ولا يرفع، إذا لم يرع حق الله ولم يعمل بما أمر به .

فهذه صفة من لم يعرف الله حق معرفته ولم يحبه حق محبته، فلا يغرنك صلاتهم وصوماتهم وروایاتهم وعلومهم، فإنهم حمر مستنفرة !...﴾<sup>(١)</sup>.

فالفقية حجته ظنية ظاهرية وليس حجية معصومة ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَنْفِرُوا كَآفَةً فَلَوْلَا

(١) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر للخراز: ص ٢٥٣.

نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرَقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَنْفَقُهُوا فِي الْدِينِ وَلِيُشْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ

(١) فإذا كان الناس يحدرون من تفقهه في الدين وحجته ظنية قد تخطئ وقد تصيب فكيف

بمن يؤتى الحكمة، ومعرفة انه يؤتى الحكمة هو عن طريق أخبار المعصوم، فيخبر أن سليمان قد أُتي الحكمة روي:

( دخلت على الصادق عليه السلام أنا وأبي فقال له: أمن قول رسول الله عليه السلام سليمان رجلٌ من أهل البيت؟ .. فقال : نعم، فقال : أي من ولد عبد المطلب؟ .. فقال : منا أهل البيت، فقال له : أي من ولد أبي طالب؟ .. فقال : منا أهل البيت، فقال له : إني لا أعرفه، فقال : فاعرفه يا عيسى! .. فإنه منا أهل البيت ثم أومأ بيده إلى صدره .

ثم قال: ليس حيث تذهب، إنَّ الله خلق طيتنا من عَلَيْنَ، وخلق طينة شيعتنا من دون ذلك، فهم منا، وخلق طينة عدونا من سَجِّين، وخلق طينة شيعتهم من دون ذلك، وهم منهم، سليمان خير من لقمان<sup>(٢)</sup>.

وهب انك ذهبت إلى البرزخ والتقيت بسليمان أو رجع سليمان في الرجعة ومعه حكمة مع انه فقيه، والفقه ليس فقط في الفروع ولذلك في بحث الاجتهاد والتقليد في تفاصيل العقائد قابل للتصوير وعموم الأدلة خلافا لما يقال وليس على المسائل المتوقفة على اليقين بل المسائل المتوقفة على الظن المعتبر.

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(٢) بصائر الدرجات: ص ٣٣١.

فالذى يشهد له القرآن بالحكمة أو انه صدّيق أو انه أهل الفراسة أو انه أهل العلم بالمنايا والبلايا، فهذا لا تكون له نمط حجية ولو ظنية. أما بنا العادل أن كان عن حس يكون حجة أما إذا كان من حدس فيدخل في الفقاهة، والكلام إذا كان عن الغيب فنقوله كراوي حجة ونقله كفقيه حجة ونقله كحكيم متضمن كلامه للبرهان هو حجة كسلمان أو لقمان.

وأهل التقوى وأهل الفراسة أو التوسم هؤلاء حجتهم علمية أي ينبهون على نكات علمية هي في نفسها إقامة للحجية ولا ريب في ذلك باعتبار هنا أوجد لك العلم والدليل والكلام لو لم يتلقى الإنسان منه علم ولو من كلامه إلى دليل ولم يلتفت إلى البرهان فهل لهم حجية تعبدية أو لا؟، أما الفقيه سواء في الفروع أو المعرف فهو يستند إلى روایات كتاب وسنة والى قول المعموم، والآخر لا يستند إلى قول المعموم بالطريق الحسي.

نعم النواب الخاصين فالنائب الخاص له مقام حجية ولكن يختلف سُنْخَا عن مقام حجية الفقيه أما قول الحكيم أو الصديق والقول بـأن هذه حجية تعبدية من دون أن نستبين الدليل من كلامه فهذا يحتاج إلى بحث.

إجمال الكلام:

هذه بحوث وأقسام تحتاج إلى إثارة وبحث، ثم هل أن كل مدح دليل الحجية للراوي أم لابد من دليل على الحجية كما أن القرآن يمدح الرواية مثلاً ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فهل هناك حجية مطلقة للراوي أو لابد من دليل خاص فصرف المدح أمر آخر، فصرف الفضائل لابد أن تقرأ بقراءة قانونية وقراءة فقهية وقراءة صناعية لكي لا تكون معارف

الفضائل للمعصومين مجرد مدح، وقصر الفضائل على مدائح وثناء هذا نوع من التسطيح بل يجب التعمق فيها كمقامات.

### الإفادة الثالثة عشر: حجية الله فوق كل الحجج:

الأنبياء والأولياء والأوصياء حجتهم دون حجية فرائض الله عز وجل، ثوابت فرائض حجية الله هي فوق حجية الأنبياء، لأن الخطاب ﴿أطِيعُوا اللَّهَ﴾ مخاطب به الجميع ابتداءً من سيد الأنبياء ثم الأئمة ثم بقية الناس وخطاب ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ مخاطب به الأئمة ثم الأنبياء ومن ثم الناس، فطاعة الله أو ولادته وطاعته وحجية الله هي فوق حجية ولادته وطاعة سيد الأنبياء والأئمة، وهذا يستلزم بان فرائض الله المحكمة هي ميزان وضابطة لصدق أي نبي من أنبياء الله فإذا كاننبي من أنبياء الله يتعدى ثوابت فرائض ودين الله فهذا يكتشف انه ليس من أنبياء الله كما هو الحال في مسلمة الكذاب ، أما أنبياء الله فيعلم صدقهم بتتوسط إتباعهم لفرائض الله تعالى ولدين الله تعالى، لأن فرائض الله تعالى القطعية الثابتة هي فوق صلاحية الأنبياء أو أن صلاحية الأنبياء هي دون هذه الفرائض، فعلم حجية الأوصياء أو حجية الأنبياء في دين الله هو عالم منظم ومرتب لذلك لا يستطيع آت ويقول أستطيع أن ارفع وجوب الصلاة بل حتى الأنبياء لا يستطيعون ذلك، لأن الصلاة من الدين أما التفاصيل والأجزاء والشرائط فهذا أمر آخر، فاصل فريضة الصلاة والصوم والحج والجهاد كل الأنبياء يبعثون بها، فلا يستطيع النبي عيسى رفع الجهاد كما ينسب إليه زورا من قبل النصارى انه يرفع الجهاد كيف يرفعه وهو من الدين وليس من سنن الأنبياء كي تنسخ أو لا تنسخ، وكثير من الباحثين يتخيلون ذلك والحال انه غير صحيح، ولأن الجهاد من فرائض الله القطعية من الدين وليس من الأمور الظنية والقطعيات

غير مختصة بنبي من الأنبياء وليس فقط عن سيد الأنبياء فكل سلسلة الأنبياء لها حجية وما يمكن زعزعة هذه الحجية.

نعم حجية سيد الأنبياء فوق حجية بقية الأنبياء وحجية الله فوق حجية سيد الأنبياء.

#### الإفادة الرابعة عشر: حجية الإدراك العقلي:

وأدراكتنا العقلي هو مبدأ الأمور كما في بيانات القرآن وبيانات الروايات، فإذا كان أمر ثابت عقلاً فلا يمكن افتراض أن دين الله وفرائض الله تتخطى هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لأن تعامل الله مع خلقه هو بتوسط العقل فكيف يتم التعامل سلباً مع شيء هو الذي قادنا وهدانا إلى الباري تعالى وأودعه الله فيما لكي يهدينا إلى الباري، لا يعني هذا أن حجية العقل فوق الله ولكن المعرف لنا والهادي لنا إلى العقل والفطرة وليس معنى ذلك فوق حجية رسول الله، بل بمعنى هي المبدأ الذي تعرفنا به على الله ثم على رسوله وهذه هي الفطرة، أما أن دين الله فلا يصاب بالعقل فهو هذا في التفاصيل، أما أصل التوحيد واصول ضرورة الدين فهذا بالعقل ولذلك في رواية الكافي عن الصادق<sup>ع</sup> (في كتاب العلم والجهل) مبدأ الأمور معرفتها بالعقل إلا أن العقل حيث رأى أنه محدود ولا يدرك التفاصيل علم أن العقل يحتاج إلى العلم والعلم إنما يأتي من الوحي عبر رسالات السماء ليعلم مراضي الله عن موارد سخط الله عز وجل، وهذه مراتب في الحجية لا يمكن أن تتخطى عن بعضها البعض فكيف يأتيك دعي من الأدعية باسم الارتباط بالمعصومين أو أحد الأنبياء الذي نوع سفاره وارتباط غيبه فمثل هذا المدعى يتجاوز البديهيات العقلية باسم أنه من الغيب ،كيف ذلك؟، فإن الله يستدل على ألوهيته بالعقل ﴿لَيْسَ بِظَلَّمٍ لِلْعَيْدِ﴾ فإذا كانت

معرفة الله تعالى نصب لها طرقاً لمعرفة الألوهية وهو العقل فكيف يفرط بهذا الميزان، فتلك مجرد هلوسات وتغليظات وتلبيسات، وكذلك فرائض الله فتوحيد الله والمعاد وعدله وكما لا تعلم إلا الله والعبودية لله كلها يدركها العقل وفق استطاعته ومن يستحيل أن يأتي نبي من الأنبياء يقول لا توحدو الله.

ومن المناسب هنا واتماماً للفائدة نورد للقارئ الكريم وصية الإمام الكاظم عليه السلام هشام بن الحكم حول العقل فقد قال عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَشَّرَ أَهْلَ الْعُقْلِ وَالْفَهْمِ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ:

﴿فَبَنِّرْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ اُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

يا هشام: بن الحكم إن الله عز وجل أكمل للناس الحجج بالعقل، وأفضى إليهم بالبيان، ودَلَّمُ على ربوبيته بالأدلة، فقال: ﴿وَإِنَّهُمْ إِلَهٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٢)</sup> نَفَّذَلَ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَفَ الْأَيَّلُ وَالنَّهَارِ وَالْفُلَكُ الَّتِي بَخْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَاهُ أَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْهِبَتِهِ وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

يا هشام: قد جعل الله عز وجل ذلك دليلاً على معرفته، بأن لهم مدبراً، فقال: ﴿وَسَخَّرَ

(١) سورة الزمر: الآية ١٧ - ١٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٣ - ١٦٤.

لَكُمُ الْيَوْمَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرُ وَالثُّجُومُ مُسَحَّرٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لَّا يَدْرِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ<sup>(١)</sup>.

وقال: ﴿ حَمْ وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ<sup>(٢)</sup> .

وقال: ﴿ وَمَنْ آتَاهُنَا يُرِيكُمُ الْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعاً وَيُنَزَّلُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لَّا يَدْرِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ<sup>(٣)</sup> .

يا هشام: ثم عَظَّ أهل العقل ورَغْبَهُم في الآخرة، فقال: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ اللَّذَّارُ

الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُولُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ<sup>(٤)</sup> .

وقال: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرِزْقُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ<sup>(٥)</sup> .

يا هشام: ثم خَوَفَ الْذِينَ لَا يَعْقِلُونَ عَذَابَهُ، فقال عَزَّ وَجَلَ: ﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ<sup>(٦)</sup> .

يا هشام: ثم بَيَّنَ أَنَّ الْعِلْمَ مَعَ الْعِلْمِ، فقال: ﴿ وَتَلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا

(١) سورة النحل: الآية ١٢.

(٢) سورة الزخرف: الآية ١ - ٣.

(٣) سورة الروم: الآية ٢٤.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٣٢.

(٥) سورة القصص: الآية ٦٠.

(٦) سورة الصافات: الآية ١٣٦ - ١٣٨.

الْعَالَمُونَ<sup>(١)</sup>.

يا هشام: ثم ذمّ الذين لا يعقلون، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَبْيَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَلْوَبْلَ نَسْبِعُ مَا أَلْفَيْنا عَلَيْهِءَ أَبَاءَنَا أَلْوَكَاتَءَابَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿إِنَّ شَرَ الدَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الْأَصْمُ الْبَكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ثم ذم الكثرة، فقال: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

يا هشام: ثم مدح القلة، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ﴾<sup>(٧)</sup>.

وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٢.

(٤) سورة لقمان: الآية ٢٥.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١١٦.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٣٧.

(٧) سورة سباء: الآية ١٣.

(٨) سورة ص: الآية ٢٤.

وقال: ﴿وَمَا أَءَمَّ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾<sup>(١)</sup>.

يا هشام: ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر، وحلاّهم بأحسن الخلية، فقال: ﴿يُؤْتَى  
الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدَرِكُ إِلَّا  
أُولَوْ أَلْأَبْدِ﴾<sup>(٢)</sup>.

يا هشام: إن الله يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾<sup>(٣)</sup> يعني العقل.

وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾<sup>(٤)</sup> قال: الفهم والعقل.

يا هشام: إن لقمان، قال لابنه: تواضع للحق تكن أعلم الناس، يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفيتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل، وقيمتها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر.

يا هشام: لكل شيء دليل، ودليل العاقل التفكّر، ودليل التفكّر الصمت، ولكل شيء مطية، ومطية العاقل التواضع، وكفى بك جهلاً، أن تركب ما نهيت عنه.

يا هشام: لو كان في يدك جوزة، وقال الناس: لؤلؤة ما كان ينفعك، وأنت تعلم أنها جوزة، ولو كان في يدك لؤلؤة، وقال الناس: أنها جوزة، ما ضرك وأنت تعلم أنها لؤلؤة.

(١) سورة هود: الآية ٤٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

(٣) سورة ق: الآية ٣٧.

(٤) سورة لقمان: الآية ١٢.

يا هشام: ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعلّمُوا عن الله، فأحسنهم استجابةً لحسنهم معرفةً لله، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأعقلهم أرفعهم درجةً في الدنيا والآخرة.

يا هشام: ما من عبد إلا وملك آخذ بناصيته، فلا يتواضع إلا رفعه الله، ولا يتعاظم إلا وضعه الله

يا هشام: إن الله على الناس حجّتين، حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول.

يا هشام: إن العاقل، الذي لا يشغل الحال شكره، ولا يغلب الحرام صبره.

يا هشام: من سلط ثلاثاً على ثلات، فكأنما أعاذه هواه على هدم عقله: من أظلم نور فكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعاذه هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

يا هشام: كيف يزكي عنده الله عملك، وأنت قد شغلت عقلك عن أمر ربّك، وأطعت هواك على غلبة عقلك.

يا هشام: الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله تبارك وتعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورحب فيها عند ربّه - وكان الله - آنسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعزّه في غير عشيرة.

يا هشام: نصب الخلق لطاعة الله، ولا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العالم بالعقل.

يا هشام: قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود.

يا هشام: إن العاقل رضي بالذون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالذون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتكم.

يا هشام: إن كان يغريك ما يكفيك، فأدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغريك ما يكفيك، فليس شيء من الدنيا يغريك.

يا هشام: إن العقلاة تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض.

يا هشام: إن العقلاة زهدوا في الدنيا، ورغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ومطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبه الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبه الآخرة، ف يأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام: من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتضرع إلى الله في مسألته، بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً.

يا هشام: إن الله جل وعز حكى عن قوم صالحين، أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾<sup>(٨)</sup> حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها

.(٨) سورة آل عمران: الآية ٨

ورداتها، إنَّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يُصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحدُ كذلك إِلَّا من كان قوله لفعله مصدِّقاً، وسرُّه لعلاناته موافقاً، لأنَّ الله لم يدلَّ على الباطن الخفي من العقل إِلَّا بظاهر منه وناطق عنه.

يا هشام: كان أمير المؤمنين (عليه السلام)، يقول: ما من شيء عبد الله به أفضل من العقل، وما تم عقل امرأ حتى يكون فيه خصال شتى، الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، نصيبيه من الدنيا القوت، ولا يشبع من العلم دهره، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقبل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلَّهم خيراً منه، وأنَّه شرّهم في نفسه، وهو تمام الأمر.

يا هشام: من صدق لسانه زكي عمله، ومن حسنت نيتَّه زيد في رزقه، ومن حسن بره بإخوانه وأهله مدّ في عمره.

يا هشام: لا تتحموا الجھال الحکمة فتظلموھا، ولا تمنعوها أهلها فتظلموھم.

يا هشام: كما تركوا لكم الحکمة، فاتركوا لهم الدنيا.

يا هشام: لا دين لمن لا مروءة له، ولا مُرُوءة لمن لا عقل له، وأنَّ أعظم الناس قدرًا الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطرًا، أمَّا إنَّ أبدانكم ليس لها ثمن إِلَّا الجنة، فلا تبيعوها بغيرها.

يا هشام: إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يقول: لا يجلس في صدر المجلس إِلَّا رجل فيه ثلاثة خصال: يحيب إذا سُئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله،

فمن لم يكن فيه شيء منهنّ، فجلس فهو أحمق.

وقال الحسن بن علي (عليهما السلام): إذا طلبتم الحاجات فاطلبوها من أهلها، قيل: يا ابن رسول الله ومن أهلها؟ قال: الذين قصّ الله في كتابه وذكّرهم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَنْدَعُ كُوَافِرُ الْأَلْيَبِ﴾<sup>(١)</sup> قال: هم أولوا العقول.

وقال علي بن الحسين (عليه السلام): مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وأدب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولادة العدل تمام العز، واستشارة المال تمام المروءة، وإرشاد المستشير قضاء الحق النعمة، وكف الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً.

يا هشام: إن العاقل لا يحيّد من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنّف برجائه، ولا يتقدّم على ما يخاف العجز عنه.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يوصي أصحابه، يقول: أوصيكم بالخشية من الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكتساب في الفقر والغني، وأن تصلوا من قطعكم، وتعفوا عن ظلمكم، وتعطفوا على من حرمكم، ولتكن نظركم عبراً، وصمتكم فكراً، وقولكم ذكراً، وطبيعتكم السخاء، فإنه لا يدخل الجنة بخيل، ولا يدخل النار سخى.

يا هشام: رحم الله من استحيا من الله حق الحياة، فحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وذكر الموت والبلى، وعلم أن الجنة محفوفة بالنكارة، والنار محفوفة بالشهوات.

يا هشام: من كف نفسه عن أعراض الناس أقاله الله عثرته يوم القيمة، ومن كف غضبه

عن الناس، كفَّ الله عنه غضبه يوم القيمة.

يا هشام: إن العاقل لا يكذب، وإن كان فيه هواد.

يا هشام: وجد في ذؤابة سيف رسول الله: إن أتعى الناس على الله من ضرب غير ضاربه، وقتل غير قاتله، ومن تولى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله على نبيه محمد، ومن أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً لم يقبل الله منه يوم القيمة صرفاً ولا عدلاً.

يا هشام: أفضل ما يتقرّب به العبد إلى الله بعد المعرفة به الصلاة، وبر الوالدين، وترك الحسد والعجب والفخر.

يا هشام: أصلح أيامك الذي هو أمامك، فانظر أي يوم هو وأعد له الجواب، فإنك موقوف ومسؤول، وخذ موعظتك من الدهر وأهله، فإن الدهر طويلة قصيرة، فاعمل كأنك ترى ثواب عملك لتكون أطمئن في ذلك، واعقل عن الله وانظر في تصرّف الدهر وأحواله، فإن ما هو آت من الدنيا، كما ولّ منها، فاعتبر بها.

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: إن جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الأرض ومغاربها، بحرها وبرّها، وسهلها وجبلها، عند ولی من أولياء الله، وأهل المعرفة بحق الله كفيء الظلال - ثم قال عليهما السلام: أولا حر يدع هذه اللّماظة لأهلهما - يعني الدنيا - فليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبعوها بغيرها، فإنه من رضي من الله بالدنيا، فقد رضي بالخسيس.

يا هشام: إن كل الناس يضر النجوم، ولكن لا يهتدى بها، إلا من يعرف مخاريقها ومنازلها، وكذلك أنتم تدرسون الحكمـة، ولكن لا يهتدى بها منكم إلا من عمل بها.

يا هشام: إِنَّ الْمُسِيحَ الْمَهْدِيَّ قَالَ لِلْحُوَارِيْنَ: يَا عَبِيدَ السَّوْءِ يَهُولُكُمْ طُولَ النَّخْلَةِ، وَتَذَكَّرُونَ شُوكَهَا وَمَؤْوَنَةَ مَرَاقِيْهَا، وَتَنْسُونَ طَيْبَ ثَمَرِهَا وَمَرَافِقَهَا، كَذَلِكَ تَذَكَّرُونَ مَؤْوَنَةَ عَمَلِ الْآخِرَةِ، فَيُطْوِلُ عَلَيْكُمْ أَمْدَهُ، وَتَنْسُونَ مَا تَفَضَّلُونَ إِلَيْهِ مِنْ نَعِيمَهَا وَنُورِهَا وَثَمَرِهَا.

يَا عَبِيدَ السَّوْءِ نَقَوْا الْقَمْحَ وَطَيْبَهُ، وَأَدْقَوْا طَحْنَهُ تَجْدُوا طَعْمَهُ وَيَهْشِكُمْ أَكْلَهُ، كَذَلِكَ فَأَخْلَصُوا إِلَيْانَ وَأَكْمَلُوهُ، تَجْدُوا حَلَاوَتَهُ وَيَنْفَعُكُمْ غَبَّهُ.

بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ وَجَدْتُمْ سَرَاجًاً يَتَوَقَّدُ بِالْقَطْرَانِ فِي لَيْلَةِ مَظْلَمَةٍ لَا سَتِّضَائِمَ بِهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكُمْ مِنْهُ رِيحُ نَتَنَةٍ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا الْحِكْمَةَ مِنْ وَجْدَتُهَا مَعَهُ، وَلَا يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ سَوْءَ رَغْبَتِهِ فِيهَا.

يَا عَبِيدَ الدُّنْيَا بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَدْرُكُونَ شَرْفَ الْآخِرَةِ إِلَّا بِتَرْكِ مَا تَحْبَّبُونَ، فَلَا تَنْظُرُوا بِالْتَّوْبَةِ غَدًا، فَإِنَّ دُونَ غَدِيَّةً وَلِيلَةً، وَقَضَاءُ اللَّهِ فِيهَا يَغْدُوا وَيَرْوِحُ.

بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْهِ دِينٌ مِنَ النَّاسِ أَرْوَحُ وَأَقْلَ هَمًا مِنْ عَلَيْهِ الدِّينِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ الْقَضَاءِ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ الْخَطِيَّةَ أَرْوَحُ هَمًا مِنْ عَمَلِ الْخَطِيَّةِ، وَإِنَّ أَخْلَصَ التَّوْبَةَ وَأَنَابَ، وَإِنَّ صَغَارَ الذُّنُوبِ وَمُحْقَرَّاتِهَا مِنْ مَكَائِدِ إِبْلِيسِ، يَحْقِرُهَا لَكُمْ وَيَصْغِرُهَا فِي أَعْيُنِكُمْ، فَتَجْتَمِعُ وَتَكْثُرُ فَتُحِيطُ بِكُمْ.

بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ النَّاسَ فِي الْحِكْمَةِ رَجَلَانِ: فَرِجُلٌ أَتَقْنَاهَا بِقُولِهِ وَصَدَّقَهَا بِفَعْلِهِ، وَرَجُلٌ أَتَقْنَاهَا بِقُولِهِ وَضَيَّعَهَا بِسَوْءِ فَعْلِهِ، فَشَّتَّانِ بَيْنَهُمَا، فَطُوبِي لِلْعُلَمَاءِ بِالْفَعْلِ، وَوَيْلٌ لِلْعُلَمَاءِ بِالْقُولِ.

يَا عَبِيدَ السَّوْءِ اَتَّخَذُوا مَسَاجِدَ رَبِّكُمْ سَجْنَانًا لِأَجْسَادِكُمْ وَجَبَاهِكُمْ، وَاجْعَلُوا قُلُوبَكُمْ بِيَوْتًا

للنتقوى، ولا تجعلوا قلوبكم مأوىً للشهوات.

إِنَّ أَجْزَعُكُمْ عِنْدَ الْبَلَاءِ لِأَشَدِكُمْ حَبَّاً لِلدُّنْيَا، وَإِنَّ أَصْبَرُكُمْ عَلَى الْبَلَاءِ لِأَزْهَدِكُمْ فِي الدُّنْيَا.

يَا عَبْدَ السُّوءِ لَا تَكُونُوا شَبِيهَ الْحَدَائِقَ الْخَاطِفَةِ، وَلَا بِالْتَّعَالِبِ الْخَادِعَةِ، وَلَا بِالذَّنَابِ الْغَادِرَةِ، وَلَا  
بِالْأَسْدِ الْعَاتِيَةِ كَمَا تَفْعَلُ بِالْفَرَائِسِ، كَذَلِكَ تَفْعَلُونَ بِالنَّاسِ، فَرِيقًا تُخْطَفُونَ، وَفَرِيقًا تُخَدَّعُونَ، وَفَرِيقًا  
تُغَدَّرُونَ بِهِمْ.

بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَغْنِي عَنِ الْجَسَدِ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرَهُ صَحِيحًا، وَبِاطِنَهُ فَاسِدًا، كَذَلِكَ لَا  
تَغْنِي أَجْسَادَكُمُ الَّتِي قَدْ أَعْجَبْتُكُمْ وَقَدْ فَسَدَتْ قُلُوبَكُمْ، وَمَا يَغْنِي عَنْكُمْ أَنْ تَنْقُوا جَلُودَكُمْ  
وَقُلُوبَكُمْ دُنْسَهُ، لَا تَكُونُوا كَالْمَنْخُلِ يَخْرُجُ مِنْهُ الدِّقْيقُ الطَّيِّبُ، وَيُمْسِكُ النَّخَالَةُ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ  
تَخْرُجُونَ الْحَكْمَةَ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، وَيَبْقَى الْغَلَّ فِي صُدُورِكُمْ.

يَا عَبْدَ الدُّنْيَا إِنَّمَا مِثْلَكُمْ مِثْلُ السَّرَاجِ، يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ، يَا بْنَى إِسْرَائِيلَ زَاحِمُوا  
الْعُلَمَاءَ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَلَوْ جَثَوْا عَلَى الرَّكْبِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحِيِّي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِنُورِ الْحَكْمَةِ، كَمَا يَحِيِّي  
الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِوَابِلِ الْمَطَرِ.

يَا هَشَامَ: مَكْتُوبٌ فِي الإِنْجِيلِ: طَوْبَى لِلْمُتَرَاحِمِينَ، أُولَئِكَ الْمَرْحُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، طَوْبَى  
لِلْمُصْلِحِينَ بَيْنَ النَّاسِ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُقْرَبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، طَوْبَى لِلْمُطَهَّرِ قُلُوبَهُمْ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِونَ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، طَوْبَى لِلْمُتَوَاضِعِينَ فِي الدُّنْيَا، أُولَئِكَ يَرْتَقُونَ مِنَابِرَ الْمَلَكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يَا هَشَامَ: قَلَّةُ الْمُنْطَقِ حُكْمٌ عَظِيمٌ، فَعَلَيْكُمْ بِالصِّمَتِ، فَإِنَّهُ دُعَةٌ حَسَنَةٌ، وَقَلَّةُ وَزْرٍ، وَخَفَّةُ مِنْ  
الْذُنُوبِ، فَحَصَّنُوا بَابَ الْحَلْمِ، فَإِنَّ بَابَهُ الصَّبْرُ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْضُضُ الضَّحَّاكَ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ،

والمساء إلى غير أرب، ويحجب على الوالي أن يكون كالراعي، لا يغفل عن رعيته، ولا يتکبر عليهم.

فاستحيوا من الله في سرائركم، كما تستحيون من الناس في علانيتكم، واعلموا أن الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعه غيبة عالمكم بين أظهركم.

يا هشام: تعلّم من العلم ما جهلت، وعلّم الجاهل مما علمت، عظّم العالم لعلمه، ودع منازعته، وصغرّ الجاهل بجهله ولا تطرده، ولكن قربه وعلّمه.

يا هشام: إنَّ كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ الله عباداً كسرت قلوبهم خشيتهم فأسكتتهم عن المنطق، وإنَّهم لفصحاء عقلاً، يستبقون إلى الله بالأعمال الزكية، لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون لهم من أنفسهم بالقليل، يرون في أنفسهم أنَّهم أشرار، وأنَّهم لأكياس وأبرار.

يا هشام: الحياة من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبداء من الجفاء، والجفاء في النار.

يا هشام: المتكلمون ثلاثة: فرابح وسامٌ وشاجب، فأمّا الرابع فالذاكر لله، وأمّا السالم فالساكت، وأمّا الشاجب فالذي يخوض في الباطل، إنَّ الله حرم الجنة على كلَّ فاحش بذيء، قليل الحياة لا يالي ما قال ولا ما قيل فيه، وكان أبو ذر رضي الله عنه يقول: يا مبتغي العلم إنَّ هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختتم على فيك كما تختتم على ذهبك وورقك.

يا هشام: بئس العبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه إذا شاهده، ويأكله إذا غاب عنه، إنَّ أعطي حسد، وإن ابتلي خذله، إنَّ أسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وإنَّ شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه، وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النار، إلَّا حصائد

ألستهم، ومن حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه.

يا هشام: لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.

يا هشام: قال الله عزوجل: وعزّتي وجلالي وعظمتي وقدرتني وبهائني، وعلوّي في مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت الغنى في نفسه، وهمه في آخرته، وكففت عليه في ضياعته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، و كنت له من وراء تجارة كل تاجر.

يا هشام: الغضب مفتاح الشر، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وإن خالطت الناس، فإن استطعت أن لا تختلط أحداً منهم، إلا من كانت يدك عليه العليا فافعل.

يا هشام: عليك بالرفق، فإن الرفق يُمْنُ، والخرق شُؤمٌ، إن الرفق والبر وحسن الخلق يعمّر الديار، ويزيد في الرزق.

يا هشام: قول الله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا إِحْسَانٌ﴾<sup>(١)</sup> جرت في المؤمن والكافر، والبر والفارجر، من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به، وليس المكافأة أن تصنع كما صنع حتى ترى فضلك، فإن صنعت كما صنع فله الفضل بالأبتداء.

يا هشام: إن مثل الدنيا مثل الحية مسّها لين، وفي جوفها السم القاتل، يحدّرها الرجال ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيان بأيديهم.

يا هشام: اصبر على طاعة الله، واصبر عن معاصي الله، فإنّما الدنيا ساعة، فما مضى منها

فليس تجد له سروراً ولا حزناً، وما لم يأت منها فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها، فكأنك قد اغبطة.

يا هشام: مثل الدنيا مثل ماء البحر، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله.

يا هشام: إياك والكبر، فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر، الكبر رداء الله، فمن نازعه رداءه أكباه الله في النار على وجهه.

يا هشام: ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد منه، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه.

يا هشام: تمثلت الدنيا للمسيح عليه السلام في صورة امرأة زرقاء، فقال لها: كم تزوجت؟ فقالت: كثيراً، قال: فكل طلقك؟ قالت: لا، بل كلاً قلت، قال المسيح عليه السلام: فويح لأزواجك الباقيين، كيف لا يعتبرون بالماضين.

يا هشام: إن ضوء الجسد في عينه، فإن كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كله، وإن ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربه، وإذا كان عالماً بربه أبصر دينه، وإن كان جاهلاً بربه لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحية، فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنية الصادقة، ولا ثبتت النيمة الصادقة إلا بالعقل.

يا هشام: إن الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تعم في قلب المتواضع، ولا تعم في قلب المتكبر الجبار، لأن الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبر من آلة الجهل، ألم تعلم أن من شمخ إلى السقف برأسه شجّه، ومن خفض رأسه استظل تحته وأكنته،

وكذلك من لم يتواضع لله خفظه الله، ومن تواضع لله رفعه.

يا هشام: ما أقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح الخطيئة بعد النسك، وأقبح من ذلك العابد لله، ثم يترك عبادته.

يا هشام: لا خير في العيش إلا لرجلين: لمستمع واع، وعالم ناطق.

يا هشام: ما قسم بين العباد أفضل من العقل، نوم العاقل أفضل من سهر الحاصل، وما بعث الله نبأ إلا عاقلاً، حتى يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهددين، وما أدى العبد فريضة من فرائض الله حتى عقل عنه.

يا هشام: قال رسول الله: إذا رأيتم المؤمن صموماً فادنوه منه، فإنه يلقي الحكمة، والمؤمن قليل الكلام، كثير العمل، والمنافق كثير الكلام، قليل العمل.

يا هشام: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل لعبادي: لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا، فيصدّهم عن ذكري، وعن طريق محبيي ومناجاتي، أولئك قطاع الطريق من عبادي، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن انزع حلاوة محبيي ومناجاتي من قلوبهم.

يا هشام: من تعظم في نفسه لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض، ومن تكبر على إخوانه واستطال عليهم فقد ضاد الله، ومن ادعى ما ليس له فهو أعنى لغير رشه.

يا هشام: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود حذر، وأنذر أصحابك عن حب الشهوات، فإن المعلقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم محجوبة عنّي.

يا هشام: إياك وال الكبر على أوليائي، والاستطالة بعلمك فيمقتك الله، فلا تنفعك بعد مقتته

دنياك ولا آخرتك، وكن في الدنيا كساكن دار ليست له، إنما يتظر الرحيل.

يا هشام: مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة، ومشاورة العاقل الناصح يُمنُّ وبركة، ورشد وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك العاقل الناصح فإِيَّاكُ والخلاف، فإنَّ في ذلك العطب.

يا هشام: إِيَّاكُ ومخالطة الناس والأنس بهم، إلا أن تجد منهم عاقلاً ومأموناً، فانس به واهرب من سايرهم، كهربك من السباع الضاربة، وينبغي للعاقل إذا عمل عملاً أن يستحي من الله، وإذا تفرد له بالنعم أن يشارك في عمله أحداً غيره، وإذا مر بك أمران لا تدرِّي أيهما خيراً وأصوب، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه، فإنَّ كثير الصواب في مخالفة هواك، وإِيَّاكُ أن تغلب الحكمة وتضعها في أهل الجهالة.

قال هشام: فقلت له: فإن وجدت رجلاً طالباً له، غير أن عقله لا يتسع لضبط ما القى إليه؟

قال عليه السلام: فتلطف له بالنصيحة، فإن ضاق قلبه فلا تعرض نفسك للفتنـة، وأحذر رد المتكبرين، فإنَّ العلم يُذلُّ على أن يملـى على من لا يفقـق).

قلت: فإن لم أجـد من يعقل السؤـال عنـها؟ قال عليه السلام: (فاغتنـم جـهـله عنـ السـؤـال حتـى تـسلـم من فـتنـة القـول، وعـظـيم فـتنـة الرـد، واعـلم أنـ الله لم يـرـفع المتـواضـعين بـقـدر تـواضـعـهم، ولـكـن رـفعـهم بـقـدر عـظـمـته وـمـجـده، ولـم يـؤـمـنـ الخـائـفين بـقـدر خـوـفهم، ولـكـن آـمـنـهـم بـقـدر كـرـمه وـجـودـهـ، ولـم يـفـرـحـ المـحزـونـين بـقـدر حـزـنـهـمـ، ولـكـن بـقـدر رـأـفـتهـ وـرـحـمـتهـ، فـمـا ظـنـكـ بالـرـؤـوفـ الرـحـيمـ الـذـي يـتوـدـدـ إـلـىـ من يـؤـذـيهـ بـأـوـلـيـائـهـ، فـكـيفـ بـمـن يـؤـذـىـ فـيهـ، وـمـا ظـنـكـ بـالـتـوـابـ الرـحـيمـ الـذـي يـتـوـبـ عـلـىـ من يـعـادـيهـ،

فكيف بمن يرتكبوا، ويختار عداوة الخلق فيه.

يا هشام: من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، وما أُوقي عبدً علمًا فاز داد للدنيا حبًّا  
إلاً ازداد من الله بعدًّا، وازداد الله عليه غضباً.

يا هشام: إن العاقل الليب من ترك ما لا طاقة له به، وأكثر الصواب في خلاف الهوى،  
ومن طال أمله ساء عمله.

يا هشام: لو رأيت مسير الأجل لأهلك عن الأمل.

يا هشام: إياك والطمع، وعليك باليأس مما في أيدي الناس، وأمت الطمع من المخلوقين،  
فإن الطمع مفتاح للذلة، واحتلاس العقل، وأخلاق المروات، وتدنيس العرض، والذهب  
بالعلم، وعليك بالاعتصام بربك والتوكل عليه، وجاهد نفسك لتردها عن هواها، فإنه واجب  
عليك كجهاد عدوك.

قال هشام: فقلت له: فأي الأعداء أو جبهم مجاهدة؟ قال عليه السلام: أقربهم إليك وأعداهم لك،  
وأضرهم بك وأعظمهم لك عداوة، وأخفاهم لك شخصاً مع دنوه منك، ومن يحرّض أعداءك  
عليك، وهو إبليس الموكّل بوسواس القلوب، فله فلتتشتد عداوتك، ولا يكونن أصبر على  
مجاهدته هلكتك منك على صبرك لمجاهدته، فإنه أضعف منك ركناً في قوّته، وأقل منك ضرراً في  
كثرة شره، إذا أنت اعتصمت بالله، فقد هديت إلى صراط مستقيم.

يا هشام: من أكرمه الله بثلاث فقد لطف به: عقل يكفيه مؤونة هواه، وعلم يكفيه مؤونة  
جهله، وغنى يكفيه خافة الفقر.

يا هشام: أحذر هذه الدنيا وأحذر أهلها، فإن الناس فيها على أربعة أصناف: رجل متردّ معانق لهواه، ومتعلم متقرّى، كلّما ازداد علماً ازداد كبراً، يستعلي بقراءته وعلمه على من هو دونه، وعبد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته، يحب أن يعظّم ويوقّر، وذي بصيرة عالم عارف بطريق الحق يحب القيام به، فهو عاجز أو مغلوب ولا يقدر على القيام بما يعرفه، فهو محزون مغموم بذلك، فهو أمثل أهل زمانه، وأوّل جهنّم عقاً.

يا هشام: اعرف العقل وجنته، والجهل وجنته تكون من المهددين، قال هشام: فقلت: جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا.

يا هشام: إن الله خلق العقل، وهو أول خلق خلقه الله من الروحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبِر فأدبِر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله جل وعز: خلقتك خلقاً عظيماً، وكرّمتك على جميع خلقي، ثم خلق الجهل من البحر الأجاج الظلماني، فقال له: أدبِر فأدبِر، ثم قال له: أقبل فلم يقبل، فقال له: استكبرت فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً، فلما رأى الجهل ما كرم الله به العقل وما أعطاه، أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا رب هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته، وأنا ضده ولا قوّة لي به، أعطني من الجنود مثل ما أعطيته، فقال تبارك وتعالى: نعم، فإن عصيتني بعد ذلك أخرجتك وجندك من جواري ومن رحمتي، فقال: قد رضيت، فأعطاه الله خمسة وسبعين جنداً.

فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين جنداً: الخير وهو وزير العقل، وجعل ضده الشر، وهو وزير الجهل، الإيمان، الكفر، التصديق، التكذيب، الإخلاص، النفاق، الرجاء، القنوط، العدل، الجور، الرضى، السخط، الشكر، الكفران، اليأس، الطمع، التوكل، الحرص،

الرأفة، الغلطة، العلم، الجهل، العفة، التهتك، الزهد، الرغبة، الرفق، الخرق، الرهبة، الجرأة،  
التواضع، الكبر، التؤدة، العجلة، الحلم، السفة، الصمت، الهدر، الاستسلام، الاستكبار، التسليم،  
التتجّبر، العفو، الحقد، الرحمة، القسوة، اليقين، الشك، الصبر، الجزع، الصفح، الانتقام، الغنى، الفقر،  
التفكير، السهو، الحفظ، النسيان، التواصل، القطيعة، القناعة، الشره، المؤاساة، المنع، المودة، العداوة،  
الوفاء، الغدر، الطاعة، المعصية، الخضوع، التطاول، السلامة، البلاء، الفهم، الغباوة، المعرفة،  
الإنكار، المداراة، المكاشفة، سلامـة الغـيب، المـاكرة، الكـتمـان، الإـفـشـاء، البرـ، العـقوـقـ، الحـقـيقـةـ،  
التسـوـيفـ، المعـرـوفـ، المنـكـرـ، التـقـيـةـ، الإـذـاعـةـ، الإـنـصـافـ، الـظـلـمـ، التـقـىـ، الحـسـدـ، النـظـافـةـ، الـقـنـزـ،  
الـحـيـاءـ، الـقـحـةـ، الـقـصـدـ، الـإـسـرـافـ، الـرـاحـةـ، الـتـعبـ، السـهـولـةـ، الصـعـوبـةـ، الـعـافـيـةـ، الـبـلـوىـ، الـقـوـامـ،  
الـمـكـاثـرـةـ، الـحـكـمـةـ، الـهـوىـ، الـوـقـارـ، الـخـفـةـ، الـسـعـادـةـ، الشـقـاءـ، التـوـبـةـ، الـإـصـرـارـ، الـمـحـافـظـةـ، التـهـاـونـ،  
الـدـعـاءـ، الـأـسـنـكـافـ، النـشـاطـ، الـكـسـلـ، الـفـرـحـ، الـحـزـنـ، الـأـلـفـةـ، الـفـرـقـةـ، السـخـاءـ، الـبـخـلـ، الـلـحـشـوـعـ،  
الـعـجـبـ، صـونـ الـحـدـيـثـ الـنـمـيـةـ، الـإـسـتـغـفـارـ، الـإـغـتـارـ، الـكـيـاسـةـ، الـحـمـقـ.

يا هشام: لا تُجمِعُ هذه الخصال إلَّا نبي أو وصي، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وأمّا  
ساير ذلك من المؤمنين، فإنَّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل،  
حتّى يستكمل العقل، ويتحلّص من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء  
والأوصياء عليهم السلام، وفقنا الله وإياكم لطاعته<sup>(١)</sup>.

سلطان

---

(١) رواه الكليني الكافي: ج ١ ص ١٣؛ والحراني في تحف العقول مع اختلاف يسير.

### الإفادة الخامسة عشر: الأنبياء لا يخالفون دين وفرائض الله:

هل يمكن لنبي من الأنبياء أن يقول لا تخضعوا لله؟، الجواب كلا، الآن عندما تواتر رسول الله فاني اعلم أن دين وفرائض الله اعلمها من الوحي ولم اعلمها من طريق العقل بل من مجموع سلسلة الأنبياء علمت أن دين وفرائضه التي لا يرفع اليد عنها هو دين الإسلام وهذه فيها أركان الفروع، وهذه الأركان وهذه العقائد هل يمكن لنبي من الأنبياء يتخطاها؟، لا يمكن ذلك وإذا جاء أحد وادعى غير ذلك فاعلم انه ليس محقا، لأن أولئك حيث صدقوا على الله وقالوا هذا من الدين لا من الشريعة وهذا من أوامر الله لا من سنن الأنبياء أو هذه من فرائض الله التي لا تختلف ولا تختلف بحيث لا يمكن رفع اصل الصلاة أو اصل الجهاد. فعلمي بنوبته هو أن يكون مطينا وتابعنا لله عز وجل، ولأن علمي بدين الله لا يتر بحججة من الحجج بل هو مجموعه حجج، ولا يمكن أن أقرأ حججاً واترك حججاً أخرى.

وهذا المقدار مما يدركه عموم الناس غير المطلعين على رسالات الله هم يدركون شيئاً من فرائض الله ولو بحكم العقل «أن ما حكم به العقل حكم به الشرع» فيدركون هذه الأمور القطرية، فإذا جاء دعي من الأدعية ويريد تجاوز فرائض الله فإنه لا يمكن ذلك ومنه يعلم انه مبطل، وأيضاً صلاحيات الأئمة لا يمكن أن تتجاوز قطعيات سنن النبي ﷺ وفرائض الله وبدويات العقل لذلك المحكمات في الكتاب والسنة وبدويات العقل انما هي مدار ومحور وميزان، إذاً محكمات العقل ثم محكمات فرائض الله ثم محكمات سنن النبي ﷺ القطعية خلافاً للظنيات من فرائض الله وسنن النبي ﷺ فأنها ليست مدار، ولا القطعيات النظرية فإنه صورتها قطع وواقعاً هو ظن، وإنما الكلام في القطعيات قالها وروحاً فتلك تكون محكمات ومدار وهي

فوق بعضها البعض، ومن ثم هناك سياج عن تلاعُب أي لاعب وتجالِط أي مغلط، فهناك نظام فطري في المعرفة رسمه الله تعالى لا يمكن تخفيه وهذا هو معنى العبودية لله حتى في المعرفة ولا يمكن تخفي هذا النظام وهذه الحجية.

#### الافادة السادسة عشر: الایمان بمجموع الحجج:

تلك الحجج طبيعتها حجية مجموعه منظوميه، وان اكبر انفراط منهجي تقع فيه الفرق المنحرفة من خوارج وغيرها أن يفرطوا في مجموع الحجج.

ان الحجج مجموع متكامل منظومي ومترابط ومتكملاً ومترافق لا مفكك ومبغض واللازم هو الایمان بها كلها واتباعها جديعاً وليس نؤمن ببعض وننكر ببعض، لذلك القران يدحض ويقول ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ حَرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِعَصْمِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِعَصْمِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَرْزٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْدُونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> فلا يمكن التبعيض في الحجج وما دام هي حجج فلا يمكن التبعيض فيها، وحيث أنها مجموع فلا تكون قراءتي لحججة من الحجج بمنأى وبتجزئه عن الحجج الأخرى وهذه قراءة ناقصة وهذه نكتة جداً مهمة وان لم تبلور في علم أصول الفقه أو البحوث العقلية أو بحوث أخرى ولكنها تمثل ضرورة معرفية ومنهجية حساسه ، فالحجج لابد أن تقرأ مجموعاً لأن لها دلالات معية مع بعضها البعض، وهي بنفس الوقت لها استقلال

ولكن لا بمعنى أنها تتأي وتنفصل وتنجزاً وتفتكك عن بعضها البعض، وعلى هذه النكتة الخفية الغامضة يلعب الأدعياء في الدجل متخلذين من الاستقلال استقالاً تماماً للفصل بين تراتب الحجج ومجموعتها.

#### الافادة السابعة عشر: الترتيب والتناسب بين قنوات المعرفة:

وبالنسبة للنصارى وكما مر بنا ﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَنَّلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى اُبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَنَّلُواهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُهِدَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا إِثْيَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَنَّلُوهُ يَقِينًا﴾<sup>(١)</sup> هنا الشارع جعل الوحي فوق بديهيته الحس فكيف ندعى أن البديهيات هي فوق الوحي، والبديهيات لها مراتب كالأوليات والفتريات والوجدانيات (القناة الروحية) والحسينيات والتجريبيات والحدسيات وهذا الترتيب هو اخطر من العد فقط، لأن الترتيب يدل على موقعية الحجية، وتعريفها بعضها عن بعضها مهم جداً، ومن ثم إعجاز الأنبياء أين يندرج؟ لا يندرج في الحسينيات وقد شرحت ذلك في العقل العلمي وهو يرجع إلى الوجدانيات وأما مشاهدة لمعان القدرة الغيبية فهو فوق الحسينيات، وإذا قلنا البديهيات الأعلى فتقصد الأوليات والفتريات وأما نفس الوحي الذي هو إعجاز وجداني ولمعان يجده في قلبه أو يجده بلمعان الغيب وهذا يتضمن استدلال عقلي، وقد ذكرت هذا ليس استدلال عقلي وهو عند الفارابي وارسطو خلافاً لابن سينا ان برهان المعجزات ليس برهان نظري أو برهان بقوة الفكر بل أعظم من قوة الفكر فهو برهان بلمعان الغيب ودرك مشاهدة وواحدية لمعان الغيب، بينما الفكر ترتيب صغرى وكبيرى ولو بديهية، كلاً فأبن سينا يؤخذ عليه انه حصر البرهان الكلى النظري بقوة الفكر بينما ارسطو

وسقراط وغيرهم ذكروا أن هناك برهان عياني وهو أعظم من البرهان النظري الكلي خلافاً لدعوى ابن سينا، وهذا البرهان العياني هو في الحقيقة وجдан وهو أكبر من الحس، ولكن مهماً وصل الإعجاز فلا تخطى الأوليات والفطريات فوق كل تلك الأمور إذاً الوجدانيات فوق الحسيات لأن المعلومات الحسية نطاقها ضيق ولذلك تسمى علم حصولي وأما الوجدانيات فنطاقها أوسع وآفاقها أعظم سواء نافذة الوهم أو الخيال أو العقل أو الروح.

لذلك بالعقل والفطرة اهتدى الإنسان إلى معرفة التوحيد وما شابه ذلك، ولو في بيان أن معرفة الله هي الأولى تصوراً وتصديقاً ف تكون الفطرة هي التوحيد ﴿فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ فالمنطلق هو التوحيد الفطري لا التوحيد النظري أو الإيمائي أو معرفة التوحيد عبر قنوات متعددة، القناة الفطرية هي المبدأ في التوحيد وهذه نكتة مهمة.

إذاً هذه خطوط حمراء وضوابط وموازين لا يمكن أن تخطى شريطة أن نعي المحكمات القطعية بصورة بدائية لا المحكمات النظرية ولا الظنيات في فرائض الله، وأركان فرائض الله قطعية لا قطعية نظرية وكذلك سنن النبي ﷺ القطعية لا الظنية والنظرية.

إذاً التدقيق في قنوات المعرفة ومبررات المعرفة من تراكب وتراتب وتلاحم وتعاقب والالتفات إلى الصغرى وتندرج تحت أي قسم من الأقسام هو أمر بالغ الأهمية لقطع الطريق عن تسوييل المسؤولين وتشكك المزعزعين.

الافتة الثامنة عشر: الخضر لم يخالف حجية فرائض الله:

وهناك ملحمة مهمة بالنسبة إلى النبي موسى والخضر فانظر إلى النبي موسى عليه السلام يقول له

الباري اذهب إلى ولی من أوليائي ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup> فهذا لا يعني تجاوز فرائض الله، ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا﴾ ومع كل هذه الأمور فهناك ثواب تبقى وهو أمر صحيح عند النبي موسى لا يمكن ان يفرط بها، لذلك الخضر لم يعرض عليه في هذه الثواب ولم يقل ان عمله فوق هذه الثواب بل اشاره انه إنما دون هذه الثواب بل سأبين لك إنني منصاع إلى هذه الثواب ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ...﴾ فلم أصادم هذه الكبري ولست أفرط بهذه القاعدة ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ ولست أفرط بحرمة دماء وأموال الناس فلست أفرط بكلها وإنما الصغرى هي لتلك القضية، فهنا لم يقل الخضر أن حجتي فوق هذه الحجج بل قال أني منصاع لهذه الحجج ولكن الصغرى شيء آخر.

لذلك الخضر لم يأبى ولم يأنف كيف يألف وهو عبد الله وإنما قال إن هذه القواعد منقاد لها ولم يتمرد ويخالفها او عنده غيرها وإنما الصغيريات تدرج في موارد أخرى، وهذه نكات جدا مهمة ونلاحظ هنا أيضا حاج الخضر مع موسى في حين أن الخضر مصيبة في الصغرى والتطبيق ولكن لم ينكر على النبي موسى لم تتمسك بهذه القواعد بل ثبته على التمسك بتلك القواعد بل التطبيق على الصغرى هو المطلب، وهكذا هي البصائر عند الأنبياء والأولياء والأوصياء لا مثل الأدعية الذين يدخلون والذين يطمسون الفرائض والقواعد وعلامة الحق من المبطل أن الحق ينقاد إلى المحكمات ويخضع لها ويتبعها ويكون تابع لها، أما المبطل يتمدد عليها ويتكبر وهي عالمة واضحة لها قد تمحور حولها موسى والخضر عليهما وكلا بين انصياعه لها بأسلوبه.

### الافادة التاسعة عشر: انصياع الاولياء لحجية فرائض الله:

فرق بين الأمرين من أن يأتي خليفة أموي ويقول إنا فوق من أن أسائل أو يقول إنا ظل الله في الأرض حتى لو أمرتكم بمعصية الله، بينما هي «لا طاعة لخلوق في معصية الخالق»، بينما قول الزهراء حينما غصبوه فدكا:

«وزعمتم: ان لا حظوة لي ولا ارث من أبي، ولا رحم بيننا، أفحركم الله بأية اخرج أبي منها؟ ام هل تقولون: أن اهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست انا وأبي من اهل ملة واحدة؟»<sup>(١)</sup>.

فليست تقول أني فوق القواعد والثوابت من فرائض الله ولكن نحن أحق من ينقاد لحجج الله، أو كلام لسيد الشهداء قبل بدأ القتال مع الاعداء:

«ويحكم! أطلبوني بقتيل منكم قتلته!؟ أو مال لكم استهلكته!؟ أو بقصاص جراحة!؟»<sup>(٢)</sup>.

فهذا ما يدلل أن ثوابت دين الله فوق حجية الإمام الحسين والإمام الحسين أخرى وأحق من ينقاد إلى هذه الحجج، وهو بخلاف يزيد وهو طاغوت أو يأتيك الوليد بن عبد الملك الذي رمى القرآن بسهمه وما قاله وحكى الماوردي في (كتاب أدب الدنيا والدين):

أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوما في المصحف فخرج له قوله عَزَّ وَجَلَّ:

واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

---

(١) العلامة الطبرسي في كتابه الاحتجاج.

(٢) الإرشاد: ٢: ٩٧ - ٩٩.

إذا ما جئت ربك يومن حشر فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث إلا أياما حتى قتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره، ثم على سور بلده).

فانظر إلى التمرد على حجج الله وفرق بين الأمرتين، فانظر إلى كلام الزهراء وكلام الحسين عليه السلام وكلام أمير المؤمنين في حجاجه مع الخوارج وفي حجاجه مع أصحاب الجمل فليس يزيد أن يبين نفسه فوق فرائض الله وسنت النبي صلوات الله عليه وسلم القطعية ولكن أكد انه أحق من انقاد لها وذاك هو المميز والتفضيل فعلا ما تقاتلونه وبما استحللتكم حرمتهم وهو قد حفظ الحرمة، وهذه نكتة مهمة جدا، وهذا عالمة الحق من المبطل وهو أن الحق منقاد لراتب الحجج والمنظومة أما تسائله عن شيء؟، وكيف لا تسائل لأن محظ السؤال قاعدة فوق ذلك وهذا معنى الخضوع لله عز وجل والعبودية لله عز وجل، ومعنى العبودية انه انقاد لتلك الفرائض والحجج ولا يعتبر نفسه فوقها فانظر هنا العبودية علي بن أبي طالب لدين الله «اشتملت عني شملة الجنين...» قال «والله ما ونيت عن ديني...» ولم يقل إنما فوق هذا الكلام فليس هو متجر على فرائض ولا مخالف لسنن النبي صلوات الله عليه وسلم، فانظر إلى الجواب التوحيدى من علي بن أبي طالب فالدين هو فوق اي قرار ذاتي وهو المحور وهو الذي ينقاد له، ولكن الصغرىيات مورد آخر.

وهذا الحوار بينهما لإفهام الحاضرين وفي إفهام الحاضرين يبين أمير المؤمنين انه كيف ينقاد لا انه يتسلق على الفرائض كما قال الآخر «ما تركناه صدقة» فيتسلق على آيات الإرث فهذا قفزة على فرائض الله فهل الإرث ينسخ من دين الله وغيره من الأمور، ففرق بين أن يقفز على فرائض ولا ينصاع لها ويلتف عليها ويلتوى وبين أن يقول أن الفرائض لابد أن انقاد لها ولكن هنا مثلا الصغرى لتلك وهذه الصغرى لها تلك، فرق كبير بين العبد الصالح لله من الأوصياء والأنبياء

ويبين جلاوة وعصابات الحكم فان الالتزام بفرض الله فرق واضح بينهما.

#### الافادة العشرون: ضرورة الالتزام بترتيبية الحجج:

«فقال سليمان يا بن صوريا بهذا العقل المسلوك به غير سبيله ضلالتم» البحث في هذه الإثارة عند اليهود وهي غامضة ومعقدة وهي كيف يميزون بين جانب المحو والإثبات وجانب مبرم من قضاء الله وحكمه، وهناك عدة ضوابط ذكرها سليمان :

أول تلك الضوابط : أن ما ينشر في الكتب هو ثابت ولا يمكن أن يطرأ عليه التغيير وكل ما أخبر الله عز وجل مما يتشر عن عموم الناس لا يكون مما فيه البداء أو التغير أو المحو والإثبات لأن الله كتبه على نفسه أمام المخلوقات والتزم بتحقيقه،

الضابطة الثانية: هي إنما انتم اردتم من المحو والإثبات من باب أنكم لم تصدقوا بالحججة التي أوصلت لكم أخبار الله وهم الأنبياء والرسل بل تتهمنهم وهذا ليس من باب العمل بقاعدة البداء أو المحو والآيات إنما هذا في حقيقته تكذيب.

فتارة يصدق ثم يتوصل إلى الله بالتغيير فهذا بحث آخر أما انتم فمن رأس لم تصدقوا، فتارة الإنسان المؤمن يتثبت بالبداء أو النسخ الإلهي أو يتثبت بالمحو والإثبات الإلهي بعد تصديقه بها هو حجة، وتارة يريد أن يتمرد على الحجة الإلهية تحت عنوان يتخذه كمبر و هو قاعدة المحو والإثبات فهذا ليس تمسك بقاعدة المحو والإثبات بل هذا نوع من التمرد على الحجة الإلهية والحاكمية الإلهية تحت ذريعة قاعدة المحو والإثبات، وهذا تملص من إتباع الحجية بعنوان وذريعة أن نثبت باسم الهي آخر وبسنة إلهية أخرى و فعل الهي آخر، لذلك حتى في أسماء الله من امن بان



مدحوم مع وجود شريعة سيد الرسل، أما إذا لم أقف على حجة أقوى واترك الحجة المتوسطة تحت ذريعة إني باحث متبحر ومنقب محتمل لحجية أقوى، أو لسبب تلك الحجة أقوى وأنا احتملها فلا أسوغ لنفسي أن أتمسك بالحجية المتوسطة فهذا غير صحيح، بل لابد من الاسترسال بالحجية المتوسطة والإتباع لها إلى أن يقف الإنسان على حجة فوقها وبالتالي يتبع الحجة الفوقيـة أما مادام لم يقف ومع انه يتحرى ويفحص لكن في فترة تحريه وفحصـه لا يجوز له أن ينكر الحجة المتوسطة أو يتمـرـدـ عـلـيـهـاـ،ـ مـثـلاـ اللـهـ تـعـالـىـ لـهـ أـمـرـ فـيـ قـضـيـةـ ماـ وـاحـتـمـلـ إـذـاـ كـنـتـ أـعـيـشـ فـيـ عـهـدـ مـالـكـ

أن هناك أمر ناسخ سيأتي أو أتى ولم أقف عليه فهل اترك إطاعة أمره المنسوخ بالاحتـمال؟، انه هذا لا يسوغ لي.

أما كيف فهمـناـ توـسـطـ الحـجـجـ الـمـتوـسـطـةـ فـاـنـ هـذـاـ بـحـثـ آـخـرـ وـكـلـامـنـاـ فـيـ سـلـمـ وـتـرـاتـيـةـ وـرـتـبـ

سواء حجـجـ أـدـلـةـ أـوـ صـفـاتـ إـلهـيـةـ أـوـ أـسـمـاءـ إـلهـيـةـ أـوـ أـفـعـالـ إـلهـيـةـ،ـ فـمـثـلاـ إـذـاـ كـنـتـ أـعـيـشـ فـيـ عـهـدـ مـالـكـ

الاشـتـرـ فـأـقـولـ مـالـكـ نـائـبـ عـنـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عليـهـ الـحـلـمــ فـاـنـاـ لـوـ أـصـلـ إـلـىـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عليـهـ الـحـلـمــ وـاـطـلـبـ

مـنـهـ هـذـاـ طـلـبـ يـرـخـصـ لـيـ وـالـآنـ مـالـكـ مـعـنـيـ وـلـيـكـنـ وـلـكـنـ استـأـذـنـ مـنـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عليـهـ الـحـلـمــ الـمـؤـمـنـينـ

فـأـتـصـرـفـ فـيـ الـأـرـاضـيـ أـوـ شـيـءـ مـعـيـنـ وـأـقـولـ سـأـصـلـ إـلـىـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عليـهـ الـحـلـمــ،ـ فـاـنـ هـذـاـ لـاـ يـسـوغـ.ـ نـعـمـ إـذـاـ

وـصـلـتـ إـلـىـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عليـهـ الـحـلـمــ وـرـخـصـ فـهـذـاـ بـحـثـ آـخـرـ أـمـاـ آـلـآنـ فـوـاجـبـ عـلـيـ طـاعـةـ مـالـكـ الاـشـتـرـ،ـ

أـوـ النـائـبـ الـخـاصـ كـالـحـسـنـ بنـ رـوـحـ النـوـبـختـيـ أـوـ الـعـمـرـيـنـ فـأـقـولـ أـنـ هـذـاـ النـائـبـ الـخـاصـ لـاـ اـعـلـمـ

انـهـ مـنـ الإـمـامـ بـلـ أـنـ سـأـلـتـقـيـ مـعـ الإـمـامـ وـاستـجـيـزـ مـنـهـ فـأـخـالـفـ فـيـ هـذـهـ الفـتـرـةـ حتـىـ القـاهـرـ عليـهـ الـحـلـمــ فـاـنـ هـذـاـ

غـيـرـ سـائـعـ،ـ فـاـنـ مـحـكـومـ آـلـآنـ بـهـذـهـ الحـجـجـ فـلـمـ تـأـتـنـيـ حـجـةـ أـوـ مـوـلـوـيـةـ جـدـيـدةـ مـرـخـصـةـ مـنـ الشـارـعـ

سوـاءـ عـلـىـ صـعـيـدـ ثـبـوتـ الـوـلـاـيـةـ ثـبـوتـاـ أـوـ عـلـىـ صـعـيـدـ الـوـلـاـيـةـ إـثـبـاتـاـ فـلـاـ يـصـحـ لـيـ أـنـ أـتـرـدـ أـوـ اـسـعـصـيـ

عليها، بل لابد أن تمسك بهذه الحجة المتوسطة وبهذا الأمر إلى أن يأتي الناسخ، لأن هذا نوع من التقويم في ذات المولى، وحتى في نظام البر افترض وجود دليل معتبر لدينا متوسطة معتبر ظني فما دام هو معتبر أنا ملزم به إلا أن يأتي معتبر آخر أقوى واقف عليه ولو بالفحص والتنقيب، فإذاً بحث منظومة الحجج فيه نوع إرباك في الفكر البشري وفيه على الحقيقة نوع من الدقة، فتارة وجود حجة أقوى في متناول اليد أو ملزم الفحص عنها وهي في متناول اليد لكنه لا يفحص ولا يتناول ويتبع فقط الحجة المتوسطة، فمثلاً إذا تركت الفحص عن الحجة الأقوى وأقول لم أقف ولم أصل إليها ولم افحص وإنما فقط تمسك بالحجية المتوسطة؟، فهنا مؤاخذ أيضاً، فمثلاً يتبع النبي عيسى وقيل أن هناك سيد الأنبياء بعث في مكة وليس عليّ الفحص؟، كلا لا يسوغ ذلك، صحيح لابد عليك أن تستمسك بإتباع النبي عيسى × ما دمت لم تقف على نتيجة البحث ولكن هذا لا يسوغ لك عدم الفحص لأنك احتملت وجود حجة ناسخة فافحص عنها، وفي فترة الفحص لا يعني أن ترك شريعة النبي السابق. نعم تمسك بها ولكن لا ترك الفحص، وهذه بحوث متعددة في منظومة الحجج فهناك بحث الفحص كيف هو وبحث التمسك بالحجية الأقوى كيف هو وبحث متى يسوغ لي رفع اليد عن الحجة المتوسطة أو السابقة، وهذه كلها مرتبطة بتراتبية الحجج.

#### **الإفادة الواحدة والعشرون: مغالطات اليهود في التزام ترتيبية الحجج:**

اليهود يتركون تصديق أنبياء الله وإتباعهم تحت احتيالات معينة وهذا لا يسوغ لهم أن يكذبوا أنبياء الله تحت ذريعة احتيال أن يأتي ناسخ لهم، وهذا مثل بعض العرفاء والصوفية عندهم بعض هذا الزيف وهو أن الله رحيم فمن قال سيعذب وكذا، وحتى بعض من يحامي عن بنى أمية

وبني العباس والظالمين يقول من أين لك ان تدين هؤلاء الظالمين لعل الله يرحمهم فأنهم سيفدون على رب رحيم ودود؟، صحيح الله ارحم الرحيم ولكن الله حكم في كتابه معاقبة الظالمين فإذا جاء حكم ناسخ أو عفو هي فهذا بحث ولكن لحد الآن لم يأت ذلك بدليل صحيح، فيكيف يسوغ لك أن ترکن إلى الظلم وقد أقيمت لك الحجة الإلهية بان لا ترکن إلى الظلم فعليك أن لا تواط من حاد الله ورسوله، ولم يأتي بيان من الله انه قد عفي عنهم، وهذه نفس المغالطة اليهودية فهذه ليست مغالطة في خصوص المحو والإثبات مع انه مرتبط بالمحو والإثبات لأن عفو الله مرتبط بمشيئته، فيتمسكون بذيل المشيئة لتقميص الظالمين لباس أبيض، فيتمسك ببعض العموميات ويترك العموميات الأخرى وهذه مغالطة من جهة أخرى، وحتى بعض العصاة قد يقول أمرني الله بالصلاوة وزجرني عن الفواحش ولكن ارتكبها لأنه رحيم مثلاً فأي مسوغ هذا بل أن هذا تمرد على الله، فحتى لو جدنا على أن المشيئة الإلهية مطلقة وانه لا يحكم على الله شيء بل الحاكمية لله ولكن الكلام انه عندك حجة بالفعل ولم يأتيك أمر ناسخ أو مخصوص بل هذا تمرد على الأوامر الإلهية.

#### الافادة الثانية والعشرون: التمرد على تراتبية الحجج بذرائع مشبهه:

بعد تشخيص والتزام الحجة المتوسطة الفعلية لا يسوغ لك عدم الفحص بل لابد من الفحص، ولكن وجوب الفحص لا يسوغ لك ترك الحجة المتوسطة ما لم تقف على الحجة الأعلى، فاسم الرحمة الإلهية أعظم اسم الهي وسبقت رحمته غضبه وهذا صحيح ولكن هل هذا يسogue لنا فتح باب الفواحش فهل وصل إليك ناسخ للأوامر والنواهي أم انه تمرد على الله تحت ذريعة التمسك بالاسم الأعظم، ومع ذلك نجد صرف التهديد والوعيد الإلهي الذي هو صنف

من الغضب لا ينافي أصل الرحمة بل ان عذابه من رحمته كما يقول بعض اهل المعرفة.

ولو نظرنا إلى البحث نجد أن هذه جدلية وغالطة فكرية ليس عند اليهود بل تحدث حتى في الساحة الفكرية الإسلامية عند الأمة الإسلامية من الصوفية وغيرهم هؤلاء يدافعون عن الظالمين تحت هذه المغالطة.

وهذا ما تشير إليه الضابطة الثانية لسلمان «وأرادوا تكذيب الله وأنبيائه في أخبارهم والتهاون في أخبارهم أو صدقوهم في الخبر عن الله ومع ذلك أرادوا مغالبة الله» أيضاً إذا أراد العبد أن يحكم اسم الهي أو حجة أو سنة إلهية أخرى هذا ليس من باب أن ذاك الاسم حاكم بل هذا من باب التمرد ومغالبة الله على هذه الحجة الفعلية أو الاسم الإلهي الموجود، وليس في الحقيقة أنهم أرادوا التمسك بالحججة الأقوى من باب التمسك بالحججة الأقوى، بل الحقيقة من باب المغالبة والتمرد وهذا حينئذ ليس تمسكاً بالحججة الأقوى، وبعبارة أخرى هذا ليس طريقاً إلى المحو والإثبات في المثال الذي تحدثنا عنه، ومثال المحو والإثبات هو أن تتضرع وتتصدق وتدعوا والذي مر سابقاً من أن هذه الضابطة موجودة عند أهل البيت عليهم السلام من أن القضاء والقدر قبل أن يبرم أو يكون في الخارج الإنسان يدعو ويتضعر ويتمسك باسم أكبر، أما بعد الواقع فلا كما يقولون أنا قوم نتباهى أو نفرز إلى الله قبل وقوع المصيبة فإذا كان رضينا بقضاء الله تعالى.

«أو صدقوهم في الخبر عن الله ومع ذلك أرادوا مغالبة الله هل كانوا هؤلاء» أن التمرد على الله عبارة عن كفر وليس طاعة «وأي عداوة يجوز أن يعتقد لجبريل ويصد عن مغالبة الله عز وجل وينهى وهو في حالة طاعة الله وينهى عن.... غضب الله فقال ابن سوريا قد كان الله أخبر على السن أنبياءه ولكنه يمحو ما يشاء ويثبت» فقد تشبيثوا باحتمال وجود حجة ناسخة (قال سلمان

إذاً لا تثروا شيء ما مما في التوراة من الأخبار عما مضى وما يستأنف) لماذا تحت ذريعة أن الله يمحو ما يشاء ويثبت، فمجرد احتمال الناسخ فهو إذاً ينسخ كل شيء.

الافادة الثالثة والعشرون: التمرد على تراتبية الحجج اعتماداً على الاحتمالات:

«إذاً لعل الله قد عزل موسى وهارون عن النبوة وأبطل في دعواهما لأن الله يمحو ما يشاء ويثبت» بل في الروايات أن الله يمحو ما يشاء عما وقع كما في الروايات، فكيف نتحمل أن ما وقع يكون ليس بحقيقة مع انه حقيقة، وهذا أسلوب نقض من سليمان «ولعل أن كل ما أخبراكم به موسى وهارون أن يكون أن لا يكون» وبعبارة أخرى إذا اخبر بذلك أما الأئمة يجب أن نأخذ به إلا أن يأتي ناسخ شرعي وتكويني، «وكذلك ما أخبراكم عما كان لعله لم يكن وما أخبراكم انه لم يكن لعله كان ولعله ما وعدهم من الثواب يمحوه» إذاً هذه القاعدة أن اسم أعظم فمعنى هذا كل الأسماء يطلبها فيعطيونها بذرية أن هناك حجة أقوى وبالتالي يتمردون حتى على الحجج الأدنى.

«ولعل ما توعدهم من العقاب يمحوه» وهذا منطق من يدافع عن بنى أمية وبني العباس، ويقولون دعنا على ما جرى بين الصحابة فقد وفدوا على رب رحيم وهو يرحمهم، وهذا بحث آخر فأنت تحكم وتقضى على الله أم أن له المشيئة على عبادة؟، ومن قال أنه ليس له المشيئة، وإنما الكلام في انه قد انذر وحذر وقال «لا تركنا إلى الذين ظلموا» وتوعد الذي ظلم بالعذاب ونبني نتمسك بذلك إلى أن يأتي ناسخ وينسخ ذلك الحكم أما الآن فتبرأ من الظالمين وندينهم.

وبعض آراء الصوفية تقترب من ذلك ومن يأتون ببني أمية يقولون أن يزيد لعله تاب من

ذلك ولم تأتي لهم حجة، وهذا بيان مفيد فأنت عندك حجة على أمر معين ثم تقول احتمال توجد حجة ولكن لم تقف على الحجة، والفتنة والشبهة من جهة عدم ضبط شرائط الحجية وقواعدها وأدلة الاستدلال، وصحيح أن الدين يدعى إلى التعقل وإلى التفهم، ولكن من قال أن التعبد ليس بتفهم ومن قال أن التعبد ينفي التفهم، فالمغالطة تنشأ من تشابه الأمور.

«أنكم جهلكم معنى يمحو الله ما يشاء ويثبت فلذلك انتم بالله كافرون والإخباره عن الغيوب مكذبون» يعني الجهل بمعنى الأسماء ومنظومة الأسماء والحجج تسبب الكفر والتمرد، ويکذب احتمال أن هناك ناسخ تکويني وسيأتي هذا في جانب علم نظري الإدراك المحسن، وفي جانب العقل العلمي أتى رد على الطاعة تحت ذريعة الترخيص (وعن دين الله تسلخون ، ثم قال سلمان إذا حفظ... به يقام الدين ولا يبقى على دينه) تحت ذريعة أن يستمسك بحججة من الحجج من دون أن أراعي شرائط ومراتب الحجج بل مجرد احتمالات واهية انزلها بمترتبه اليقينيات عمليا وهذا من الخلل الفادح.

#### الافاده الرابعة والعشرون: أساليب القرآن في اثبات حجية الأولياء:

ومن الأساليب القرآنية الكثيرة نذكر هنا:

#### الاسلوب الاول: اسلوب الفضائل ودلالته على حجية الاولياء:

مر علينا مرارا في البحث المنهجي المعرفي وعلوم المعرف أن الفضائل والفضيلة أسلوب ذكي لبيان وبرهان مراتب الحجية، فحين يقال فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الأمر ليس قضية فضيلة بل هو قضية أدلة على الحجية وبيان لها، وكل فضيلة هي دليل حجية فيعبر عنه بلسان

العقل العملي فضيلة وبسان العقل النظري برهان، فالفضائل إذا كانت من نمط لدني فهي تعني الحجية وتبين منصب لدني، وهذا أسلوب مداراتي من القرآن أو أسلوب تقيي من القرآن وأسلوب امني في البيان، لأن الأمور إذا طرحت بصراحة تسبب ترد بعض الفئات والتيارات أو تؤدي إلى جرأتهم على تحريف القرآن فحفظاً من القرآن على نفسه يستخدم الأسلوب المداراتي، وهو نوع من التقية بالمعنى الأعم، فلما يكون القرآن في أسلوب لطائف وأسلوب إشارة وأسلوب حقائق فمعنى هذا أسلوب تقية وتحفيت الأمور ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُولُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

ناهيك عن وجود مبدأ الاختبار في اعتقاد الاشارات مع الاخفاء النسبي للتوصل للحقيقة من خلال غموضها نسبياً وهو امر اعتمدته القرآن والأنبياء والمعصومين مع الامم والافراد في كثير من الحالات.

ومثلاً من اهم تلك القضايا في القرآن الكريم وروایات النبي ﷺ لبيان قضية دلائل حجية علي عليهما السلام بعد رسول الله عليهما السلام ك الخليفة وكم منصب وبيان مقام أهل البيت عليهما السلام في بينها القرآن بأسلوب الفضائل، ففي أسلوب الفضائل المعاند لا يهتمي بسهولة وبصراحة فيقع المرء باختبار ومواجهه وبحث نحو الحقيقة في أن هذا تنصيب وبيان منصب وحجية ومقام أو يأخذها من باب الثناء العام، مع انه يغرضه ذلك الثناء، وللأسف التعاطي من كثير من فرق المسلمين مع الفضائل لأهل البيت في القرآن أو روایات السنة النبوية انه يعني مدح وثناء ولا يرتقي إلى شيء آخر وهذا خطأ معرفي فادح كبد الأمة خسائر كثيرة عبر التاريخ والخسارة مستمرة لحد الان !!!.

ان أسلوب الفضائل في القرآن هو أسلوب دلائل وحجج وبراهين وليس صرف ثناء وخطاب ومدح وشعر وترنم وانس؟، كلام وإنما هي براهين بأسلوب الفضائل.

وقد تصدى سيد الأنبياء لبيان أفضليته على بقية الأنبياء بمعنى أن حجتيه مقدمة على حجية بقية الأنبياء، ونفس التعبير «لو كان موسى حيا ثم لم يؤمن بنبوتي لم ينفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوة» فهنا عندما يبين النبيُّ أفضليته على إبراهيم ونوح وأدم وموسى وعيسى وباقى الانبياء معناه أن حجتيه مقدمة وهم ملزمون أن يتبعوه.

### الأسلوب الثاني: مقدار الأدب مع الأولياء وعلاقته بالحجية:

قد وجدنا وذكرنا أسلوب مهم متبع في الشريعة والقرآن وهو الأدب والاحترام والحرمة، فحينما يقال أن لهذا الولي أدب وحرمة أكثر من ذلك معناه أن مقام حجتيه مقدم وهذا أسلوب أخلاقي آخر لبيان الحجج والبراهين، ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾<sup>(١)</sup> فلم يقل الخضر لموسى اتبعني فان هذا أمر ولا يمكن للحضر ان يقول ذلك بل قال «أن اتبعكني» فالخيار راجع إليك وهذا ليس فقط بحث أدب و موقف أخلاقي من الخضر بل بيان موقعية ومقام النبي موسى وموقعية الحضر وهو أن لكل منها مقام ولكل منها فضيلة، فحجيتهم متشاطرة وليس أن حجية أحدهم على الآخر بشكل مطلق بل لكل حجتيه في مجاله كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ وهذه نكات مهمة في بحث الآداب، وهذا راجع إلى نفس بحث الآداب لأن كل عقيدة لها انعكاس في الآداب والأخلاق وكل أصل اعتقادى ينعكس على أصل أخلاقي، فالأمر الأخلاقي ينعكس على فعل من الأفعال الجارحة في البدن وكذلك الأفعال في البدن تؤثر على توليد الصفة الأخلاقية والصفة الأخلاقية تولد المعتقد كما

تشير له الآية وأشارت لها العقيلة عليها السلام ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ﴾ أي فعاليهم فحينئذ إذا بين أدب وخلق معين هو نفسه برهان على مطلب اعتقادي.

مثلاً التواضع الذي تشير له الآية ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُنُّا وَإِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(١)</sup> وهذه أول صفة فيهم، والتواضع معناه معايشة التوحيد وهو أنا مخلوق وعبد فقير والبقية مخلوقين وفقراء إلى الله، فليس له معنى أن افرق بيني وبينهم فيكون هذا تواضع، فالتواضع عبارة عن توحيد وليس هناك فرعون نفسي وإنما هناك الله واحد وليس هناك أرباب، فالتواضع يكون من هذه الزاوية برهان التوحيد أو دليل التوحيد وأيته، وهو اسمه أدب ولكن حقيقته يرجع إلى بحث معرفتي ببرهاني.

فلسان الأداب في الحقيقة لسان برهان وحجج ومقامات، فقد ورد مستفيضاً ان الإمام المهدي يتقدم على النبي عيسى بعد ان يطلب من عيسى ان يتقدم للصلوة لكن عيسى يؤكده انه لا يتقدم على المهدي عليه السلام فقد أخرج أبو نعيم عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وَاللهُ) وسلم:

«ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّينا، فيقول: لا وان بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمة»<sup>(٢)</sup>.

فهو ليس فقط تعارف وآداب صورية وإنما لها كنه معرفي وهو أن حجية المهدي هتعلو على حجية النبي عيسى، وهذه الروايات موجودة في مصادر فرق المسلمين والبعض يقول هذا من

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

(٢) العرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطى ص ١٣٤.

باب الآداب والاحترامات والمجاملات ومن ثم يقولون ان النبي عيسى حجيته أعلى والصحيح ان كلامهم هذا لا يمكن وليس بصحيح اطلاقاً، لذلك النبي لكي يستدل على أن حجية موسى وعيسى دون حجية سيد الأنبياء واللازم الأخذ بالحجية الأكبر قال ومن ذريتي المهدى إذا خرج نزل عيسى بن مرريم لنصرته فيقدمه ويصلّي خلفه،

**رويَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:**

«مِنْ ذَرِّيَّتِي الْمُهَدِّيِّ إِذَا خَرَجَ نَزَّلَ عِيسَى ابْنُ مَرِيمَ لِنُصْرَتِهِ فَقَدَّمَهُ وَصَلَّى خَلْفَهُ»<sup>(١)</sup>.

وهذا منسجم مع سياق أن النبي موسى لو لم يؤمن بي وبنبوي فلم ينفعه إيمانه شيئاً. إذا الفضائل والآداب براهين أخرى على مقامات الحجج، وليس فقط مجرد آداب وأعراف بشرية بل هي آداب إلهية تعكس حقائق ودلائل براهين على المقامات.

فالرسول ﷺ مثلاً عندما يحترم ابته فاطمة الزهراء ؑ ويقوم قائماً ويقبل يديها.

**روي عن عائشة:**

«أَنَّ فاطمَةَ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ إِلَيْهَا مِنْ مَجْلِسِهِ، وَقَبَّلَ رَأْسَهَا، وَأَجْلَسَهَا مَجْلِسَهُ. وَإِذَا جَاءَ إِلَيْهَا لَقِيْتَهُ، وَقَبَّلَ كُلُّ الْآخَرِ، وَجَلَسَا معاً»<sup>(٢)</sup>.

عن عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت:

«ما رأيت أحداً كان أشبهه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله، وكانت إذا دخلت عليه

(١) بحار الأنوار ١٤ / ٣٤٩، للعلامة المجلسي .

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١١٣ .

رَحِبَّ بِهَا وَقَامَ إِلَيْهَا فَأَخْذَ بِيَدِهَا فَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ»<sup>(١)</sup>.

فإن الفريق الآخر يفسر ذلك انه حنان وعطف على البنت، ولكن الصحيح ان المسألة ليست كذلك فهو لاء الحجاج الإلهيون لا يفعلون ذلك من باب آداب صورية وتعارفات وتشريفات بل هي حقائق ودلائل علو مقام الزهراء وان لها شأن خاص وخطير، فالنبي ﷺ يربى المسلمين على حرمة هؤلاء الاوليات العظام بشكل بارز وامتياز خاص وان هذا ليست تعارفات صورية، فهم يقولون انه أخذته حنية الأبوة، كلا ليس الأمر كذلك وإنما ترتبط هذه بمقامات وحجج، ونفس الأمر في قوله «من أغضبها أغضبني ومن أغضبني أغضب الله» فهذا ليس فقط آداب وإنما هو بيان حجج.

### الاسلوب الثالث: اساليب اخرى كالقصص والامثال وغيرها:

هذه نكتة مهمة وهو أن الأسلوب المعرفي قد يبين بأساليب متعددة، لذلك القرآن مثلاً القرآن عنده أمثال ووعظ والجدال والتي هي أحسن وعنه قصص وحكم فهناك ثمانية أبواب من أساليب القرآن الكريم وكلها براهين، والكثير من المفسرين حتى من الوسط الداخلي يعتبرون الحكم براهين أما الوعظ والقصص أسلوب غير برهاني لتفهيم الحقائق لمن ليست له القابلية لفهم البراهين، وهذا كصورة صحيح ولكن كلب ليس بصحيح فإن الأمثال براهين والوعظ أيضاً براهين والقصص براهين لذلك يعبر القرآن الكريم ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبَرٌ لِّاُوْلَئِكَ الْأَلْبَيْ﴾ فهيء بحث عقلي لذلك قال اولي الالباب أو قوله جل جلاله : ﴿وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ١٥٤:٣

وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ<sup>(١)</sup> أي لا يتعقلها إلا من هو عالم، فهذه الأبواب الثمانية في القرآن التي منها النذارة والبشاراة أيضاً كذلك، فان احد البراهين أسلوب النذارة أو البشاراة، لذلك ذكرنا في فرق بين لسان وصيغة الحجة في باب العقل العلمي ولسان وصيغة و قالب الحجة في العقل النظري، فان التنجيز والتعديل وهو لسان الحجية في باب العقل العلمي، ونفسه برهان في باب العقل النظري، فان هذا تعبير وعبرة أي تعرف الترادفات بين الحقائق والتشاكل والتماثل.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

المبحث التاسع: العصمة

الحادي عشر العصمة عموماً وعصمة الآنياء خصوصاً واسع ومتشعب ونحن وفي أجواء

**المحاججة النبوية نجمل الكلام في مجموعة من الجوانب:**

## الجانب الأول: معنى وتعريف العصمة:

«أنظنون أن رجالاً يعتصم طول هذه المدة بحول نفسه وقوتها أو بحول الله وقوته»

العصمة لغةً: عَصْمٌ، يعصم من باب ضَرَبٍ: حَفَظَ وَوَقَىٰ<sup>(١)</sup>.

## فالعصمة في كلام العرب: معناها المぬ<sup>(٢)</sup>.

ذكر هنا تعريف للعصمة وهي أن العصمة دوماً بمدد وتأييد رباني وقد قال الشيخ

**محمد، ضاحي المظفر قدسُهُ أَنَّ العصمة:**

«هي التنتّه عن الذنوب والمعاصي، صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسوان، وإن لم

(١) راجع المصباح المنير: ٤١٧ مادة «عصَم».

(٢) مختار الصحاح: ٤٣٧ مادة «عصيم».

يمتنع عقلاً على النبي ﷺ ان يصدر منه ذلك، بل يجب ان يكون مُنزّهاً عما ينافي المروءة، كالتبذل بين الناس من أكل في الطريق، أو ضحك عالٍ، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام»<sup>(١)</sup>.

إذاً عصمة النبي ﷺ في سلوكه العلمي والعملي أدل دليل على ارتباطه بالغيب، وشرط النبوة العصمة وهي كاشف إني عن وجود ارتباط بالله تعالى يقول العلامة الطباطبائي قده<sup>(٢)</sup>:

«العصمة الالهية: التي هي صورة علمية نفسانية تحفظ الإنسان من باطل الاعتقاد، وسيء العمل»<sup>(٣)</sup>.

«فهل جرتم عليّ منذ نشئت إلى أن استكملت أربعين سنة خزية أو زلة أو كذبة أو خيانة أو خطأ من القول أو سفها من الرأي» فالخزي يرتبط بالإعمال والزلة علمية والكذبة امر عملي والخيانة عملي وخطأ من القول منبعه العلم وسفها من الرأي علم وعمل فكلها وجدتها ليس فيها أي مؤاخذة «أتظنون أن رجلاً يعتصم طول هذه المدة بحول نفسه وقوتها أو هو بحول الله وقوته» فإذا كان بحول الله وقوته فهذا مدد رباني **﴿فَوَجَدَاهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾** **﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾** **﴿إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَيِّئًا﴾** **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاءً وَدَاءً فِي مِنَّا فَضْلًا﴾**، إذاً المقامات الغيبة هي بفعل من الله تعالى، وهذا بحث آخر في العصمة فمع أنها فعل من الله كيف لا تكون جبرية؟، يوجد مقامين بعدم الاتصال بالجبر هما في أصل الاتصال بهذه

(١) عقائد الإمامية - تحقيق محمد جواد الطريحي: ٢٨٧.

(٢) الميزان - السيد الطباطبائي ١٦: ٣١٢.

الصفة وفي صدور الأفعال عن هذه الصفة ليست جبر، ولكن هي ليست تفويض بل فيها جنبة فعل من الله متمحض.

من كلام الإمام الرضا عليه السلام:

«إن الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليهما السلام بعد النبوة والخلقة، مرتبة ثالثة وفضيلة شرفة بها، وأشاد بها ذكره، فقال: (إنّي جاعلك للناس إماماً...).»

إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأووصياء... إن الإمام زمام الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين....

الإمام يحل حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيّم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحججة البالغة...»

الإمام الماء العذب على الظباء، وال DAL على المهدى، والمنجي من الردى... والدليل في المهالك من فارقه فهالك... الإمام المطهر من الذنوب المبرأ عن العيوب... الإمام واحد دهره لا يداريه أحد، ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كلّه، من غير طلب منه له، ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب. فمن الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟! هيئات هيئات....

فكيف لهم باختيار الإمام؟ والإمام عالم لا يجهل، وراعٍ لا ينكل معدن القدس والطهارة والنسل والزهادة والعلم والعبادة...»

نامي العلم، كامل الحلم، مضطّل بالإمام، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم

بأمر الله عز وجل ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله»<sup>(١)</sup>.

واللطيف هنا تعريف الشيخ المفید العصمة في الاصطلاح الشرعي بآئتها:

«لطف يفعله الله تعالى بالمكلف، بحيث تمنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة، مع

قدرته عليهما»<sup>(٢)</sup>.

### الجانب الثاني: العصمة اصطلفائية وليس كسبية:

مر بنا البحث في محاور الحضارة والتحضر والمدنية والتمدن في حوار النبي ﷺ ووصلت النوبة إلى محورية العدل في الحضارة والتمدن، وضمن بحوث العدل أن الباري تعالى لا يؤثر أحداً بالفضيلة والإنعم والمنصب الأفضل في المراتب إلاّ الأفضل في طاعته والاجد في خدمته، ومر بنا أن العصمة ليست كسبية وإنما هي اصطلفائية وفرق الاصطلفائية هو علم الباري بما يكون عليه من طاعة العبد في المستقبل طاعة قصوى فيصطفى به منذ أوائل نشأته بل حتى نشأته في الأصلاب والأرحام وهي ليست جبر، يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«إذا علم الله تعالى حسن نية من أحد اكتنفه بالعصمة»<sup>(٣)</sup>.

وهذا مثل من إعداد البيئة الصالحة للمؤهلين فان علم الخبراء او التربويين باهذه الثلة من الطلاب أنها مؤهلة للمستقبل بكفاءات فسيهيئون بيئه خاصة بهم لأجل ان لا يظلمون لأن لهم قابليات أكثر وجدارة وجدية أكثر وبالتالي فانهم يميرون تلك القابليات لو لم

(١) اصول الكافي ١: ١٩٨ - ١، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.

(٢) النكث الاعتقادية ١٠: ٣٧.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٨٨.

يبيئوا لهم بيئة فيكون ذلك من الظلم فيعزمون لتهيئة الاجواء المناسبة من العدل، ومن هذا القبيل نفس مفهوم العصمة فهو اختيار واصطفاء من الأول وهو أمر بين أمرین وليس هي تفویض أي أنها کسبية فهذا توصفی في غير محله. نعم بعض المقامات الغیبية التي لا ثبات لها مثل صیرورة الإنسان من أصحاب اليقين أو من أهل التقوی أو يؤتی الحکمة ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَأَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ بَرَزَى الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> فإذا وصل إلى مقام الإحسان يعطى الحکمة اللدنیة والعلم الخاصل ولكن ليس هذه بمعنى الحجية ولا بمعنى الاصطفاء ولا بمعنى العصمة، بل يعطی ما دام هو ثابت في مقام المحسنين فما أن يتردى الإنسان إلا ويسلب منه أي مقام كما كان حال بلעם بن باعورا.

ومر بنا أن صاحب العجزة يكون من المصطفين وهو بخلاف غير صاحب العجزة مثل صاحب كرامة ففي فترة تجده صاحب كرامة وفي فترة قد تجده صاحب ندامة، إذاً الفرق بين مقام العصمة في النبوة والرسالة والاصطفاء فتلك اصطفائیة ومعنى اصطفى من صفتی والصفوة ومتي يصفي سيختاره الباري ويختنه في عالم العلم، بمعنى ان الباري لعلمه بالمستقبل يحدد من هو السابق عن غيره وهذا يعبر عنه بالامتحان في عالم العلم الإلهي وهو عبارة نوع من التقنية والانتقاء والغربلة والتصفیة فالأجر بحسب علم الله يكون له مقامات وعن الإمام الصادق عليه السلام في جواب له لزنديق يوضّح ما ذكرناه:

قال الزنديق: «فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع؟».

قال عليه السلام: «الشريف المطيع والوضيع العاصي»، قال: «أليس فيهم فاضل ومفضول؟»

قال اللَّهُمَّ: «إِنَّمَا يَتَفَاضِلُونَ بِالْتَّقْوَىٰ».

قال: «فَتَقُولُ إِنَّ كُلَّ وَلَدَ آدَمَ سَوَاءٌ فِي الْأَصْلِ لَا يَتَفَاضِلُونَ إِلَّا بِالْتَّقْوَىٰ؟»

قال اللَّهُمَّ: «نَعَمْ إِنِّي وَجَدْتُ أَصْلَ الْخَلْقِ التَّرَابَ، وَالْأَبَ آدَمَ وَالْأُمُّ حَوَّاءَ خَلْقَهُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَهُمْ عَبْدُهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَنَّاسًا طَهَّرَ مِيلَادَهُمْ، وَطَيِّبَ أَبْدَانَهُمْ، وَحَفَظَهُمْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، أَخْرَجَ مِنْهُمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالرَّسُلَ، فَهُمْ أَرْكَى فَرْوَعَةً وَحَفْظَهُمْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، أَخْرَجَ مِنْهُمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالرَّسُلَ، فَهُمْ أَرْكَى فَرْوَعَةً آدَمٌ».

«فَعَلَ ذَلِكَ لَا لِأَمْرٍ اسْتَحْقَوْهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ حِينَ ذَرَاهُمْ أَمْثَمْ يَطِيعُونَهُ وَيَعْبُدُونَهُ وَلَا يَشْرُكُونَ بِهِ شَيْئًا، فَهُؤُلَاءِ بِالطَّاعَةِ نَالُوا مِنَ اللَّهِ الْكَرَامَةَ وَالْمُنْزَلَةَ الرَّفِيعَةَ عِنْهُ، وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَهُمُ الْشَّرْفُ وَالْفَضْلُ وَالْحَسْبُ، وَسَائِرُ النَّاسِ سَوَاءٌ. أَلَا مَنْ اتَّقَىَ اللَّهَ أَكْرَمَهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ أَحْبَبَهُ، وَمَنْ أَحْبَبَهُ لَمْ يُعَذَّبْ بِالنَّارِ...»<sup>(١)</sup>.

والمعنى العام ليس خاص بالعصمة بل خاص بكل قابليات ومهارات نفس البشر، وحتى في علم التجيم مثلاً يقول إذا ولد في ساعة كذا فهذا ساعة ملوك أو ساعة رؤساء وهذه ساعة مفكرين أو شعراء وهذا يعني بيئة مناسبة سواء من عقد النطفة أو ساعة الولادة أو بيئة الترعرع، وإن كان ما يذكره المنجمون ليس علل تامة فان نفس علم التجيم ونقصد الصحيح منه هو علم من علوم الأنبياء، وعلى أي تقدير هذا كله دال أن الباري تعالى لا يظلم مثقال ذرة بل عدل لا يحور بل هو محسن على خلقه وبالتالي يهوي لهم بيئات لنمو القابليات وحتى المهارات تنمو وتتفق كل مهارة من مهاراتهم.

إذاً بحث الاصطفاء بلحاظ العصمة هو عام أما المقامات الكسبية أي ليس هو واجد لهذا المقام وإنما يسعى في دار الدنيا ليحصل عليه وهذا غير متصور في العصمة أو الإمامة أو الحجية.

يقول، «وإنما معاملته بالعدل فلا يؤثر أحدا لأفضل الدين وخلاله إلا الأفضل في طاعته والاجد في خدمته وكذلك لا يؤخر في مراتب الدين وخلاله إلا أشدhem تباطئا عن طاعته» وهذه ضابطة عامة «وإذا كان هذا صفتة لم ينظر إلى مال ولا إلى حال بل هذا المال والحال من تفضله هو» فكيف يصير هو المعيار «فليس لأحد من عباده عليه ضرورة لازبة» أي لازمة حتمية ونقول طين لازب أي يلتصق بقوه «فلا يقال إذا تفضلت على عبد فلا بد أن تتفضل عليه بالنبوة» هو من فضل الله وليس لأجدريته وليس جزاء عمل، وبعبارة أخرى حتى النبوة قد تسمى جزاء عمل ولكن جزاء متقدم على العمل، وليس فقط العصمة بل بقية الأمور المساعدة على نمو المهارات والقابليات والتي يهيئها الله تعالى هي في الواقع جاء متقدم للعمل «فلانة ليس لأحد إكرام الله تعالى على خلاف مراده ولا إلزماته تفضلا لأنه تفضل قبله بنعمه» أي لأنه تفضل على العبد قبل طلب العبد لنعمه فالعبد مفتقر تكويناً لتلك النعمة أو العطاء.

### الجانب الثالث: طول العبادة عاصم عن الزلات:

وهناك تعير للعلامة الطباطبائي في تفسير سورة يوسف يغایر به المفسرين وهو تفسير قوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتِ يَهُ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَبَّا بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ ليس هذا في مشهد هذا الحدث كما موجود في التفاسير، بل لو لا أن النبي يوسف طول هذه المدة يرى برهان جمال الرب لكان

مقتضى عمله وفق الغرائز الطبيعية عند الآخرين فالتبصر ببرهان الله يربى النفس على أعلى مستويات التربية، ثم ان زليخا كانت أجمل فتاة في مصر وفي قصر وترف وزوجها كان عنيين، ومع كل هذه الظروف الملتهبة في الإثارة فهنا الإنسان من نفسه لا يعصم إلا في استغرافه ودأبه في مشاهدة جمال الحق هو الذي دعاه إلى الاستعصام، وهذا مثل وتعليم وتربيه لمن أراد أن يستعصم من الشهوات في مقابلتها لابد أن يتذوق جمال الغيب وإلا لا يستعصم، فإذا أتى العادات بذوق فإنه وبالتالي يلمس العالم الروحية بذوق وتلذذ وسوف تسبب له حالة من العزوف والانكفاء عن الحضيض المادي وحينها لن ينزلق الإنسان، وتعبير النبي ﷺ بهذا المعنى «أنظنون رجالا طول هذه المدة» وفي تعبير أمير المؤمنين ع في دعاء الصباح «وصل على الدليل إليك في الليل الاليل» أي أن الجاهلية كانت ليل مظلم «والثابت القدم على زحاليفها في الزمن الأول» فالجاهلية كانت زحلف وانلاق شديد في كل الجوانب، وفي هذا الدعاء العظيم شرح لمقامات النبي ﷺ العظيمة فالنبي ﷺ كان يعيش في مجتمع انزلاقات إلا أنه ثابت القدم على التوحيد، فإذا كان النبي يوسف قد امتحن بزليخا فالنبي قد امتحن بزليخات وفراعنة حتى قال «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت».

ولعبادة المعصومين مستويات عالية لا يمكن لنا ادراكتها وأئمة أهل البيت ع هم قدوة الأمة بل كلخلق في العبادة، والإخلاص والتسلیم لإمر الله سبحانه.

وكان ديدنهم العبادة فقد روى أن الإمام موسى الكاظم ع عندما كان في السجن كان يقول: «إني دعوت الله أن يفرغني للعبادة ففعل».

وقد روى عن الإمام العسكري ع عندما أودع السجن أيام الحكم العباسى، أنه كان

يصوم نهاره ويقوم ليلاً، لا يتكلم ولا يتشغل بغير عبادة الله سبحانه.

#### الجانب الرابع: كيفية تسلط الشيطان على بدن المعصوم:

في مشهد قراني ﴿قَالَ بْلَ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَّاهُمْ وَعِصِّيهِمْ يُخْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سُحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾<sup>(١)</sup> فهنا كيف السحر يخيل للنبي موسى أن عصيهم تسعى فهنا وقع الكلام كيف يتسلط السحر على أحد الانبياء العظام أو انه سلط الله الشيطان على بدن أيوب ومشهد اخر عندما مرض النبي من سحر بعض اليهود، فالسحر يرتبط بالأعصاب ثم بالبدن أي بجنبة روحية نازلة ثم بالبدن وليس بالبدن مباشرة، وهذه المشاهد لا تتنافى مع النبوة ولا مع العصمة ولا مع ما توهمه الآخرون، فالآثار على البدن فيقول ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى \* قُلْنَا لَا تَخْفِ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، وهذا غير ما يدعوه هم وكما في سورة الحج ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّ كَيْدُ الْقَى الشَّيْطَانِ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَسْخُنَ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فهم يقولون يتسلط حتى على قلبه وعلى روحه ويوحى إليه كوحى جبرائيل، ونقول هذا ممتنع وباطل، صحيح أن الشيطان عنده وحي ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَينَ لَيُوْحُونَ إِلَى أَوْلَائِهِمْ﴾ لكن ليس وحي الهي نبوي بل الشيطان يحارب بني ادم.

وهذا غير ما يدعونه هم لأن هذه المباحث يجب أن يبينها المعصوم وإلا لا يلتفت إليها أحد لأنهم ليهلا هم صقور عالم الغيب والملائكة، فالطرف الآخر قالوا انه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّ كَيْدُ الْقَى الشَّيْطَانِ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَسْخُنَ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ

**يُحَكِّمُ اللَّهُ أَيَّاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**<sup>(١)</sup> فهم قالوا بمعنى يلقى في قلبه وروعه كما يلقى جبرائيل أو يلقى الله من الوحي، فهم يقولون سلط الشيطان على سيد الأنبياء وقال آيات الغرانيق الأولى، والتي سليمان رشدي صاغ مجموع روایات موجودة في كتب أهل السنة في الصلاح باسم الآيات الشيطانية بل أن ما موجود في الصلاح أعظم مما كتبه سليمان رشدي مع الاسف ومن ثم لم تصدر من قبلهم فتوى ضد سليمان رشدي، لأن ما موجود في مصادرهم أعظم من هذا فهم يقولون أن هناك آيات شيطانية تسلط بها إيليس على رسول الله وهو باطل فقال «أن الغرانيق الأولى شفاعتهم لترتحي» .... فقالت قريش صالحنا محمد، والآن المفسرين المتأخرين منهم يستنكفون أن يكتبوا هذه الروایات وقالوا هذا أمر لا يصدق ولا نعيا بهذه الروایات.

وسمة آية الحج فيها ملحمة معرفية في معرفة النبوة وتسلط الشيطان على المعصوم فهناك في كلام أهل البيت ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا إِذَا تَمَّتَ الْأَقْرَبَ الشَّيْطَانُ فِي أُمَّيَّتِهِ فَيَسْخُنُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ أَيَّاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ<sup>(٢)</sup> وهنا يقول أهل البيت أمنية النبي والرسول ليس في أفق ذهنه وقلبه وروحه وإنما هي خارجه عن ذاته فأمنيته هي نفس هداية المجتمع الخارجي فأمنيته هداية الناس واهتداء الناس واستقامتهم واستقامة من أرسل إليهم، فقوله **﴿أَلَقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمَّيَّتِهِ﴾** اي فتن الشيطان القوم الذي بعث إليهم وكان يتمنى هدايتهم، فهناك رد على دعواهم من جهتين الأولى هو من قبل ليس الذي هم قالوه ومن جهة ثانية معنى الأمينة، وللطيف انه في رواية أهل البيت بيان **﴿أَلَقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمَّيَّتِهِ﴾** يعني نفس في قومه ،لان أمنيته استقامة قومه وألقى في طريق استقامة

قومه فتنه يضل ويفتن به قوم وأمة ذلك النبي ﷺ، إذا الفتنة خارجية عن ذاته وعقله وروحه وقلبه.

وهذا التقرير ليس مجازي وهو مثل إنسان يقول أن مقصودك وغاياتك من هذا الفعل البناء عشرة طابق أو البناء خمس طابق فالمقصود الغاية ليست في أفق الذهن وإنما لخاطر فالغاية والهدف والأمنية يطلق على معنيين أي العينية الخارجية أو الوجود التقريري الذهني، وهم قد ظنوا التقرر الذهني وهذا استعمال شائع للأمنية وللغاية والمقصود والقصد، مثل قوله قصدك عشرة طابق أو عشرين طابق.

اتفاقاً هنا قرينة على الخارج لأن النسخ هنا تكويني بمعنى يغلب أو يغالب الله المدى على الضلال أو على الظلمة، وكما يقول الفلاسفة والمتكلمون والأصوليون والفقهاء أن الأممية والقصد تارة تطلق على الوجود الخارجي للغاية وإلا الوجود الذهني للغاية ليس غاية وإنما علة فاعلية، وإنما هي غاية بلحاظ الوجود المعلول الخارجي، وهذا تعبير ذكره في الفلسفة والفقه والمنطق والأصول أن استعمال الغاية أو القصد أو الهدف أو الأممية أو المقصود تطلق على معنيين وعلى مقامين وهنا المراد الوجود الخارجي.

فهنا الذي فسروه من سلط إبليس على قلب النبي تنفيه آيات عديدة ﴿وَمَا تَنَزَّلْتُ بِهِ الشَّيَاطِينُ \* وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ \* إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَعَزُولُونَ﴾ فما يمكنهم الدخول إلى هذه القناة النبوية، وهناك آيات أخرى تدل أن الشيطان لا يمكنه أن يدخل القناة الوحيانية ففي آية أخرى أنهم محظوظون عن السمع أصلاً، بل حتى في جملة من الآيات فسرت ظهورها الروايات ويمكن ببركة تلك الروايات تحصل القدرة على بيان ظهورها في

ذلك وتحتاج إلى تدبر أكثر، فتكلم الله مع موسى لم تكن الأشياء التي حواليه تسمع بل ولا كان الملائكة الكروبيين بعضهم يسمع، وفي دعاء السمات يوجد تعبير من هذا القبيل فان بعض الكلام الإلهي حتى الكروبيين لا يسمعه، إذا هذه القناة الوحيانية فيها آيات عديدة فضلا على الروايات وهذا هو فرق المقصوم عن غيره، وهو أن غير المقصوم انه يمكن أن يدخل في قناة تلقية القلبية ويسلط عليه الشيطان، فعندهنا بعض أصحاب الأئمة من أهل الإسرار وليسوا تلامذة عاديين بل وصلوا إلى المقامات ولكن للأسف لم يستقم بعضهم على الطريقة كما يذكرهم الكشي فسلط عليهم الشيطان كابن أبي زينب وأمثلة كثيرة وحالهم كحال بلעם بن باعوراء الذي كان من أصحاب الإسرار الذي لم يستقم فانزلق وهذه عبرة ذكرها القرآن لكل متقي وأصحاب اليقين وهو الاستعصام بالله وإلا في نهاية المقام قد ينزلق.

فبالنسبة إلى غير المقصوم سبب عدم الحجية ما يتلقاه من مكاففات ورؤى أن قاته غير معصومة عن تسرب إبليس والشيطان، وهذا البث الأنثري هو بث قد يتoshوش ويدخل معه بث معاكس ومضاد كبث شيطاني عفريتي ﴿وَحْفِظَاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى وينفذون من كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً وَلُمْ عَذَابٌ وَاصْبُرْ إِلَّا مَنْ خَطَّفَ الخطفة فاتَّبعَه شَهَابٌ ثَاقِبٌ<sup>(١)</sup> فأولئك عندهم أنثريات ولطافة عجيبة غريبة، مع ان أولئك يحاولون أن يسمعون وينصتون فعندهم أذان فيركزون بعض الأحيان ويسمعون ولكن في الوحي النبوي لا يستطيعون أن يدخلون في خط قناة الوحي ليس فقط هم بل بعض أقسام الوحي جبرائيل لا يطلع عليها كما في قوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا

الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَيْرًا<sup>(١)</sup> فهذه الرؤية ليس فقط إبليس والأبالسة لم يعلموا بها بل حتى جبرائيل ما فطن بها «نزل إلى النبي فراه مغموما فقال يا رسول الله مما غمك قال لرؤيا رأيتها فصعد جبرائيل فنزل بالآية» فلم يكن يدرى بالرؤيا وهذه الرؤيا نوع وحي، وبعض أقسام الوحي كما في الروايات ليس بينه وبين الله واسطة أو ملك وذلك الوحي قد يكون بشكل ذبذبات - وهذا مجرد تقريب - فتكون قدرة التقاطه لها اكبر من قدرة التقاط جبرائيل، فلذلك حتى الاطلاع على الوحي ليس من شأن كل الملائكة ليكونوا أمناء الوحي الإلهي ولا كل المقربين إنما جبرائيل وميكائيل واسرافيل ووعزرائيل لا يدخل على الخط كما في الروايات، أما حازن الجنان أو النيران أو ملك السماء الدنيا أو السماء الثانية فأولئك لا يسمعون فضلا عن الشياطين والأبالسة نعم هناك قنات من بحث القضاء والقدر التحتاني يسمعون إليه فيقدرون من كل جانب أما الوحي فهو شيء آخر.

إذا حسب الآيات الكريمة فان الوحي أقسام ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرِسِّلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> مما يعلم انه ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ معنى بدون حجاب، يعني ليس الآخرون يسمعونه، والوحي بالمعنى الأعم ففي حالات يغشى على النبي ﷺ كما في بعض التعبير وذلك عندما يتجلى الله له، وكما في الرواية ورد عنهم عليه السلام :

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٠.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥١.

«إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل»<sup>(١)</sup>.

ويستمر الباحثون الفيزيائيون والروحيون الجدد والباحثون القدامى وحتى الفلاسفة، والمقصود من المذاهب الإسلامية الأخرى ولا أقول كلهم كل أولئك الأصناف قالوا يتسلط الشيطان على قلب النبي<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> أو روحه استناداً لآية الحج وهذا مما لا تقره مدرسة أهل البيت كما تنفيه الآيات والروايات، لذلك في الروايات في قضية النبي أيوب نلاحظ الإمام الصادق<sup>عَلَيْهِ السَّلَامُ</sup> يقول:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَّبِعُ الْمُؤْمِنَ بِكُلِّ بَلَيْةٍ، وَيَمْيِيْتُهُ بِكُلِّ مِيْتَةٍ، وَلَا يَتَّبِعُهُ بِذَهَابِ عَقْلِهِ، أَمَّا تَرَى أَيُّوبَ كَيْفَ سَلَّطَ اللَّهُ إِلَيْهِ عَلَى مَالِهِ وَعَلَى وَلَدِهِ وَعَلَى أَهْلِهِ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِّنْهُ، وَلَمْ يُسْلِطْ عَلَى عَقْلِهِ، تَرَكَ لَهُ لِيُوَحِّدَ اللَّهَ بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وحصر التعبير بعقله وقلبه تخيله قد يسلط أو قد يتدخل أو بدنه أو الحسن المشترك، فالسحر يتصرف في الحسن المشترك وهو دون التخيل، والحسن المشترك هو جمع الحواس الخمسة بحيث أنت ربها يتصرف الشيطان أو الساحر فترى هذا الجدار فيه باب فتريد تدخل فلا ترى الباب لأن يتصرف في الحسن المشترك، وبالتالي الحسن المشترك أو لتخيل لم ينفعه القرآن الكريم والروايات ولكن في قلب النبي<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> وعقله فلا، حينئذ مهبط الوحي قلب النبي<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> وعقله لا يتنزل به الشيطان وما ينبغي لهم ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَغُرُولُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الحكومة الإسلامية للسيد الخميني.

(٢) الكافي / ٢٥٦.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

### الجانب الخامس: سيطرة المعصوم على النفس الجزئية مع وجود حاجات البدن:

القلب والعقل أيضاً أرواح وأنوار كليلة عظيمة، ويبقى تخيل النفس الجزئية في المعصوم أو الحس المشترك فهذا لا يعني انه غير معصوم وإنما ليس بمنأى عن حرب الشيطان وإلا المعصوم في فعل بدنه وخياله وحسه المشترك معصوم ولكن ليس بمعزل عن حراسة حرب الشيطان، فالمعصوم قد يقتل ويحزر رأسه ولكن لا ينافي العصمة، وأمير المؤمنين عندما بصدق عمرو بن عبد ود في وجهه فالنفس الجزئية تغضب ولكنه مسك نفسه ولم يقتله لغضبه، وبعض أهل الفضيلة والخطباء يقول لا اصدق بهذه الرواية، بينما ليس فيها خلاف العصمة وإنما تدل على حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام.

«إِنَّمَا هِيَ نُفْسِي أَرَوَّضُهَا بِالتَّقْوَىِ، لَتَأْتِي آمِنَةً يَوْمَ الْفَزْعِ الْأَكْبَرِ وَتَثْبِتُ عَلَى جُوانِبِ الْمَزْلِقِ»<sup>(١)</sup>.

فالنفس الجزئية للمعصوم تثار وتعطش وتجوع وهي تدرك العطش وقول النبي صلوات الله عليه وسلم ما أؤذينبي كما أؤذيت فهو مرارة تذوقها النفس الجزئية للمعصوم وإلا العقل او الروح احدهما لا يكل ولا يشرب ولا يمرض ولا يجوع ولا يعطش ولا يستمر مرارة ولا يستعدب حلاوة، فمكابدة بدن المعصوم أو نفسه الجزئية أو غرائزه الجزئية وهذا معنى الامتحان لذلك هو يشار وفي زيارة لأمير المؤمنين انه بعدما غصب حقه في السقيفة فكان هائج الغضب عظيم الحلم والصبر، فلا بد أن يغصب لاستنكار المنكر ولكنه عظيم الصبر فلا يخرجه عن الحلم والصبر، وبالتالي هذا نوع من التدبير والحكمة فكلا الصفات موجودة فيه، وهنا مكابدة

---

(١) نهج البلاغة، ج ٣، ص ٧٠.

المعصوم في النفس الجزئية في الحس المشترك وفي البدن لا تعني عدم العصمة وإنما تعني مكابدة وتعني امتحان ومرارة ولذلك يخرج المعصوم فكما يخرج بدنه تخرج عواطفه «صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليها» أي إيلام المعصوم فمصائب المعصومين ليس في ابدائهم وإنما في نفوسهم، كما في قول (جفتنا الأمة وأغلظت) وهذا يعبر عن مشاعر المعصوم، أو بيان الغربة لسيد الشهداء فهذه مرارة يحسها المعصوم أو وصف غريب الغرباء او وصف غريب طوس وتعبير الإمام الرضا للدعبل عندما اضاف بيتاً لقصيدته التائية المشهورة:

أَلْحَتْ عَلَى الْأَحْشَاءِ بِالْزَفَرَاتِ  
وَأَرْضُ بَطْوَسِ يَا لَهَا مِنْ مَصِيَّةٍ

وفيها تعبير أن هذه مرارة الغربية للإمام الرضا موجودة إلى يوم المعاش، والله العالم ما معنى هذا في عالم البرزخ، فهل المعصوم يبقى يستمر مرارة.

إذا في نفس المعصوم جوع يؤلمه والعطش يؤلمه وحشد العدو يؤذيه ﴿إِنَّ يَمْسَكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرَحٌ مِثْلُهُ وَتَلَّكَ الْأَيَّامُ نُدَا وِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ أَلَّذِينَ أَمْنَوْا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شَهَادَةً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٠) فالقرح إيماء، وتحليل معنى الجوع نوع من الوخذ الروحي النفسي وكلامنا ليس في المعدة بل كلامنا فيها هو أعمق فالجوع كما تصفه البحوث وخز روحي ومرارة روحية، ولذلك هو إدراك روحي مرتبط بالبدن، ولذلك تعبير

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِنِي﴾<sup>(١)</sup> فهو الإطعام من الله وليس من المادة، لأن إدراك الشبع بنزولات روحية وحتى الحيوان كذلك من جهة أنه ثبت له معاد ويرزخ ومن جهة أن له روح مدركة والنبات له درجة إدراك انزل.

إذا النفس الجزئية للمعصوم تؤلم وتؤذى وتکابد وتؤخر وتصرع الشيطان وتکابده كما تکابد الأعداء، وفي النبي ﷺ يوسف كان کابح للغريرة ولكن هذا الكبح للغريرة يؤذى لا انه هاجت فيه الغريرة وانه استرسل معها فهذه تنافى العصمة أما أن المعصوم في الحلال بمعنى طيبات وتلذذ الغرائز في الحلال موجود فيهم وهذا معنى وجود البشرية فيهم، وان كانت هذه في الروايات للإمام الصادق في كفاية الأثر فان الخراز فيها جاء عن الإمام الصادق يشرح الإمام أن تلذذ المعصوم بالغرائز كالنور لا كالبقية، مثل تلذذ أهل الجنة في النور لا في الظلمة فلا تلذذ ظلماني وإنما تلذذ نوري فالمعصوم تلذذه كأنما في جنة.

وبغض النظر فان هذا ليس فيه شوب ظلمة أو شوب غريرة شيطانية، إذا نفس المعصوم النازلة تکابد، وحيثند تخيل الشيطان أو يخيل إليه أو مسني الشيطان بنصب أو مرض بدن النبي ﷺ بالسحر الذي هو من عالم الأثيريات أو في عالم التأثير الروحي في النفس النازلة أو غيرها من الموارد، والتأثير ليس بمعنى السيطرة على المعصوم وإنما بمعنى المکابدة مثل أن السيف يخرج بدن المعصوم أو مثل الجوع فان هناك وخز روحي، أما انه يتشار ويخرج عن السيطرة والقيادة فلا، فاصل التأدي موجود (ما أؤذنينبي كما أؤذيت) واشد الناس بلاء الأنبياء، فعلينا أن ندقق في التعبير إذا كان التأثير بمعنى الهيجان اللاسيطر عليه فلا يمكن

وجود ذلك ، وحتى وصفناه بأنه اختياري أو غير اختياري وإنما القصة في السيطرة عليه أو عدم السيطرة .

والسؤال هنا هل أن الغير اختياري يسمى غير مسيطر عليه؟، وهل الحدوث غير مسيطر عليها فهل الحجم غير اختياري ؟، كلا، أو السيطرة عليه غير اختياري ؟، كلا ،الاشتعال غير اختياري ؟، كلا بل يسيطر عليه، والحدث قد يفهم بمعنى أن حجمه لا يسيطر عليه ولذلك من اللازم أن ندقق، في الأصول والحدود وتضييع الحدود خطر، مثلاً عندنا رواية أن الرسول أتاه قوم وفيهم شاب صبي أمرد فقال غيبوه عنِّي، فهذا ليس معناه النبي ﷺ غير معصوم وليس معنى العصمة أن النبي ﷺ يقع نفسه فيها، وإنما يوجد معنى آخر لها، والتعبير في الآية ﴿ قَالَ رَبِّ الْسِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُّ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِّنَ الْمُجْهَلِينَ ﴾<sup>(١)</sup> فهو ليس بمقابل على المعصية فصرفت عنه ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ﴾ أي نصرف السوء عنه وفرق بين أن يقول نصره عن السوء والفرق أن المتصروف هو مقبل والمتصروف عنه غير مقبل فهنا لم يقل نصره بل نصرف السوء وهي زليخة وفعلها فهو غير مقبل نحو السوء، ولكن المعصوم في حين انه غير مقبل يطلب من الله أن يصرف عنه، ويقال لهم من يوسف كما عن أهل البيت هم بالقتل وهو لم يهم بالقتل لعصمتهم ف (لو) تفید انه لم يقع لهم بالقتل وهو بخلاف أن قال أن أو إذا وكما في قوله ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ فهل فيهما آلة إلا الله .

**الجانب السادس: في مراتب طبقات المعصوم:**

(١) سورة يوسف: الآية ٣٣.

روي عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل: **وَكُنْتُمْ أَرْوَاجًا ثَلَاثَةَ ◊ فَأَصْحَابُ الْمُيْمَنَةِ ◊ وَأَصْحَابُ الْمُشَمَّةِ مَا أَصْحَابُ الْمُشَمَّةِ ◊ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ◊ أُولَئِكَ الْمُقرَّبُونَ ◊** فالسابقون هم رسول الله عليه السلام وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح أيدهم بروح القدس فيه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فيه خافوا الله عزوجل وأيدهم بروح القوة فيه قدروا على طاعة الله، وأيدهم بروح الشهوة فيه اشتتهوا طاعة الله عزوجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويحيطون، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فيه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة فيه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فيه اشتتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويحيطون<sup>(١)</sup>.

اتفاقاً هناك عن رواية عن موسى بن جعفر في أصول الكافي لبيان الأرواح المودعة في المعصوم من روح القدس وروح الشهوة وروح الغضب وروح الإيمان وروح القوة والقدرة ،وقال هذه الأرواح عدا روح القدس يصيغها السهو والكسل والكلل والملل والفتور والنوم إلا روح القدس، وان كان في بيانات أخرى حول شؤون المعصوم وردت لدينا في الروايات أن المعصوم روح القدس مع انه هنا ذكر كأعظم الأرواح ولكن في روايات أخرى أن روح القدس شعبة من أرواح أعلى موجودة في المعصومين، مثل النور والمراتب الأخرى، كما تفسير العسكري روح القدس في جنات الصاقورة نال من حداعنا الباكرة

فقد روى عن أبي محمد العسكري عليه السلام:

«وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكرة»<sup>(١)</sup>.

والرواية من درر روایات اهل البيت عليهم السلام قال عليه السلام:

«قد صعدنا ذري الحقائق بأقدام النبوة، والولاية، ونورنا السبع الطرائق بأعلام الفتوة، فتحن ليوث الوعى، وغيث الندى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل، وأسباطنا خلفاء الدين، وخلفاء اليقين، ومصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم فالكريم لبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكرة وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزاكية، صاروا لنا رداءً وصوناً، وعلى الظلمة إلهاً. وسينفجر لهم ينابيع الحيوان، بعد لضى النيران، لتهام الرواية، والغواشي من السنين..»<sup>(٢)</sup>.

ولمزيد من نفع القارئ الليبي نوضح المقطع المستشهد به من هذا الحديث «روح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكرة» فإن مما يمكننا ادراكه من معنها:

الكليم هو كليم الله موسى عليه السلام نال هذا المقام والاصطفاء من قبل الله تعالى لما عهدنا منه الوفاء اي ما صار كليماً إلا بولايته لأهل البيت عليهم السلام والإخلاص بعهده ووفائه لنا.

وروح القدس:

وهي الروح الموكلة من قبل الله تعالى بتعليم الانبياء وجملة من الاوصياء وبعض

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦ / ٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨ / ٣٣٨.

الاولى وتسديهم، وهي من اعلى الأرواح بين الارواح التي هي من الغيبات.

فأن تلك الروح العالية، مرتبتها في السماء الرابعة او الثالثة (على اختلاف التفاسير)، وهذه السماء تحتوي على جنة اسمها الصاقورة.

والتعبير الرائع هنا انها ليست نالت وأكلت بل فقط ذاقت فلا زالت في مقام الذوق فقط فعليه ان هذا الروح المقدس المسدد للأنباء بالنسبة لعلم ومقام أهل البيت لم يتعدى مقام الذائق فقط وكمية الذوق كانت بمقدار الباكرة الذي يعني البرعم، أول ما تزهر الشجرة او يعني الشمر في بداية نضوجه .

أي شعبة من الشعب فيصير التعبير روح القدس فما فوقه من الأرواح مودعة في المعصومين، وهذا يبين قدرات الأرواح أو القوى الموجودة في المعصوم مختلف عن بعضها البعض وهذه القاعدة البيانية قاعدة عظيمة جداً لفهم معضلات أحوال وشؤون المعصومين.

أما قول الإمام «أما أني مللتكم ومللتمني» المقصود منها هو من جهة الأرواح النازلة لا من جهة نوره وروح القدس وما اعلى، يعني مثلاً النفس تعطش وهي النفس النازلة وتمسى روح القوة التي هي روح جزئية لا روح الكلية، فالروح الجزئية يصيبها العطش والجزع والكيل والملل والفتور، ومر بنا أن العقل لا يشرب ولا يأكل ولا يخاف لأنه في مقام منيع لا يصيبه شيء وفق نظامه الخاص به، والذي تجذع أو تقدم وترهب هي النفس الجزئية والبدن ويعتريها هذه الأمور أما العقل فهو ملك متربع في عرينه ولا يصيبه هذه الأمور.

إذا معرفة أن المعصوم هو ذو شؤون ذو طبقات من الأرواح جزئية ومتوسطة وكلية

و فوق الكلية هو أمر بالغ الأهمية، و شؤون هذه المراتب في النفس الإنسانية حتى في النفس غير المقصومة مختلفة الشأن ولا يمكن توحيدها على نسق واحد، ولذلك كثير من الأسئلة التي ترد كيف مع علم علي بن أبي طالب انه لا يقتل إذا أين الشجاعة وهذا العلم علم من؟، فإن علم النور شيء وعلم النفس شيء آخر، وحتى لو العقل يعلم فانه لا يهدئ النفس الجزئية التي تهيج من أي إثارة، وكما يقول الإمام الصادق في قصة النبي موسى عليه السلام فقد اخبره الله أن قومه ضلوا فاعلمه عبر قلبه وروحه وعقله ولكن من نفسه الجزئية عندما شاهد قومه غضب الله فيشير الإمام ليس العيان كالبيان فعين الشيء غير بيانيه، الآن لو نظريا يصفون للإنسان امرأة جميلة فان يتخيلاها فكلها تصورات عقلية أما يفتتن بالخارج بامرأة شيء آخر أو توصف للإنسان معركة محتملة وانه سيقى منه وكذا ولكن لما يخوض عباب المعركة أمر آخر وظهور عبر هياج النفس، وذلك لاختلاف شؤون مراتب نفس الإنسان، والذي يؤثر وتفاعل معه هو الجزئيات والمحسوسات.

إذا بطّعه يتأثر بشيء آخر ولكن بالترويض شيء آخر، فالمقصوم ير褚 نفسه لمراتب أعلى فأعلى وهذا يعني العصمة فلا جبر ولا تفويض إنما أمر بين أمرتين بمعنى ان هناك امتحان، ولذلك الشجاعة ليست وصف العقل إنما وصف النفس النازلة ومن هنا ينفت إلى أن أوصاف الفضائل مختلفة بحسب الموصوف في الإنسان، والرذائل في الإنسان على العكس هي بحسب مراتب روحه وليس وصف واحد ولا موصوف واحد.

إذا تفكيك هذه الشؤون وهذه الراتب وهذه الجهات وهذه الأوصاف أمر بالغ الأهمية فإن الكثير لديهم الصعوبة في كيفية الجمع بين هذه الصفات، فإن كان عقل فكيف يجوع

﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنِزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾<sup>(١)</sup> فيتصورن أنهم يلاحظون الجهة النورية فيصعب عليهم الجمع بين الجنبيتين وقوله ﴿لَوْلَا أُنِزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أو قوله ﴿أَبَشَرُ يَهْدُونَا﴾<sup>(٢)</sup> فمن جهة البشرية ليس لديه ارتباط فإذا كان فيه جهة بشرية فكيف يكون ارتباطه مع الملائكة؟، طبعاً جهة البشرية جهة طينية وما ربطها بالنور والملائكة الصاعد والجمع بين الجنبيتين دوماً يشكل على الكثير من الناس.

وهذه جنبة من الإشكالات ومنها ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرِيئَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> ولكن الجنبات الكثيرة المتكررة في إشكالية أقوام الأنبياء في رفض دعوات الأنبياء دائمًا هو ﴿أَبَشَرُ يَهْدُونَا﴾ فهذه الجنبة غير مرتبطة بالملائكة أو ﴿لَوْلَا أُنِزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ «لولا كان معه ملك» فالمملوك له قدرة الارتباط بالملائكة أما هذا البدن فهو طيني فكيف يرتبط بالملائكة، وفي قوله ﴿صَوْلَاتٌ وَالْقُرْآنُ ذِي الدَّكْرِ بَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشَقَاقٍ كُمْ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادُوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ وَانطَّلَقَ الْمُلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آهَاتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ أُوْنِزَلَ عَلَيْهِ الدَّكْرُ مِنْ بَيْنَنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ مَا يَذُوقُوا عَذَابًا﴾ فهو نفس الإشكال موجود فكيف البشر يكون نبياً ومرتبط بالملائكة فهذه جنبة من إشكالات الأقوام الجاحدة أنها تنظر إلى الجنبة البشرية وكيف تجتمع مع الملائكة ويقول

(١) سورة الفرقان: الآية ٧.

(٢) سورة الرخرف: الآية ٣١.

(٣) سورة ص: الآية ١ - ٨.

الباري ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا بَجْلَانِهِ رَجُلًا وَلَلَّبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾<sup>(١)</sup> هنا يقول المجلسى

هذا يدل أن النبي ﷺ حقيقته ملكية بل ارفع ولبس بلبوس بشرية، وكما في فاطمة حوراء

إنسية يمكن أن تجتمع الجنبيين ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَتَرَنَا عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ فلابد من

هذا التماس والارتباط ان يتم وإلا لو كان من غير جنسكم كيف يرتبط بكم، وسيما اعتباره

القدوة والنموذج الرائد مع انه منكم يمكنه أن يترقى إلى عوالم فوقية كي يفتح لكم الطريق

أن تترقوا وتحرجوا من حبس مكانكم هذا إلى درجات علوية وتكاملوا ويحدث فيكم النمو

والقدرة، ولذا ترى بعضهم يغرق في الجنبة البشرية فكانه لا يجعل في المعصوم جنباً ملوكية،

ومعنى انه يغرق في الجنبة البشرية أي ينفي الجنبة الملوكية وترتيب آثار تفرد وتوحد الجنبة

البشرية فهذا إغراق في الجنبة البشرة وبعضهم يغرق في الجنبة الملوكية بمعنى كأنما يسلب

الجنبة البشرية في المعصوم بل كلا الجنبيتين موجود وهذا تعير مختصر وإلا فله جنبات

وطبقات ومراتب وكل مرتبة لها وصف ولها شؤون ولها آثار، ولا نستغرب بل حتى جملة

من أهل اليقين عندما يشاهد المعصوم أيضاً يشكل عليهم حالاته لأنه أيضاً يركز خاطره على

الجنبة الملوكية ويفعل الجنبة البشرية النازلة.

إذا التفتنا إلى أن هناك جنبات وهذه الجنبات والطبقات والمراتب مختلفة الأوصاف

والأحكام والآثار، فقلب المعصوم وروحه لا يسيطر عليه إبليس ولا جنوده من الجن.

(١) سورة الأنعام: الآية ٩.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥٩.

وذكرنا أن القوى النازلة من المعصوم تكابد وتكابد الشيطان مثل بدنـهـ الشريف يـكـابـدـ الأعداءـ فيـضـربـ ويـقـذـفـ بـحـجـرـ وـيـتـأـلمـ وـيـصـيـبـ كـسـرـ وـلـيـسـ معـنـىـ ذـلـكـ إـذـاـ اـجـرـحـ المعـصـومـ أوـ طـعـنـ فـانـهـ خـلـافـ العـصـمـةـ،ـ فـهـذـاـ لـيـسـ خـلـافـ العـصـمـةـ وـكـذـاـ النـفـسـ الـجـزـئـيةـ تـكـابـدـ،ـ فـالـمـكـابـدـةـ وـالـمـصـارـعـةـ وـحـصـولـ الـأـلـمـ وـالـجـرـحـ وـحـصـولـ الطـعـنـ لـاـ يـخـرـجـ المعـصـومـ عنـ عـصـمـتـهـ،ـ فـالـمـعـصـومـ يـرـيدـ أـنـ يـنـجـيـ جـسـدـهـ فـيـ الـمـبـارـزـةـ لـكـنـهـ إـذـاـ لـمـ يـنـجـيـ جـسـدـهـ فـهـلـ هـذـاـ خـلـافـ العـصـمـةـ،ـ فـالـمـعـصـومـ يـبـارـزـ وـيـرـيدـ أـنـ يـنـجـيـ بـدـنـهـ وـلـكـنـهـ يـصـابـ بـجـرـوحـ وـتـجـرـيـ الدـمـاءـ وـهـذـاـ لـيـسـ خـلـافـ العـصـمـةـ أـوـ خـلـافـ مـاـ يـرـيدـهـ المعـصـومـ.

إـذـاـ هـنـاكـ قـاعـدـةـ وـهـوـ أـنـ مـكـابـدـةـ المـعـصـومـ وـنـفـسـهـ الـجـزـئـيةـ وـالـقـوـىـ النـازـلـةـ غـيرـ القـلـبـ وـالـنـورـ وـتـلـقـيـ ضـرـبـاتـ وـرـبـهاـ طـعـنـاتـ منـ دونـ أـنـ يـخـرـجـ المـعـصـومـ عنـ الـاستـقـامـةـ وـالـعـصـمـةـ فـهـذـاـ لـاـ يـنـافـيـ العـصـمـةـ،ـ فـأـيـوبـ حـصـلـ فـيـ جـسـمـهـ قـيـحـ وـقـرـحـ بـحـيثـ أـنـ قـوـمـهـ تـرـكـوهـ وـلـمـ تـبـقـىـ لـهـ وـفـيـةـ مـنـ الـأـرـحـامـ إـلـاـ زـوـجـتـهـ فـهـذـهـ مـكـابـدـةـ وـلـيـسـ مـطـاوـعـةـ.

#### الجانب السابع: القواعد في فهم الحالات المشابهة للمعصوم:

الآن نذكر ثلاثة قواعد وكيف نمزج بينها في حلحلة كثير من حالات المشابهات للعصوم.

#### القاعدة الأولى:

أن عقل المعصوم وقلبه في منأى ضماني عن وصول الشيطان وحتى بنحو المصارعة ولا المكافحة، وهذا احيانا حتى في الإنسان غير المعصوم فعقل الإنسان معصوم بمعزل عن

سيطرة الشيطان فهذا الإنسان الذي له عقل أما الذي ليس له عقل فهذا بحث آخر، فإذا كان للإنسان عقل أي إذا ارتقى إلى مرحلة العقل وإذا تناما وتصاعد إلى مرحلة العقل والروح فالشياطين لا تستطيع أن تسيطر عليه أما إذا هبط فله شأن آخر، ولذلك جنة المؤمنين البشر فوق جنة المؤمنين الجن وفي الروايات جنة الإنس فوقهن.

فالمقصود أن قلب المعصوم وعقله في منأى عن الشيطان بل وحتى البشر فيما لو بقي الإنسان في مرتبة العقل والقلب والروح وما فوقها، أما إذا نزل تحتوشة الشياطين والمعصوم دائمًا عنده هذه الدرجة من عدم النزول فهو مأمون ومعصوم.

وهناك فارق آخر وهو أن المعصوم عقله منفتح على اللاحدود ومطلع على قنوات غيبية بخلاف الإنسان غير المعصوم فهو محدود وضيق فذاك محيطات وهذا قطرات، ولكن عموماً هذا برهان عقلي وليس برهان نقيلي باعتبار أن الجن والشياطين قدرة خيال والعقل الذي لديهم هو عقل محدود ومقيد ومكبل حتى المؤمن من الجن والعقل المرسل هو عند البشر، إذا جنبة القلب والعقل عند المعصوم في مأمن وضمانة من سيطرة الشيطان، غاية الأمر الصراع في غير المعصوم لأنه محدود ولأنه غير ثابت فيكون غير مأمون من سيطرة الشيطان.

هذه القاعدة الأولى وهو أن الدرجات النازلة من المعصوم سواء قدرة التخييل أو الواهمة أو الحس المشترك أو البدن تکابد والمکابدة غير سيطرة الشيطان، والرسول عندما يسب وعندما يطعن وعندما يهجى بالشعر يتآذى ولكن لا يخرجه ذلك إلى المعصية.

أما العقل في نفسه لا يخاف ولا يعطش ولا يتآلم ولا يبرد ولا يحتر. وتكامل الأكل

والشرب ليس في العقل وتكامل اللذة الجنسية ليس في العقل، أصلاً العقل لا يجتمع ولا ييأضاع إنما هي كمال البدن، بينما كمال العقل هو العلم فأكله العلم وشربه العلم ونكاحه المعلومات ان صحة التعبير لأنها تكامله.

القاعدة الثانية:

البدن تكابد وتصارع وكونها منصاعة لإرادة العصمة لا يعني عدم المكافحة، مثلاً فرس سيد الشهداء كانت منصاعة لسيد الشهداء انصياع عجيب غريب ولكن ادمي وجراح فالبدن مطاعن للإنسان ولكن يمكن ان يقطع الرأس ويفخض الجبين والمخ وهناك مشهد نفسي نفيس «يا نفس من بعد الحسين هوني» فلاحظ التعبير فيه مشهد نفسي لطيف، وهناك كتاب ألفه أحد علماء البحرين<sup>(١)</sup>.

شرح المشهد النفسي لكرباء وليس المشهد البدني وكل لقطة من لقطات كربلاء، فقول العباس عليه السلام «يا نفس من بعد الحسين هوني» أو «يا نفس لا تخش من الكفار وابشري برحمة الجبار» فهناك شيء فوقى وترويض للبدن فلا يوجد تهيج، وإنما هناك استفزاز من الطرف المقابل والعطش يجب اندفاع غير متروي ولكن «يا نفس من بعد الحسين هوني» فهناك ترويض وفي رواية يقال أن إيليس أتى في صورة أفعى وعض إبهام ورجل السجاد في الصلاة ولكن الإمام لم يشغله ذلك ومنه نوادي أنت حقا زين العابدين أو سيد الساجدين، وقد يقال أنه سبب لقب الإمام علي بن الحسين بن زين العابدين:

«أنه كان ليلة في محاربه قائمًا في تهجمه، فتمثل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن

---

(١) المزار للشيخ ميرزا جعفر المشهدى.

عبادته، فلم يلتفت إليه. فجاء إلى إبراهيم رجله فالتقهمها، فلم يلتفت إليه، فألمه فلم يقطع صلاتنه، فلما فرغ منها وقد كشف الله له فعلم أنه شيطان فسبه ولطمها وقال له: «اخسأ يا ملعون».

فذهب وقام إلى إتمام ورده، فسمع صوت لا يرى قائله وهو يقول: أنت زين العابدين حقاً ثلاثة، فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقباً له»<sup>(١)</sup>.

والصحيح أن اصل لقب زين العابدين هو من اطلقه رسول الله ﷺ روى الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

«كنت جالساً عند رسول الله ﷺ والحسين في حجره، وهو يداعبه، فقال ﷺ يا جابر يولد له مولود اسمه (علي)، إذا كان يوم القيمة نادى مناد ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فأقرئه مني السلام»<sup>(٢)</sup>.

المهم ما يحصل لبدن المعصوم لا يعني الضربات لم تدمى البدن لأنَّه بعد ذلك ضمادات وتداوي، وهذا لا يعني عدم السيطرة بل هناك مكافحة، وهناك فروق بين المكافحة في نفوس الناس، فهنا المناوئين للأنبياء يقولون هذا ليس بعصمة فالشيطان قادر على السيطرة على قلبه وروحه وعقله وهذا خطأ، والقرآن يقول عليكم أن تميزوا فانا جعلته نبياً يوحى ولكن لم يجعله ملك فالمملُك لا تؤثر فيه الحجر وغيره، وهذه العظمة ان فيه جنبات وطبقات وتلك الطبقات تستهدف وترمى وتكابد وتشتعل فيها النيران ﴿وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ فلم يقل

(١) كشف الغمة.

(٢) وسيلة المال في مناقب الآل ص ٧ مصور في مكتبة الإمام أمير المؤمنين.

تصرفي فإذا قال تصرفي فهذا يدل على عدم العصمة، أما تصرف عني الكيد فالكيد هو مقبل وإنما لست مقبلا نحوه ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَ﴾ فربما يصير غلبة للطرف المقابل، فاشتعال ومكافحة موجودة وكذلك العصمة موجودة وهي الغالبة، ويقول ﴿كَذَلِكَ لِتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ بمعنى ليصرفسوء عنه، كما في قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا﴾ وهناك فرق في العبارة عن ليذهبكم عن الرجس فمعنا أن فيكم اقتضاء تكونوا مقبلين على الرجس والمعنى لا يجعل الرجس يقبل إليكم وقد ورد فيزيارة «لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك مدحومات ثيابها» فهي مقبلة لا انتم مقبلين عليها، أو تعبير الدعاء «صلّ اللهم على الدليل إليك في الليل الأليل، والمساك من أسبابك بحبل الشرف الأطول، والناصع الحسب في ذروة الكاهم الأعلب، والثابت القدم على زحاليفها في الزمن الأول» زحلفات عجيبة كانت في قريش فكل أوكار الفساد والفحشاء كانت مجتمعة في زمن الجاهلية، وهذه أحد معاجز الأنبياء وهي اعتصامه في الاوضاع والمؤثرات ، وفي احتجاج النبي ﷺ «أو تظنون بشر من نفسه لا زلل ولا خطل...» ففي أربعين سنة رغم شدة البيئات الفاسدة فيكم أيستعصم من نفسه، ومعنى هذا أيضا حتى في العصمة النازلة مدد من الله عز وجل ﴿قَالَ رَبِّ الْسِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَ﴾ وأكُنْ مِّنَ الْمُجْهَلِينَ<sup>(٣٣)</sup> فحتى هذه النفوس النازلة التي هي طاهرة ومعصومة لو لم تجدد بعصمة من الله تعالى لأقبلت في المدهمات أو الرجس، فهي طهارة ذاتية وعصمة في نفسها ولكن لابد أن تجدد بعصمة سانده من الباري تكون لدنية وتسدديده ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

عَنْكُمُ الرّجْسَ ﴿فِنْسُ الرِّجْسِ لَيْسَ مُوْجُودٌ فِي طَيِّبَتِكُمْ وَلَكِنْ لَابْدَ مِنْ مَدْدُ بَعْصَمَةِ زَائِدَةٍ لَكِي لَا تَتَلُّوْتُ هَذِهِ الطَّهَارَةِ الْذَّاتِيَّةِ بِنَجَاسَةِ عَرَضِيَّةٍ وَهِيَ قَدْ أَكْمَلَتْ فِيهِمْ ﴾وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ إِنَّمَا أَرِيدُ أَنْ أَقُولَ الْعَصْمَةَ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ فَلَيْسَتْ كَسْبِيَّةٌ وَلَا جَرِيَّةٌ بَلْ فِيهَا كَلَا الجَنْبَتَيْنِ.

اذا القاعدة الاولى أن طبقات المخصوص النازلة منها تکابد، والقاعدة الثانية أن طبقات روح المخصوص ذات أحكام مختلفة، فعندما يقال نوره أول ما خلق فليس معناه أن أول ما خلق الله بدن الشريف، وخلق السموات والأرض من نوره وليس من بدنه خلق السموات والأرض بل بدنه مخلوق من السموات والأرض، وعندما يقال «كنت نورا قبل كذا» فهنا ليس بدن النبي عليه السلام، وبالتالي ابدأنهم دون أنوارهم وأرواحهم، وهذا فيه خلط كثير سواء قلنا من أقوام الأنبياء ﴿أَبْشِرْ يَهُدُونَا﴾ او غيرهم، وهذه الطبقات درجات والتي منها شؤون البدن واختلاف شؤون الفعل لا يدل على عدم العصمة، فالبعض إذا شاهد فعل للطبقات النازلة يفهم منها عدم العصمة، وبعضهم يفهم من العصمة أنه لابد كل الأفعال عقلية بحثة، فإذا تصدر منه أفعال غير عقلية فإذاً هذه الأفعال غير معصومة، ويأتون يسألون زوجات النبي عليه السلام هل الرسول يجامع والجواب نعم كبقية الرجال، فيقولون كيف هونبي ويجامع أو يأكل أو ينام، فالنبي عليه السلام عقل مجرد شغال على مدار الساعة وهو فهم وتصور غير صحيح .

القاعدة الثالثة:

الجنبة البشرية أو جنبة قوة الخيال أو الواهمة أو الحس المشترك في النبي عليه السلام

والمعصومين هي فوق صفة البشر «السلام عليكم صفة المرسلين» فهم أعلى درجات البشرية، صحيح نقول أن فيهم جنحة بشرية ونسلم بها ولكن في حين نسلم بالقاعدة الثانية لا بد أن نلتفت إلى القاعدة الثالثة، ويعني أكبر قدرة في طبيعة البدن موجودة لديهم حتى الجن لا يقدر عليه، ومن باب المثال قدرة العضلات في الفيل أكثر من الإنسان وقدرة الشم في الكلب أقوى من الإنسان وقدرة الرادار الخاص في المدحود أكبر من بقية الحيوانات فيعرف به أين يوجد الماء فلذلك كان النبي سليمان يحتاج إلى المدحود، وقدرة النمل في تشخيص بعض القضايا تختلف عن غيره فكل حيوان عنده قدرة من قدرات النفس الجزئية أعظم من بقية الحيوانات أو الإنسان وبعض الحيوانات عندها تنبؤ عن مستقبل قضايا كثيرة، ولذلك بعض الأقوام السابقة كانت تستعمل بعض الحيوانات على أساس تتنفس ما سيحدث في المستقبل مثلاً في الزراعة أو التجارة أو الصحة فكل حيوان له توقعات مستقبلية مادية تختلف، وهي ليس تنبؤات بالنسبة لديه وإنما يعرف معادلات وفق نظام خلقته ويلتفت إليها فهي بالنسبة إليه ليست غيب لأنها وفق طبيعته الخلقية ، ولذلك يقولون الحيوانات في الحس مختلفة القدرات والحس أنواع عجيبة غريبة وحال عجيب غريب، وبعض الحيوانات لها قدرة سمع ذبذبات بينما حيوانات ليس لها هذه القدرة. وذذذبات أخرى لحيوانات تسمع ذذذبات بمعنى الحس والسمع أنواع وكذلك الذوق أنواع والمس أنواع، ولذلك يعبرون بالسادسة بمعنى ليست سادسة وإنما ليس من الخمس وإلا الحواس إلى ما شاء الله، وهذه الحواس التي هي إلى ما شاء الله الموجودة في الحيوانات وفي الإنسان بل وفي المعصوم موجود صفتتها وزبدتها.

### الجانب الثامن: فهم لأفعال المعصوم العادلة:

البعض يتصور أن للنبي عادات ليس كذلك وإنما هناك آداب ونظام قانوي فحتى العادات مبرجحة غايتها ليست إلزامية أما استحبابيات أو كراهات أو مكرمات فهذا بحث آخر، والسنة فيها آداب وطريقة وما شابه ذلك فطريقة أكل الإنسان يختلف عن الحيوان فطريقة الإنسان مرتبة ومهذبة ومؤدبة، والإنسان ينكح والحيوان ينكح ولكن طريقة الإنسان تختلف فيها الصبغة الأخلاقية والإنسانية، والمعصوم في أفعاله الصبغة النورانية وهي فوق العقلية كما في حديث الصادق في كفاية الأثر ومضمونها هو أن المعصومين بل دون المعصومين من المصطفين يباشرون أفعالهم من أكل وشرب في النور، ومثلاً هناك جماع حيواني كالجمل والفرس لو رأيتها تقلياً فهو أسلوب عنجهي وعنيف ووحشي، والإنسان إذا رأى أكل بعض الحيوانات النهمة يهرب منها وسببه أن هذه أفعال بيئية حيوانية غليظة جداً بينما الإنسان يمارسها بشفافية وإذا صار الإنسان نوراني يمارس هذه الأفعال بشفافية أكثر صفاء ولا تقدر الروح بل صفاء الروح ينعكس على تلك الأفعال ، وحتى الإنسان يمارس أحياناً الأكل بشكل نهم وبعض الأحيان هو يستاء من نفسه وتارة يأكل بشكل مهذب وخفيف وبدون اندفاع.

الآن مثل النكاح فواحد ينكح في الحيض فهذا مقرز ومنفر بغض النظر عن الحرمة فهو مقرز، والبعض بناء على حلية الوطء في الدبر يطاً في دبر زوجته وفي التعبير سفلت سفل الله بك، صحيح حلال ولكن هناك شيء نازك نظيف شفاف وهناك شيء غليظ كسيف ظلماني ومن ثم يبقى ليس كل حلال شفاف، وبعض الأحيان المكرهات اشد آثار وضعية من المحرمات ولحم الحمار حلال لكنه مكره أو الأكل في الشارع فيه عنف حيواني،

فالإنسان لا يمارس الأفعال الحيوانية بعنف حيواني وإنما يمارسها بشفافية إنسانية، فهو فعل عادي ولكن إذا أضيف إليه صبغة إنسانية يصير لها آداب.

وهناك شعارات عند بعض العرفاء مطمنطة لكنهم في التفصيل يضيئونها أما سيد الأنبياء فبحر لا ينزع، مثلاً في أكل النبي<sup>١</sup> لا يأكل عدة ألوان أو يأكل بعدهم فيقول أحب أن أتواضع إلى ربِّي، واتوه بحليب فيه عسل فقال لا اشرب بل حليب فقط فما ربطه بتواضعه لله ؟؟ لأن الإنسان إذا أعطى لنفسه فسحة من التلذذ فالأنانية والذاتية تقوى أكثر ولما تقوى الأنانية في الملذات وتغمس في الملذات أكثر تبرز الأنانية والفرعونية فتكون أكثر ميلاً للتكبر وحينها التواضع والخصوص لله يضمحل، فافرض التبهرج والتلذذ كثير ﴿وَاصْحَابُ الشَّهَابِ مَا أَصْحَابُ الشَّهَابِ \* فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ \* وَظَلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ \* لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ \* إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتَرْفِينَ \* وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(١)</sup> فالترف مشكلته إذا تعود الإنسان عليه فأنانية النفس وفرعونيتها تقوى أكثر بحيث إذا أصابته شدة سيسخط على الله بناء مغالطة نفسيه هي أن السعادة والرفاه النسبية الظاهرة الحسية ملكه فلم سلبها الله منه فيسخط على الله ولا يتواضع بخلاف الاخشوشن الذي فيه تخنيع وضعضة للنفس، ولذلك البلاء من ثماره انه ضعضة للنفس.

أن الأفعال الاعتيادية صحيح تمارس ولكن تمارس بدرجات وكل وفق مستواه فممارسة الشخص النوراني لها بنمط ومارسة الشخص الإنساني لها بنمط ومارسة أهل اليقين لها بنمط ومارسة أهل التقوى لها بنمط لذلك الآداب تعكس في الحركات وفي

التصرفات ومنها في السلام فهناك شخص عنده غلظة مثلاً في السلام وهو غير ملتفت بينما في الشفاف مختلف فان له آداب لذلك يقال فيه تمدن مقابل البداءة.

السيد ابن طاوس الذي لا يأتي شعرة من المقصوم يقول ما جامعت قط إلا وبسملت وتوضأت، وان كان قراءة القرآن في هذا الوضع مكرورة ولكن التوجه وذكر الله صحيح.

أيضاً تشاهد إنسان يذهب إلى بيت الخلاء بلا أبالية، أما آخر يذكر الله ويتجه بأداب ويتعود من الرجس فهو في حالة خضوع وتوجع وعبرة ويحقر نفسه ويعمل منه مجلس تربية لنفسه فهذا المكان الذي هو من أوكس الأماكن يقلبه إلى جامعة تربوية لنفسه والفرق بين الاثنين واضح جداً، فالعمل في موضع تقلبه إلى عبرة وفي موضع يقلبه الإنسان إلى بهيمة ظلمانية ومن هنا نعرف أن الأفعال على درجات.

والحديث عن الصادق في كفاية الأثر المعاصر للقمي يقول الأفعال يمارسوها المقصوم في النور لذلك عندما نقول كيف المقصوم معصوم ويمارس هذه الأفعال فتصورنا انه يمارسها بنفس البهيمة والغلظة والعنجهية التي نمارسها وهذا شبيه القاعدة الثالثة التي مر ذكرها في الجانب السابق وهو أنهم بشر لكن صفة البشر بدننا وجواهراً.

#### الجانب التاسع: العصمة الإلهية والعصمة الخلقية:

قاعدة مهمة في العصمة نلتفت إليها فهناك عصمة إلهية أي كـالات الله المترفة عن النقائص وهناك عصمة خلقية أو نبوية وهذه تختلف عن العصمة الإلهية، والكثير من يناقش في عصمة الأنبياء والمقصومين والمصطفين يشكل بإشكالات في الحقيقة مبنية على معنى

العصمة الإلهية ونحن قطعا لا نعتقد في عصمة الأنبياء أنها كالعصمة الإلهية فالعصمة بمعنى الكمالات اللامحدودة الذاتية ثابتة فقط لله تعالى وهذا البحث لم يطرحه المتكلمون بهذا الاصطلاح ولكن لا بأس أن نصطلحه هنا، فالعصمة الإلهية هي ذاتية أزلية من الذات ولا

محدودة وخاصة بالباري تعالى فمثلا نعت الباري نفسه ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا مَا الصَّدِيقَاتِ سَكُنْدَ خَلُهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلَا﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيْكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تبارك وتعالى ﴿مَا يُدْلِلُ الْقَوْلُ لَدَيْ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذه صفات افعالية مخلوقة لله فهي إلهية ولا يلاحظ فيها الخلق وهناك صفات أفعال الله موجودة في القرآن، فالعصمة الإلهية بالذات من الذات وأزلية ومطلقة أما العصمة النبوية أو عصمة المعصومين ففرقها عن غير المعصومين أن العصمة النبوية أو عصمة المعصومين واحد تعريفاتها في القرآن الكريم ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَعِّمَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنَّ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> فلما إذا لا تتبعون الذي هدایته ليست من أفراد آخرين، أما ﴿وَعَصَى آدُمْ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ بغض النظر عن تفسير الآية لكن الشيء المهم هنا أن هداية ادم هل حصلت من بشر آخر أو من الله؟ من الله

(١) سورة النساء: الآية ١٢٢ .

(٢) سورة الأنفال: الآية ٥١ .

(٣) سورة ق: الآية ٢٩ .

(٤) سورة يونس: الآية ٣٥ .

﴿فَتَلَقَّى آدُمْ مِنْ رَبِّهِ كَلَمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup> هنا آدم عصنته ليست عصمة الله بل تستر فد عصنته من عصمة الله .

ولاحظ هذه النكتة انه في كل موارد الأنبياء فقد اخفق النصارى واليهود وحتى العرفاء وكثير من المذاهب الإسلامية في عصمة الأنبياء فلم يلتقطوا أن هذا الزلل الذي ربها يؤخذ على الأنبياء وبغض النظر عن معناه فان فيه نكتة مهمة وهو أن الهدایة ليست من خارج نفس المعصوم وإنما الهدایة نبت واستر فدت من الله إلى روح ذلك المعصوم وبالتالي

هو في حالة تحكم وسداد وتسلية الهي بخلاف غيره ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكَ لِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ أَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنَّ مَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كِيفَ تَحْكُمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

فالمعصوم لا يهدى من احد إلا من معصوم اكبر منه وهو امر لا مانع منه فسيد الأنبياء يهدي بقية الأنبياء ويهدي سيد الأووصياء أما القول أن معصوم يهدي من غير معصوم فهو غير ممكن، إذا بيان الباري تعالى إلى حاجة المعصومين والرسل والأنبياء إلى هداية الله كما يذكر أمير المؤمنين في الاحتجاج فهذا مقتضى عبوديتهم وفقرهم إلى الله ولأن عصمتهم ليست إلهية وإنما عصمتهم بالله لا بأنفسهم ، ولكن لا يعني أن عصمتهم من غيرهم كي يرد عليهم ويقول نعم عقولنا ترد على المعصومين، فهل يمكن لعقلنا أن يناقش المعصوم ويكون بهذا

يهدي المعصوم من قبلنا وبينما تعريف القرآن الكريم للعصمة في الأنبياء ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شَرِكَ لِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ أَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنَّ مَنْ يَهْدِي فَمَا

لِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَ ﴿٢٥﴾<sup>(١)</sup> أما أن المقصوم يهدى من قبل الله فهو من الأصل يهدى من قبل الله.

أن الذي ابلي به رسول الله من التقدير الإلهي هو فعل الهي وليس من فعل البشر وليس من جهة اختيار أولئك أما من جهة اختيار أولئك فليس لها ربط برسول الله، المعصية ليست تفویض مطلق بل أمر بين أمرين، فمن جهة الشر في المعصية منسوبة إلى العاصي وجهة الخير في المعصية التي وظفها في الشر ليست ترجع إليه فأمر بين أمرين. نعم لا تنسب المعصية وشريتها الله أما هذه الإمكانيات من النعم التي حبها الله للفرد البشري ووظفها في غير طريقها فهذه النعم من الله ولم يشكر الله فيها أي لم يطعه لأن من شكرها ان لا تعصي الله فيها.

حينئذ هذه النكتة لابد أن نلتفت إليها وهو انه دوما في إشكاليات في عصمة الأنبياء أو عصمة المقصومين بنائه لا يستردد الهدایة من الله والحق انه لابد أن يستردد الهدایة من الله، فتارة يهديه مباشرة من الله وتارة يجعله في مستوى ويقول له أنت وقفت أو اخطأت في النسبة إلى العصمة الإلهية ولكن ليس خطأ بالنسبة إلى الغير وليس بمعنى خطيئة وإنما بمعنى هناك أكمل منه وإلا فالعصوم تجاوز الكمال المعهود، وإنما السعي مستمر دوما في الوفود على الله أقرأ وارقاً تقدم فتقدم، لأن الله لا محدود.

ففرق بين العصمة الإلهية والعصمة النبوية أو العصمة المولوية فإنه عصمة المقصومين هي عصمة بالله يعني لا جبر ولا تفویض بل أمر بين أمرين أي مدد من الله و اختيار و عمل

من البشر، ولكن ليس كله من البشر بينما العصمة الإلهية ضرورة ذاتية لا محدودة لذلك ما معنى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلَا﴾ ﴿١٢﴾ فالله أصدق من الأنبياء ومن الآئمة فضلاً عن كل الخلق ولكن ليس معنى ذلك أن الأنبياء والآئمة يكذبون، وكما يقولون في المنطق القضية الشرطية أقل صدقًا من القضية الذاتية فهو ليس تكذيب وإنما ارائتها للواقع محدودة بشرط أما القضية الذاتية سعتها أكثر في ارائتها للواقع فيقال لها أصدق، والقضية الأزلية صدقها أكبر من القضية الذاتية بمعنى ارائتها للواقع أزي، وهذا معنى مراتب الصدق لا أنه فيها كذب وإنما فيها قلة وسعة وكبر لبيان الحقيقة، فصدق الله شيء وهو غير صدق النبي ﷺ وبالتالي لا يعني أن النبي ﷺ يكذب وحاشاه فهو لا ينطق إلا عن صدق ولكن العمدة ان اخبارات الله أزلية إلهية.

وأيضاً عصمة النبي ' تفترق عن العدالة أو تقوى المتقين أو يقين أهل اليقين فان عصمة المعصوم فوق ذلك، وتلك المؤاخذة التي نلاحظها فتلk مقاييس بين العصمة والعصمة النبوية ونحن نقاييس بين العصمة النبوية والمعاصي وهذا بعيد عن ذلك.

#### الجانب العاشر: العصمة وتدخلات القوى الذاتية عند المعصوم:

الحديث عن العصمة في التطبيق عند الإشكال المعروف وهو مع علم المعصومين مسبقاً بالشيء فكيف تثبت الحال ذلك الفضيلة في المخاطرة بالنفس؟، والجواب عن هذه التساؤلات هو بركة أحد القواعد التي مرت، مثلاً علم علي بكذا فكيف تثبت له الشجاعة في صفين والنهر وان والجمل والغزوات وتثبت له الشجاعة في المبيت في فراش النبي ﷺ، فالجواب عن هذا يتبيّن من أن علم رتبة العقل أو القلب بشيء مختلف عن امتحان النفس

الجزئية والغرائز النازلة لأن النفس الجزئية والغرائز النازلة لو أنبئت بألف نبا هي تتأثر وتنفعل عن الجانب الحسي ويمكن أن تعتبر هذه قاعدة ولو متفرعة عن أحکام الشؤون فنقول ليس البيان كالعيان، فإن الله حينما أخبر موسى عن انحراف قومه لم يغضب ولكن لما رأى ذلك عياناً غضب الله ﷺ **وَلَمَّا سَكَّتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ** ﴿١﴾ ولم يقل سكن وإنما قال سكت مقابل نطق بمعنى أن الغضب عند النبي 'موسى ينطق ويُسكت أما عند الباقيين يتحرك ويُسكن، خطاب السجاد للعقيلة «أنت بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمه غير مفهومة»<sup>(١)</sup>.

ولم يقل اسكنني، فالسكون مقابل النطق، فسكت عن موسى الغضب هذا يعني حتى الأفعال البدنية للمعصومين هو بتوسط النور أي شفافة وليس أفعال حيوانية بهيمية غليظة كما في ممارسة الحيوانات كالفرق بين نكاح الإنسان والحيوان، وبعض الحيوانات نكاحتها أو أكلها شفاف، أما بعض الحيوانات فلا نكاحتها شفاف ولا أكلها شفاف بل حتى نومها غليظ أيضا.

فهنا غضب ولكن غضب المعصوم ممزوج بتدبير العقل ولذا يقال **سَكَّتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ** لا سكن، فالمقصود أن النبي موسى أخبره الله بانحراف قومه ولكن عندما عاين غضب غضباً عقلياً لا بهيمياً فليس البيان كالعيان، لأن النفس الجزئية طبيعتها تتأثر بالحس وتنفعل به، وقيل اعتبر الغضب شيئاً منفصلاً عن كيان النبي موسى عليه السلام، فلما هجم عليه الغضب ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه.

الانفعال يطلق على معاني فمثلاً عن حادثة زليخا مع يوسف أن يقول انه مال إليها فليس صحيح وأما معنى انه تذوق مرارة كبح النفس الغريزية فهو معقول ولم لا يكون كذلك، فهو تصور وتمرر بكم النفس فهذا كبح اختياري.

فإذا صارت إثارة جديدة للوهم والمخيلة يفزع وإذا تكرر يعتاد على ذلك ويصير ترويض للقوى النازلة، ولكن في الإثارة الجديدة تبقى إثارة وتحتاج إلى ترويض، ولذلك الامتحانات دائمة فيها تجدد وتجديد ما لم يكن يحسب، وعلى أي تقدير علم المعصومين بأمور بلحاظ قلوبهم أو عقوتهم لا يعني ذلك أنهم بلحاظ نفوسهم الجزئية لا يشارون أو يتأثرون وهذا معنى الامتحان والتدبر فلا منافاة، أما هذا فهو نوع دمج والمزج بين أحكام القلب وأحكام النفس الجزئية وهو خطأ وليس بصحيح.

ومر بنا أن العصمة في المقصومين أنهم لا يهتدون بهداية أحد غيرهم وإنما من مقصوم أكبر لبعضهم آخر أو من الله، إذا بالقاعدة هذه لم تختل العصمة.

**الجانب الحادى عشر: العصمة واستمرار تكامل المعصومين:**

وهناك قاعدة ولعلها قاعدة مناسبة وهي مرتبطة بالقاعدة الثانية والتي هي أن مراتب الإنسان عموماً فضلاً عن المقصود بمختلف المراتب في الكمالات، فأحكام العقل والنور

تحتفل عن أحکام النفس الجزئية ومر بنا ذلك في القاعدة وهنا قاعدة أخرى وهي استمرار تكامل المعصوم .

فالصحيح أن المعصومين يتكاملون ومعنى أنهم يتكاملون ليس معناه ان احدهم انقص من غيره ثم يكتمل ، بل الثابت ان أول مجئهم هم أكمل من غيرهم إلا انه بالقياس إلى كمالات الله هم يتكاملون أكثر فأكثر ، لأن الباري تعالى كمالاته لا محدودة ولعل هذا من نوع معنى تفسير لما اشرنا اليه للعصمة الإلهية والعصمة النبوية ، فالعصمة الإلهية بالذات لا محدودة أبدا وأبدا وأما العصمة النبوية فهي تكامل بالله ، وهنا نكتة لطيفة بمقتضى القاعدة في الفرق بين العصمة الإلهية والعصمة النبوية والقاعدة الثانية أن مراتب الذات مختلفة وهذا نريد أن نركز أن التكامل هل هو لنور المعصوم أو لنفسه الجزئية أو لأبدانه أو لروحه الكلية أو لكل المراتب ، ثم إذا كان التكامل لكل المراتب أو لبعض المراتب فنسق هذا التكامل كيف هو؟ ، ومثال على ذلك الآن أحد النوافع ابن سينا مثلا أو العلامة الحلي أو الشیخ الطوسي أو غيرهم فهذا النابغة في سماء العلم مقدر له مقام غير مقام والده الذي علمه طفيف.

وحقيقة التكامل في المعصومين هي قاعدة إذا لم يتقنها ويحيدها الباحث في المعارف ربما تخلق له إرباك وكثير من التساؤلات ، وبعبارة أخرى تشابه الأحوال عند المعصومين علينا أن أحد أسبابها هي قضية التكامل ، وكما مر أن كل رتبة من رتب المعصومين له جهة تكامل خاصة به ومناسبة إليه ، مثلا تكامل النفس أو بدن المعصوم فمن الواضح أن بدن المعصوم يتكامل ويكون جنين ثم يكون رضيع ثم يشب بدنـه وكذا ويختلف عن نمو بقية الابدان إلى أن يكهل ويشيخ كما تحدثنا بذلك الروايات الكثيرة ، فالبدن لدى المعصومين في حين لا نغفل

عن قاعدة صفة الخلق بدننا وروحنا ولكن له مراحله الطبيعية من النمو بحسب طبيعة صفة الشيء وسالاته.

اتفاقا في الروايات أن المعصوم أول ما يولد يكون له سهم من روح القدس فكلما اشتد زاد في سهمه من روح القدس، وسيبه أن هذا البدن كما قرر في الأبحاث الفلسفية بها يتعلق به من أرواح وقوى ليست بدنية وإن كانت تسمى بدنية وإنها من النفوس والغرائز النازلة والأرواح النازلة متعلقة بالبدن هي بطبيعتها قابلتها ليست كقابلية المراتب العليا الصاعدة من المعصومين وإن كانت هذه المراتب من بدن المعصوم وغرايشه وقواه تفوق بقية أبدان البشر وهي صفة أبدان البشر وتتفوق الجهات النفسانية في بقية البشر ولكن لا يعني ذلك أن قابليتها هي بحد المراتب العليا من نفس المعصوم، فتحمل هذه المراتب الدنيا النازلة من وجوده من بدنها وغرايشه ونفسه الجزئية فتحملها لفيوضات نفس مراتب الذات العليا منه ليس تحملها دفعي وسعى بوسع المراتب العليا وإنها بنحو تدريجي، ومن ثم تأخذ مسيرة التكامل، ومن الخطأ القياس بينه وبين غيره فنفع في خطا، أما المقايسة بين مراتب وجوده وذاته النازلة مع مراتبه الصاعدة لا مانع منه وفي محله فإنه توجد مفارقة ومخالفة، وبالتالي هذه المراتب النازلة لابد أن تستوسع، لذلك هذه موجودة في أصول الكافي أو في كتب متعددة حديثيه وهو أن المعصوم أول ما يولد له سهم من روح القدس وكلما يشد ويشتد يزداد له في روح القدس، وهناك نص قراني متكرر في وصف النبي يوسف وموسى قال تعالى عن يوسف ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُءَأَيْتَنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجِّيَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> وقال جل في

 (٢٢) و قال جل في

علاه عن موسى ﷺ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ دَاءَيْنَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجَّرَى الْمُحْسِنِينَ** ﴿٢٦﴾.

فهذا النعت ورد في النبي ﷺ يوسف وموسى، فهنا بلغ أشدّه فاشتداد البدن والغرائز والقوى شرط في تحملها قابلية المراتب العليا، ومن باب المثال ربها الإنسان يقوم بعمل ورياضية روحية إذا كان هذا العمل الروحي أو الرياضة الروحية أو الفعل الروحي كالعلم فالإنسان إذا أثقل على نفسه في المباحث العلمية بشكل شديد وهو مشهود في التجارب فترى أن أعصابه قد يصيبها كلل أو شلل أو إعاقة أو أقل التقدير أن يصيبه وجع رأس أو الأرجل أو قد يصيبه الآم في القلب، فالقضايا الروحية تأثيرها على البدن والأعصاب والغرائز والقوى النازلة ظاهراً مشهور، ولا قدر الله أن الإنسان ينباً بخبر مفجع فيصيبه فجأة مرض السكر أو قرحة المعدة، ودلالة ذلك أن البدن لا يتحمل وحتى القوى بعض الأحياناً ما فوق البدن لا يتحمل فيخلط ويهلوس بسبب الأعصاب وأحياناً فوق الأعصاب فتصيبه عقدة وانفصام في الشخصية وتصيبه فعل وقضايا أخرى فإنه ليس كل روح لها قدرة تحمل واحدة سبباً للإنسان إذا لم يروض نفسه على معارف وأفكار ورياضات فيجاجع يصدّم، والتعبير في القرآن في سورة الزمر **يَا أَيُّهَا الْمُزَمِّلُ قُمِ الظَّلَّالِ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتَّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا إِنَّ نَاسِتَهَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُ وَطْنًا وَأَقْوَمُ قِيلًا إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّلِّ إِلَيْهِ تَبَّيلًا**<sup>(١)</sup> بمعنى قيام الليل لأنّه يوسع من قابلية الروح لأنّ نفس تلقى القرآن وهذه العلوم ثقيلة على الروح، ونفس القرآن الكريم يقول للنبي ﷺ تروض واستعد لما سيلقى عليك والترويض الروحي

(١) سورة القصص: الآية ١٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ١ - ٨.

والبدني عن هذا الطريق، الآن بعض الأعمال في العبادات مثل ليلة عرفة ويومها وليلة القدر وليلة عيد الفطر أو الأضحى، فهناك مناسبات ومواسم في العبادات الروحية هناك أذكار أو ختمات أو أعمال أو صلوات ليس يستطيع الكل أن يأتي بها بل لا يستطيع الكل أن يتصورها فربما يعتقد من مجرد القراءة، والبعض الآخر يأتي بها كشربة ماء وان احد الآجلة ينقل عن عياله في شهر رمضان لا تأتي الساعة تسعة ونصف إلا وقد صلت مئة ركعة وهي كشربة ماء قد أتت بها إذا القابليات والغرائز تختلف والنفوس تختلف.

وان هذا الأمر مشهود فقد أتى آتٌ لسيد الشهداء فقال اخربني بعض فضائلكم قال لا تحمل فقال أريد أن ازداد حباً فقال لا تحمل ولكن أقول لك كلمة واحد فهمس في أذنه همس ايض راس ولحية السائل فالمقصود تحمل مثل هذه الأمور ليست بالأمر السهل، وفي رواية أخرى من الإمام الصادق مع أحد الرواة والراوي ليس بالهين في سفره من المدينة إلى الحج من بعسفان وهناك جبل أسود اسمه الكمد فالراوي يقول للإمام أني اشعر بوحشة من هذا الجبل فقال بلى هذا الجبل يعذب فيه قتلة أهل البيت وهم فلان وفلان واني اسمعهم وهم الآن يستغيثون بي ويقولون كذا وان هاتف يهتف بي ويقول اذهب عنهم فلا رحمة الله وهذا الجبل منفتح على البرزخ والبرزخ على جهنم....الخ فوصف الإمام أهواه كل ذلك فقال أترى أنت كل ذلك ولا يصييك شيء فقال الإمام أن قلوبنا غير قلوبكم، إذاً الأوعية تختلف فالمقصود حتى في حالات النبي ﷺ والأئمة تختلف.

ونورد الرواية رغم طوها الا ان فيها معانٍ لطيفة للقارئ الكريم فعن عبد الله بن بُكير

الأرجاني:

«صَحِبَتْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْجَلِيلِ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَتَرَلَنَا مُنْزَلًا يُقَالُ لَهُ: عُسْفَانٌ ثُمَّ مَرَرَنَا بِجَبَلٍ أَسْوَدَ عَنْ يَسَارِ الطَّرِيقِ مُوْحَشٍ، فَقَلَّتْ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا أَوْحَشَ هَذَا الْجَبَلُ! مَا رَأَيْتَ فِي الطَّرِيقِ مُثْلَ هَذَا، فَقَالَ لَيْ: يَا ابْنَ بُكَيْرٍ أَتَدْرِي أَيْ جَبَلٍ هَذَا؟ قَلَّتْ: لَا، قَالَ: هَذَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ: «الْكَمْدُ» وَهُوَ عَلَى وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ، وَفِيهِ قَتْلَةُ أَبِي؛ الْحَسِينِ الْجَلِيلِ، اسْتَوْدَعُهُمْ، فِيهِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ مِيَاهُ جَهَنَّمَ مِنَ الْغَسْلِينَ وَالصَّدِيدِ وَالْحَمِيمِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْ جَبَلِ الْجَوَّيِ وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَلَقِ مِنْ آثَامٍ وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَبَالِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْ جَهَنَّمَ وَمَا يَخْرُجُ مِنْ لَطْيٍ وَمِنْ الْحُطْمَةِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْ سَقَرَ وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَمِيمِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْهَاوِيَةِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنَ السَّعِيرِ، وَمَا مَرَرْتُ بِهَذَا الْجَبَلِ فِي سَفَرِي فَوَقَتْ بِهِ إِلَّا رَأَيْتُهُمْ يَسْتَعْيِثُانِ إِلَيْ وَإِنِّي لَا نَظَرَ إِلَى قَتْلَةِ أَبِي، وَأَقُولُ لَهُمَا: إِنَّمَا هُؤُلَاءِ فَعَلُوا مَا أَسَسْتُهُمْ لَمْ تَرْحُمُنَا إِذْ وَلَّتِمْ وَقْتَلَمُونَا وَحْرَمْتُمُونَا وَوَبَّتُمْ عَلَى قَتْلَنَا وَاسْتَبَدَّتُمْ بِالْأُمْرِ دُونَنَا، فَلَا رَحْمَةُ اللَّهِ مَنْ يَرْحُمُكُمْ، ذُوقَا وَبَالِ مَا قَدَّمْتُمْ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ، وَأَشَدُّهُمَا تَضْرِّعًا وَاسْتِكَانَةُ الثَّانِي، فَرِبَّيَا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا لِيَتَسَلَّ عَنِّي بَعْضُ مَا فِي قَلْبِي، وَرِبَّيَا طَوَّيْتُ الْجَبَلَ الَّذِي هُمَا فِيهِ وَهُوَ جَبَلُ الْكَمْدِ، قَالَ: قَلَّتْ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنْدَا طَوَّيْتُ الْجَبَلَ فِيمَا تَسْمَعُ؟ قَالَ: أَسْمَعَ أَصْوَاتَهُمَا يَنْادِيَانِ: عَرَجَ عَلَيْنَا نَكَلْمُكَ فَإِنَا نَتُوبُ، وَأَسْمَعَ مِنَ الْجَبَلِ صَارَخًا يَصْرُخُ بِي: أَجْبَهُمَا وَقَلَّتْ لَهُمَا: اخْسُؤُوا فِيهَا وَلَا تَكَلَّمُونَ ! قَالَ: قَلَّتْ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمِنْ مَعْهُمْ؟ قَالَ: كُلُّ فَرَعُونَ عَتَّا عَلَى اللَّهِ وَحْكَى اللَّهُ عَنْهِ فِعالَهُ، وَكُلُّ مِنْ عِلْمِ الْعِبَادِ الْكُفَّارِ، فَقَلَّتْ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: نَحْوُ «بُولِسَ» الَّذِي عَلَمَ الْيَهُودَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، وَنَحْوُ «نَسْطُورَ» الَّذِي عَلَمَ النَّصَارَى أَنَّ عِيسَى الْمَسِيحَ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَ لَهُمْ: هُمْ ثَلَاثَةٌ، وَنَحْوُ فَرَعُونَ مُوسَى الَّذِي قَالَ: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى، وَنَحْوُ نَمْرُودَ الَّذِي قَالَ: قَهْرُتُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَقَتَلْتُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، وَقَاتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَاتَلَ فَاطِمَةَ وَمُحَمَّدَ، وَقَاتَلَ الْحَسِينَ

والحسين، فأمّا معاوية وعمره فما يطمعان في الخلاص، ومعهم كُلُّ من نصب لنا العَداوة، وأغان علينا بلسانه ويده وماليه، قلت له: جعلت فداك فأنت تسمع ذاكَلَه لا تفزع؟ قال: يا ابن بُكير إنَّ قلوبنا غير قلوب النّاس، إِنَّ مطيعون مصفون مصطفون، نرى ما لا يرى النّاس، ونسمع ما لا يسمع النّاس، وأنَّ الملائكة تنزل علينا في رحالنا، وتتقلب في فُرْشتنا، وتشهد طعامنا، وتحضر موتنا، وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون، وتصلي معنا، وتدعوا لنا وتلقى علينا أجنحتها، وتتقلب على أجنحتها صبياننا، وتنعن الدَّوابُ أن تصل إلينا، وتأتينا ممّا في الأرضين مِن كُلِّ نباتٍ في زَمانه، وتسقينا مِن ماء كُلِّ أرضٍ نجد ذلك في آنيتنا، وما مِن يوم ولا ساعَةٍ ولا وقت صَلَاةٍ إِلَّا وهي تتهيأ لها، وما مِن لَيْلةٍ تأتي علينا إِلَّا وأخبار كُلِّ أرضٍ عندنا، وما يحدث فيها وأخبار الجنّ وأخبار أهل الهوى من الملائكة، وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره إِلَّا أتانا خبره، وكيف سيرته في الَّذِينَ قبْلَه، وما مِن أرضٍ مِن سِتَّةِ أرضين إلى السَّابِعةِ إِلَّا ونحن نؤتى بخبرهم، فقلت: جعلت فداك فأين متى هذا الجبل؟ قال: إلى الأرض السَّابِعةِ، وفيها جهَنَّم على وادٍ من أوديته، عليه حفظةُ أكثر من نجوم السماء وقطر المطر وعدد ما في البحار وعدد الثَّرى، قدُوَّلَ كل ملك منهم بشيء وهو مقيم عليه لا يفارقه، قلت: جعلت فداك إليكم جمِيعاً يلقون الأخبار؟ قال: لا إنما يلقى ذلك إلى صاحب الأمر، إِنَّا لنحمل ما لا يقدر العباد على الحكومة فيه فنحكم فيه فمن لم يقبل حكومتنا جَرَّته الملائكة على قولنا وأمرتِ الَّذِينَ يحفظون ناحيتها أن يَقْسِرُوه على قولنا، وإن كان من الجنّ من أهل الخلاف والكفر أو ثُقْته وعدَّته حتّى يصير إلى ما حكمنا به، قلت: جعلت فداك فهل يرى الإمام ما بين المشرق والمغرب؟ فقال: يا ابن بُكير فكيف يكون حُجَّةُ الله على ما بين قطريها وهو لا يَرَاهُم ولا يَحْكُمُونَ؟ وكيف يكون حُجَّةً على قومٍ غَيْبٍ لا يقدر عليهم

ولا يقدرون عليه؟ وكيف يكون مؤدياً عن الله وشاهداً على الخلق وهو لا يراهم؟ وكيف يكون حجّة عليهم وهو محجوب عنهم؟ وقد جعل بينهم وبينه أن يقوم بأمر ربّه فيهم، والله يقول: «وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ» يعني به مَن على الأرض والحجّة مِنْ بعد النبي ﷺ يقول: «سُرْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ»، فأيّ آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق وقال: «مَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا»، فأيّ آية أكبر منّا، والله إنّ بنى هاشم وقريشاً لتعرف ما أعطانا الله ولكنّ الحسد أهلكهم كما أهلك إبليس، وإنّهم ليأتونا إذا اضطروا وخفوا على أنفسهم فيسألونا فنوضح لهم فيقولون: نشهد أنّكم أهل العلم، ثمّ يخرجون فيقولون: ما رأينا أضلّ مِنْ أَتَّبع هؤلاء ويقبل مقابلتهم ! قلت: جعلت فداك أخبرني عن الحسين عليهما السلام لو نبّش كانوا يجدون في قبره شيئاً؟ قال: يا ابن بكر ما أعظم مسائلك ! الحسين عليهما السلام مع أبيه وأمه وأخيه الحسن في منزل رسول الله، يحبون كما يحبى، ويرزقون كما يرزق، فلو نبش في أيامه لوجب دماؤه؛ وأماماً اليوم فهو حيٌّ عند ربّه يرزق وينظر إلى مُعْسِكِه وينظر إلى العرش متى يؤمر أن يحمله وأنه لعلى يمين العرش متعلق (كذا) يقول: يا ربّ أنجز لي ما وعدتني، وإنّه لينظر إلى زواره وهو أعرف بهم وبأسماء آبائهم وبدرجاتهم وبمنزلتهم عند الله من أحدكم بولده وما في رحله وأنّه ليرى من يبكيه فيستغفر له رحمةً له، ويسأل أباه الاستغفار له ويقول: لو تعلم أيّها الباكى ما أعدّ لك لفرحت أكثر مما جزعت، فليستغفر له كلُّ من سمع بكاءه مِنْ الملائكة في السَّماء وفي الحائر، وينقلب وما عليه مِنْ ذنبٍ<sup>(١)</sup>.

وهناك رواية قد البعض لا يقبلها ولكن لا أرى فيها شيء وهو انه سئل أمير المؤمنين ما هذه البطنة فقال ليست بطنه أكل وشرب وإنما هي للعلم الذي جاءني أو رزقته، وبعضهم ربط العلم بالبدن؟، وله ربط كثير أما انه لا يريد أن يقبل هذه الرواية فهذا بحث آخر ولكن ليس فيها شيء غير معقول.

ومعنى اشده أما بلغ الأربعين أو بلغ اشتداد الغرائز والقوى لأن الحكمة والعلم والآيات اللدنى يحتاج إلى قابلية وأرضية ويحتاج إلى مهبط ومحل صعود فهذا جانب لابد من الالتفات إليه. وإلا لماذا النبي ﷺ هونبي والبعثة هيبعثة الرسالة في سن الأربعين أو الشهان والثلاثين كما ذكر ذلك الصدوق، فلماذا هذا السن؟؟ لأن بينهما ترابط، وما تحمله سيد الأنبياء لا يتحمله أولوا العزم، فهناك ترابط بين البدن والقوى النازلة وبين ما فوق، وما نجده من بعض المراحل الزمنية للمعصومين فهذا ليس بخلاف العصمة والاصطفاء وإنما هذا مقتضى البشرية فلا بد أن يتكملا.

والتكامل أيضا للعقل والنور، فهناك نظريتان كلاميتان فلسفيتان عند المحدثين وعند عموم مدارس المعرف، فنظرية باللغة الفلسفية (التذكر) وقبلها باللغة القرآنية فكل ما عند الإنسان مخبأ ومطوي في ذاته وإنما يتذكره الإنسان أو في الفطرة أو الميثاق الفطرة ويستشهد بذلك بروايات أو دلائل وهو أن الأنبياء إنما بعثوا ليثروا دفائن العقول أو في تعبير يستادوهم ميثاق فطرته، والوثاق مثل الحبل فالفطرة فيها وثائق ومستندات ومطويات يستادوهم أي يطلبوا منهم أن يؤدوها من كنز الفطرة، وهذا في نهج البلاغة ويعبر عنها مساحة نظرية علمية أو حقيقة وقاعدة علمية هو أن الروح الإنسانية وليس النفس الجزئية

والقوى والغرائز النازلة وإنما الكلام في العقل والنور والفطرة عند الإنسان فهي ليست وعاء خاوي، وإنما بإعطاء من الله فالله تعالى أعطى الطينة العقلية أو أعطى الفطرة أو أعطى العقل، وهذا الذي أعطى بعطاية وهمية هذه العطاية ليست خاوية وإنما هي كنز وفيها قدرات، وهذه القدرات كامنة وترتق أي مكبوسة ومكدسة وتحتاج إلى فتق والى تفصيل في مقابل الإجمال، وهنا الإجمال ليس بمعنى الإبهام وإنما بمعنى التكديس والدمج والتلخيص فتحتاج إلى تفصيل بمعنى النشر.

وهنالك شرح لهذه النظرية وهو أن البدويات التصورية أو البدويات التصديقية هي رأس مال الإنسان في الوصول إلى النظريات البعيدة الساحقة في البعد المتوجلة في البعد وفي كشف ستار إبهام وإجمال كل المجهولات وهذا عبر البدويات، والبرهان على ذلك أنه دوماً الإنسان في كل علم يستخرج المجهولات من إرجاع مراحل الاستدلال أو المراحل الرياضية أو الهندسية أو الفيزيائية يستخرجها من المعادلات المعلومة، فكأنما في هذا التصور الأولى البدويي مخزون فيه ومعبي ومقدس فيه كل تصور العلم والمعلومات ولكن الرجل كل الرجل الذي يستخرج ذلك، والتصديق الأولى بدويي ويحمل في طياته كل التصديقيات الأخرى ونظرية اليقين ذكرت شرحها في العقل العملي وذكرت نقد على نظرية المرحوم الشهيد الصدر الأول في الاستقراء المنطقي الذي ذكره أن هناك طفرة مصادرة خفية ضرورية لابد منها لحصول اليقين وجعل مصدر البدويات واليقينيات والوصول إلى رأس مال علمي تفك فيه كل المجهولات حسب مبناه العلمي وعمدة كتاب السيد الصدر الأول قائم على هذه النظرية، وسمعت أن كتابه يدرس في أميركا واحد الإخوة الذي يدرس هناك في نفس الدرس البحوث الإنسانية وباسمه تدرس عندهم فهي ليست نظرية سهلة بل

عميقة ومهمة سيما أنهم ماديين وحسين و هذه النظرية تفتح الباب لهم في بحث الإلهيات ولذلك هي جهد مهم مثير.

وأقول رغم جدارة هذه النظرية وقوتها والجهد الذي بذله الصدر الأول فيها ولكن هناك شيء أكمل من هذه النظرية وهو موجود في النصوص الشرعية وهو أن مصدر الفطريات والبديهيات ومصدر رأس معلومات الإنسان حسب الروايات ونظرية السيد هي أحد أدوات الإنسان لا هي المبدأ الأصلي والنقد من هذه الجهة ولكن المبدأ الأول هو هذا وعليه بحث ونقد وهو كمبداً أول في رأس المال ويدأ التصور الأول والبديهية الأولى والأوليات هي المصدر وترجع إلى العلم الحضوري.

أما أول التصديقات هو اجتماع النقisiين فليس كذلك بل أول التصديقات التصديق بوجوده تعالى فأول التصورات هو تعالى وأول التصديق هو تعالى وهناك برهان عرفاني «بك عرفتك وأنت دللتني عليك ولو لا أنت لم ادرى ما أنت» لا بالاستقراء.

أن تكامل مراتب ذات المقصوم تختلف عن بعضها البعض من التكامل البدني والتكمال الروحي والتكمال النفسي والقلبي، بل في الروايات هناك تكامل قلبي وهو أن الإمام عندما يولد ويسجد لله تعالى ويتشهد بالحق يزداد له في روح القدس وكلما اشتد وترعرع ونمى يزداد له في روح القدس، ولدينا روايات أخرى أن الإمام إذا وصلت نوبة الإمامة الفعلية إليه يتنتقل إليه روح القدس مع أنه كان له ارتباط بالروح القدس ولكن كأنما بقضيه وقضيشه يتنتقل إليه روح القدس أو في بعض التعبير يزداد خشوعا لله تعالى بربهة عظيمة لم يكن قد نالها من قبل حتى في الروايات أن هذا علامه لموت الإمام الذي قبله وزيادة

الرهبة والخشوع لله يدل على ازدياد العلم بالله «أعلمكم بربكم أخشاكم منه».

روى هارون بن الفضل، قال:

«رأيت أبا الحسن عليّ بن محمد في اليوم الذي توفي فيه أبو جعفر عليهما السلام فقال: إِنَّ اللَّهَ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مَضِيَّ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: وَكَيْفَ عَرَفْتَ؟ قَالَ: لَأَنَّهُ تَدَخَّلَنِي ذَلِكَ اللَّهُ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفَهَا»<sup>(١)</sup>.

وفي قضية التكامل العقلية والعلمية كيف؟، وقلنا فيه قوله أو أكثر الأولى نظرية التذكر أو القول بالتذكر، واللطيف أن القرآن الكريم يقول تعالى ﴿وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرُ وَمَا يُبَيْغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ فحقيقة القرآن دوماً توصف أنها ذكر وتذكر، وهناك آيات وروايات عديدة دالة على خلقة الطينة مثلاً المؤمنين خلقت أرواحهم من علينا وأبدانهم دون ذلك وأبدان الأئمة من أعلى علينا وأرواحهم من ما فوق ذلك، وأرواح الكفار وأرواحهم خلقت من سجين وأبدانهم من ما دون ذلك، فتعابير متعددة موجودة ولذلك الحدة والغضب في الأصل طينة سجين إلا أن هذه الطينة خللت بطينة العلين كي يكون هناك نوع العشرة بين أهل السجين وأهل العلين وإلا ما كانت هناك إمكان عشرة وعشرة بين الصنفين، ومفاد أخبار الطينة مع تفاصيلها كأنها يبين نفس نظرية التذكر ونظرية التذكر هي بمثابة تفرق الرتق وتفصل الشيء المجمل والمدمج ويمكن تشبيهها بهذا التشبيه بالمعنى التصوري الأول ينشعب منه كل التصورات النظرية والمعنى التصدقي

(١) أصول الكافي / ١ / ٣٨١

الإمامية الإلهية، بحوث الشيخ محمد السندي، ج ٣، صادق محمد رضا الساعدي، ص ٤٠٤.

الأول ينشعب منه كل التصديقات النظرية اللاحقة، فهذا التصور الأول عبارة عن معنى مدمج يمكن أن يفتق ويفصل وتتشتت منه ما لا ينتهاه من الصور أو المعاني كما أن التصديق الأول مدمج يمكن أن تتفصل وتتشتت منه إلى ما لا نهاية من المعاني. إذاً رتق يفتق ودفائن تستشار ومواثيق تستندى وتظهر، فإذا فسر التكامل كذلك سواء اختصر عليه أو لا.

الآن في العلم الحديث يقولون أن مخ الإنسان إنما يستخدمه الإنسان بمقدار ٣٪ والنوابغ ٧٪ يعني أن المخ له القابلية أن يكون أكثر من عشرة أضعاف على ما عليه النوابغ أما في غير النوابغ فعشرين أو ثلاثين ضعف، فبناء على نظرية التذكر يكون أصل أول ما خلق الله نور النبي ﷺ، وأول ما خلق الله الحقيقة المحمدية وأول ما خلق الله أنوار أهل البيت فهذا بلحاظ الطينة أو النور ولكن تفتق هذا النور يحتاج إلى التتفق بها فيه وإلا لو كان الإنسان لا يزداد تكاملا بالتفصل لما حصل حتى في الإنسان العادي وهذه النظرية عامة وليس مقصورة على أهل البيت فكل إنسان كان له في أصل خلقته موقعة فلم يفصل فواضحة انه فيه تكامل إذا هذا نوع تكامل ولكن هذا التكامل لا يعني عدم الواجهية وفي حديث من أحاديث المراعج يقول الإمام الصادق عليه السلام أن النبي 'استطاع أن يعرج إلى ما لم يستطع جبرائيل العروج إليه وهي حجب النور التي لم يتقدم فيها جبرائيل قيد أنملة لأن النبي عليه السلام خلق من ها هناك فوصل إلى هناك.

قال الشيخ مكارم الشيرازي:

«صحيح أنّ جبرئيل ملك له مقام رفيع، إلاّ أنه من المقطوع به أنّ مقام النبي ﷺ أعلى منه شأنًاً كما ورد في قصة المراعج أنه كان يصعد في المراعج - مع النبي عليه السلام - فوصل إلى نقطة

فتوقف جبرئيل عن الصعود وقال للنبي: «لو دنوت قيد أنملا لاحترقت» إلّا أنّ النبي ﷺ واصل سيره وصعوده!»<sup>(١)</sup>.

فالقصد أن هذا التعبير موجود لأن النبي ﷺ من ها هناك فوصل إلى ها هناك حيث إن هذا التكامل في المعصوم في جانب الفتق والتفصيل والتفصل والصعود لا يعني أنه ليس من ها هناك كلا هو من ها هناك لكن التكامل في أن يصل، هذا بيان لطيف ويعني أنه ليس من متوفر على حظوة ذلك المقام العالي ولكن يفصل لديه فلو لم تكن له تلك القابلية والقدرة لما فصل إليه فقابليته تختلف عن البقية رفعة وعلوا وكما لا ومن ثم تكامله مختلف عن الآخرين، ففي حين هو تكامل لكن هذا لا يفقده الامتياز والاصطفاء وبلغ أعلى علو وذو ميزة وخيرة وذو قدرة، غاية الأمر هو بلحاظ نفسه في حالة تصاعد وتكامل وهذا الذي يتکامل منه يفيض الله عليه من نافذة ذاته، بمعنى الباري تعالى يجعل نافذته نافذة وواسطة فيض له بلحاظ التكامل وما هو في مكامن ذاته أعظم ما لكل من دونه في الدفائن ومثال التعبير لم يكلم رسول الله أحد لكنه عقله قط بمعنى دفائن العقل التي لديه ومواثيق الفطرة التي لديه فهي ليست في البقية فهو في حالة تكامل ولكن لا ينفي انه يزداد وما يقال انه كيف ذلك وإن أول ما خلق الله هو نوره وهو أكمل من البقية؟، فمع انه يتکامل لا منافاة تلك بلحاظ مرحلة الرتق والإجمال أو قل القابلية والقدرة والدفائن أو مواثيق الفطرة وهذا بلحاظ التفاصيل والتفصل، وهذا الذي أول ما خلقه الله الآن فيترعرع وينمو ولا منافاة في ذلك لأن في مكامن فطرته ومواثيق ذاته وكتنوز العقول فيها هذه الأمور وباستطاعته أن يتتفق

فمثلاً ما يلحظ من ظاهر علي انه يتعلم من النبي ﷺ وهو حقيقة ذلك، ومن تعلم الصديقة من النبي ﷺ أو من تعلم سيد الأنبياء من جبرائيل أو الوحي التدريجي ومن تعلم الحسينين من أبيهما ومن جدهما والأئمة منها، فكيف يلتسم مع أنهم أول الأنوار وأنهم علموا الناس فلا منافاة بين الأمرين.

ووجه اخر للفهم هو أن يقال أن ذات المقصوم إذا لوحظ بلحاظ ما فوقها وهو الباري تعالى فهي محدودة ومحاطة وأين المخلوق من رب الخلائق فهو أمر غير قابل للقياس ولازم ذلك أن فيض الله دائم مستمر، فحتى تلك الذات أو المراتب الأولى هي على سطح ودرجة من العلم الفعلي ولكن بلحاظ على ما يزيد على المراتب الفعلية.

وتكميل المراحل العليا يشهد له جملة من النصوص والبيانات العقلية أيضا باعتبار أن كل مخلوق بالنسبة إلى الخالق محدود واهم معاني المحدودية بمعنى الفقر والتقدم وفي هذا ينطوي جملة من المعاني.

المقصود أن القول بالتذكرة ليس عدم كسب، والكثير للأسف ربما في جانب السير والسلوك ويتركون الدراسات والأبحاث، فكما أن العكوف على الجد والبحث هذا ليس كل شيء فلابد معه أيضا من دعاء ومن مدد ومن صلاة وعبادة وتوسل وطهارة ونظافة روحية لكي يكون الوعاء قابل فكليهما (التزكية والبحث) يحتاجها الإنسان للتكميل معاً، إذَا نظرية التذكرة ليس فيها نفي للكسب.

وهناك نظرية ثالثة ربما تكون تأليف بين النظريتين وهي أن تقول استزادة موجودة وما موجود في الطينة معِد ومهيأ لما يزاد حقيقة ولكن هذا الذي يزداد له دخل إعدادي داخلي لما

هو موجود في الطينة، وربما يكون هذا تفسير للفتق والرتوق بان الرتق زيادة ولكن النسبة بين الشيء الرتقي مع الشيء التفصيلي زيادة ونقيصة ولكن هذه الزيادة والنقيصة لها نسبة إعداد ونسبة تناسب.

وهناك بحث عند الملا صدراً أن العلم الإجمالي في عينه هو التفصيلي وهذه ألفاظ تقال أما تفسيره فكيف؟، وهذا بحث آخر، ولعل المرحوم الأصفهاني قال لو اعلم أن هناك شخص في أقصى الديار لحججت إليه. فهذه يمكن تفسيرها وأنه يوجد نوع استزادة.

والخلاصة أن الاستزادة حقيقة موجود وهذه الاستزادة الحقيقة الموجودة لها ارتباط وثيق بمكون الطينة والفطرة من مواثيق، ولكن هذا التفصيل هو استزادة والارتباط بينه وبين مكون الفطرة هناك ارتباط نسبي وإعداد وقابلية.

وهناك احتفالية مفتوحة فلا بد أن نأخذ بكل الوجوه في قوله ﴿وَعَلِمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمُلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُنِي بِالْأَسْمَاءِ هُؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فهذه مأخوذة في الحسين وآية أخرى ﴿وَفَوَقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ فمجموع منظومة العلم بحث ملحمي في التفسير، ثم كيف الجمع بين تلقى الكلمات وبين ﴿وَعَلِمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وإن كان في الروايات أن هذا التلقي ليس خلاف التعلم ففي الروايات إنما استمره عند التوبة، وفي الرواية انه دعا بحق بالنبي ﷺ والله فجاءه الخطاب من اين علمت أن هؤلاء شفعائك (وهو موجود في الحاكم للنيسابوري ) قال يا رب لما نظرت على العرش رأيت اسمه مuron باسمك فعلمت انه اشرف الخلق وأحباه فشفعت به إليك وإذا نفس التعلم ذاك استمره

هنا أو فعله فعبر عنه الباري بتلقيه»<sup>(١)</sup>.

«عمر ابن الخطاب قال: قال رسول الله: لما أقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيديك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى إدعني بحقه فقد غفرت لك ولو لا محمد ما خلقتك»<sup>(٢)</sup>.

«عن رسول الله ﷺ قال: «يا عباد الله إن آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه، إذ كان الله تعالى نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور ولم يتبيّن الأشباح، فقال: يا رب ما هذه الأنوار؟ قال: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع العرش إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك، إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح، فقال آدم ﷺ: يا رب لو بيتهالي.

فقال الله عز وجل: انظر يا آدم إلى ذروة العرش.

فنظر آدم ﷺ ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم ﷺ إلى ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية، فرأى أشباحنا.

فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟

قال الله تعالى: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقني وبرياتي، هذا محمد وأنا المحمود في أفعالي، شققت له اسمًا من اسمي، وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له اسمًا من

(١) مستدرك الحاكم رقم الحديث: ٤٢٨.

(٢) أخرجه القندوزي الحنفي في البينة.

اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض، فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل القضاء، وفاطم أوليائي بما ييرهم ويشنينهم، شفقت لها اسمًا من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل ومني الاحسان، شفقت اسميهما من اسمي.

وهؤلاء خيار خلقي وكرائم برّتي، بهم آخذ وبهم أعطي، وبهم أعقاب وبهم أثيب،  
فتتوسل بهم إلى يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إلى شفعائك فإني آليت على نفسي قسمًا حقًا لا  
أخيّب لهم أملاً ولا أردهم سائلاً<sup>(١)</sup>.

والمهم ان النظرية الثالثة معنى التكامل بهذا المعنى، وتحصل لدينا في القاعدة أن تكامل المعصوم بلحظة مراتب ذاته كل مرتبة تختلف عن الأخرى فيجب أن لا توحد او تدمج شؤون مرتبة أخرى ، وجانب ثانٍ من الشمار التي تستفيدها من هذا البحث ما ورد من روایات وآيات أنهم نور في عالم الأنوار ومحيطين فكيف يكون هنا سعي ومكافحة وترعرع ونمو وتكامل؟، فلا تنافي بين الجنبيتين كما لا تنافي بين الجنبة البشرية والجنبة الوحيانية، وانتم تقولون أن نوره أول الخلق وبنوره كذا وكذا، وكان نبيا بين الماء والطين ثم يأتي ذلك السائل الغافل ويقول كيف يقول ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًاً فَهَدَى﴾ فان هذه معنى كما في تفسير الإمام الرضا عليه السلام وجدك ضالاً عند قومك فهداهم إليك ورد:

عن الرضا عليه السلام «يتيمًا فرداً لا مثل لك في المخلوقين فآوى الناس إليك وضالاً في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم إليك وعائلاً تعول أقواماً بالعلم فأغناهم الله بك»<sup>(٢)</sup>.

(١) ينابيع المودة لذوي القربي / القندوزي الحنفي: ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) تفسير الصافي للفيض الكاشاني.

أو قوله ﴿وَعَلِمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ فهذا أين من قوله أن أول ما خلق الله نور النبي، فكيف الجمع بين الجنبيتين؟، لا تنافي بين الجنبيتين لأن هذا بناءه موحد ذا طبقة واحدة والحال انه ذات جنبيتين، ثم أن التكامل له شؤون وشجون، فذلك الذي في الطبقة الأولى من دونه قائم به لا غيره.

**الجانب الثاني عشر:** «إنما يريد الله ليذهب عنكم. الرجس أهل البيت» وتنوع العصمة في النصوص:

لم يقل لأذهبكم عن الرجس والفرق أن يذهب الرجس عنكم يدل أنهم ليسوا ذاتا مقبلين على الرجس، واتفاقاً أن العصمة بند فالعصمة التي هي صفاء وطهارة ذواتهم فهي ذاتية وهي ليست ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَّ إِدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَنَمِينَ﴾ ٢٢٠ قراءة ابن عباس وال محمد وهو لا يعني تغيير لفظي بل إنها هو التفسير الأصوب، أما هنا الإرادة تعلقت بإبعاد الرجس عنهم لا بإبعادهم عن الرجس، فعلاوة على الطهارة الذاتية هناك طهارة بيئية يريد لها الله تعالى وهذا من الأعراض المفارقة فان الابتلاء بالبيئة له طبيعته والتأثير بالبيئة طبيعة وهذه تتعلق بها الإرادة الإلهية أي تلك التي متعلقة بالبيئة، وهذه الآية تدل على مفروغية العصمة للذات وإنما هنا يؤمن العصمة البيئية «لم تنجسك الجاهلية بانجاسها ولم تلبسك من مدحومات ثيابها...» فالباحث عارض وهذا غير اصل محوطية الذات، وهنا أية التطهير دالة على ان المفروغ منه كونهم الصفوه ولذلك فرق بين لسان «أن الله اصطفى...» وبين «إنما يريد الله...» فالبنود في العصمة كثيرة ولم تنقح ولم تفصل ولم تفكك ولم تبوب ولم تنهج، وبحسب روایات أهل البيت هناك مفاصل عديدة ومتعددة

ترتبط مع بعضها بنتائج كبيرة، فلاحظ دعاء الندب يشرح ست أو سبع بنود للعصمة وليس بند واحد فيقول «وشرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرتها وشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء فقربتهم وقدمتهم...». فهناك عدة بنود وبنود سابقة وأخرى لاحقة، فهنا العصمة في الآية بلحاظ البيئة التي يعيش فيها سواء كانت وراثية أو تربوية وغيرها تلك التي تحيط به فهذه لا توجب تلبس بالمدلهمات أو الارجاس فارغاً عن الصفة وغير مقبل بنفسه فهم الصفة والبيئة لها عامل آخر وهذا لا ينفي أنه لابد من وجود حصانات مقابل هجوم البيئة، «كذلك لنصرف عنه السوء» أي نصرف نفس وجود السوء وليس يصرفه هو وإنما هو في نفسه منصرف ولكن البيئة لا تنصرف عنه بإرادته بل تحتاج إرادة أخرى ولذلك يقول «ليصرف عن السوء» وهذه المقامات يجب التفكير فيما بينها.

انظر إلى القرآن ينوه إلى وراثة علم الكتاب وهذا نوع عصمة أخرى وبنود العصمة في القرآن والروايات متعددة ودمجها ومزجها هو خطأ فإن لها مقامات متعددة وهناك قاعدة يبينها الإمام لا كما يبينها العرفاء والمتكلمين والفلسفه بل هو يخطئهم ويقول أن الإرادة لها متعلق وقاعدة معينة فالمشيئة لها متعلق وقاعدة معينة والعلم له متعلق وقاعدة معينة والتقدير له متعلق وقاعدة معينة، وقد خلطوا بين هذه الأمور الحال أنه ما تتعلق به المشيئة لا يمكن تعلق الإرادة به وما يتعلق به التقدير هو غير وكلا حسب المراتب المرتبة له.

إذاً العصمة المذكورة في الآيات والروايات ليست على فصل واحد وبند واحد وقسم واحد بل على فصول وبحوث وحيثيات متعددة.

الجانب الثالث عشر: تلخيص لما تم تحقيقه مسبقاً:

وخلال هذه القواعد أن تسلط ومواجهة الشيطان أو الجن وإبليس غير ممكن في المقصوم لأنه مقصوم في قلبه وروحه لا يتسلط عليه أولئك ولا يواجه قلب المقصوم شيء من ذلك بتاتاً، أما نفسه الجزئية وقوة الخيال والتصرف والبدن نعم فهنا المقصوم يكابد ويواجه الشيطان لا أن الشيطان يتغلب عليها فكما أن بدن النبي الشريف قد يجرح أو يؤلم نظير بدن النبي أيوب ﴿أَيُّ مَسْنَى الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ أو قضية موسى ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَّاهُمْ وَعِصِّيهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سُحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَ﴾ وهو انفعال تكويني لا بمعنى سيطرة مطلقة وإنما بمعنى البدن ينفعل من جرح الضاريين، وقد التفتنا إلى ذلك وأنه إذا كان أولوا العزم يكابدون في الخيال فكيف بغير المقصوم يمكنه السيطرة على خياله والخيال محل صراع مع الشيطان ثم إذا كان يواجه غير المقصوم فكيف يسد ومن أين يستعصى نفسه وهو على ذلك الحال .

وقلنا أن من شؤون المقصوم أنه ذو طبقات فنور المقصوم والروح الكلية والعقل الكلي ثم الروح الجزئية والنفسية الجزئية والغرائز والبدن فهذه طبقات لها شؤون مختلفة وأحكام تكوينية مختلفة فلا تتحمل طبقة على الطبقة الأخرى، وقاعدة أن أبدائهم ونفوسهم الشريفة وأرواحهم هي صفة الأبدان والأرواح والأنفس، وقاعدة أن أفعالهم التي يمارسونها سواء الأفعال البدنية أو الغرائزية فضلاً عن أفعال الخيال أو أفعال التعقل فهذه أفعال شفافة لطيفة وليس غليظة بهيمية مثل غيرهم كما مر بنا التمثال بمثال أن الحيوان يأكل بطريق معينه والإنسان إذا يرى أكل بعض الحيوان يتصرف لأن أكل الإنسان لطيف بأدب إنساني بينما الحيوان يأكل بغلظة أو نكاح الإنسان هو نكاح بدني لطيف وشفاف بحيث لو شاهد الإنسان نكاح بعض الحيوانات لتقياً لأن نكاحها غليظ ومقزز بينما المقصوم يفعل

الأفعال كالنور وبالنور وكل آدابه نورية وليس فقط آداب إنسانية ولذلك فيها تلطف.

وقلنا في العصمة الإلهية والعصمة النبوية أو الولاية ففرق بين العصمة الإلهية هي عصمة الله بالذات وهي لا محدودة، والعصمة بالله التي هي العصمة النبوية والتي تعني انه يتكامل بالله غاية الأمر الفرق بين العصمة الإلهية والنبوية وعصمة الاصطفاء والمصطفين عصمتهم عن الحاجة لغير الله غير المقصوم لابد أن يهدى من المقصوم أما المقصوم لا يهدى إلا من قبل روحه ومن قبل الله فيفاض عليه ﴿فَتَلَقَّى آدُمْ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ أو ﴿يَأَبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ كَاتِبِيهِمْ عَذَابٌ عَيْرُ مَرْدُوفٍ﴾ فالاهتداء من الله، فالمقصومين هدايتهم لدنيا الهيه أو مقصوم يهدي مقصوم آخر أعلى منه ولا ينافي العصمة والتزم الميرزا النائيني بذلك أي مقصوم يكمel المقصوم آخر لأن تكامل المقصوم ليس بغير المقصوم أما تكامل المقصوم بالمقصوم ليس فيه مانع لأن السلسلة تنتهي إلى الله وهو لا متناهي، أما أن يفضل غير مقصوم على مقصوم فهذا غير ممكن ويصبح أن يفضل مقصوم على مقصوم آخر ولذلك ما يشاهد من حالات المقصومين أن مقصوم أعلى وأكبر في العصمة والكمال يهدي مقصوم آخر لأن هداية المقصوم إلى مقصوم آخر هداية لدنيا من الله، وهو شبيه لبيانات جبرائيل إلى رسول الله ﷺ.

#### الجانب الرابع عشر: فعل المقصوم مرتبط به وبأمته:

هذه نكتة مهمة في بحث تفكيك العصمة ونستطيع أن نسجلها قاعدة أخرى، وهي أن فعل المقصوم تارة بما يرتبط به وفعل المقصوم بما يرتبط برعيته وأمته ففعل النبي ﷺ بما يرتبط

بأمته كالمحاسبة فيه ليست دخيلاً في عصمه وتعبير القرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٌّ إِذَا تَمَّى الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيُنَسِّخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ أَيَّاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيهِمْ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> قوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» فأنميته النبي ﷺ شيء يتجسد في الخارج وهو هداية الأمة لا أن أمنيته بما في صدره فأمنيته المصير المشترك بين فعله وفعل أمته فان كان في هذا الفعل والمصير المشترك فيخاطب به النبي ﷺ لا من حيثية فعله وإنما من حيثية فعل الأمة ولكنه هو مرهون ومرتبط بها والتعبير في الروايات «لَا تؤذوا النَّبِيَّ بِالْمُعَاصِي» فهي معاصي أنفسكم ولكن تؤذون النبي ﷺ لأن لها صلة به باعتبار نحن رعيته وأمته وكلما شاهد من حسنات من امته سيفرح كما في الأسرة كلما شاهد تفوق للأبناء والأولاد تزداد بشاشة وسروراً ولا قدر الله إذا رأيت في الأسرة انتكاسة أحد افرادها فتعتم وتحزن وقد قال تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً﴾.

مثلاً حق الله تعالى أن يوحد وان لا يشرك به فمن هو أول من سيسائل في النصارى الذين فرطوا في ذلك الحق؟، أول من يسائل هو النبي عيسى والواجب على النبي عيسى مع انه لم يقصر أن يقوم بواجب رد هذه الحقوق لله عز وجل، لذلك قال «سبحانك ما كان لي أن أقول...» فأداء حقوق الألوهية لله عز وجل فهو راعي هذه الأمة ويجب أداء حقوق الكبير العظيم، ونعلم أن الزهراء شريكة علي في الوصية وان كان الإمام هو علي بن أبي طالب وأفضل وأعظم درجة ولكن ليس الفاصل بين الزهراء وعلي كالفاصل بينهم وبين الحسينين أو كالفاصل بين علي وبقية الأئمة أو بقية المصطفين فهناك مشاركة في جهة ما وورد عنه أنه

قال:

«لَوْلَمْ يُخْلِقْ عَلَيْ مَا كَانَ لِفَاطِمَةَ كَفُؤٌ»<sup>(١)</sup>.

ولعل الذي يستثنى من هذا العموم فقط سيد الأنبياء باعتبار سؤدد الأنبياء الا انه ابوها' فلا كفو يناسب الاقتران بها الا على الليل.

#### الجانب الخامس عشر: اشكال وجوابه:

هناك إشكال قديم واصله مستوحى من النصارى في تبيان العصمة أن الالتزام بالعصمة في الأنبياء أو الأوصياء والحجج يرجع إلى دعوى الألوهية، لأن العصمة صفة إلهية فكيف العصمة التي هي صفة إلهية تثبتونها في الأنبياء والمرسلين والأوصياء والعصمة المطلقة صفة إلهية وإذا أثبتموها في غير الباري تعالى فقد أهّلتم البشر؟؟

هذا الإشكال قديم، وهذا الإشكال يبين بأشكال مختلفة مثلا العصمة تعني أنها ألوهية فإذا التزمتم بوجود العصمة في الأنبياء فقد بنيت على النظرية الخلوالية أو وجود اللاهوت في الناسوت لأن العصمة إنما هي في اللاهوت لا في الناسوت وهذه اصطلاحات مختلفة تعبّر عن معنى واحد ولذلك في الإنجيل والتوراة عندهم أن الأنبياء كذبوا على الله وتبردوا في الجملة على أوامر الله فرأى اللاهوت أن هؤلاء البشر لا يوفون بالعهد فقال أتي للميدان إنما بنفسي وهذه هي فلسفتهم فصار الثالوث أو الأقاليم الثلاثة، وهؤلاء الحشووية والسلفية القدامي من حنابلة وغيرهم عندهم ان الالتزام بالعصمة يمثل فكرة نصرانية لأن العصمة

---

(١) الكافي للكليني ج ١ ص ٤٦١.

لا هوت أي صفة إلهية وإذا التزمت بها فقد أهنت الأنبياء.

وجوابه بسيط يظهر من خلال امور منها:

أولاًً: ان اثبات العصمة لا يلزم الالوهية على اعتبار ان الله تعالى منزه عن النقص مطلقاً ومن كل الجهات او قل هو معصوم عن النقص من كل الجهات.

اما الانبياء والوصياء فانهم وان كانوا معصومين من الذنب لكن هذا لا يستدعي الكمال المطلق والتزه عن النقص من كل الجهات فمثلاً الموت نقص بلحاظ عدم التصرف بالبدن لأن الحياة كمال والمعصومين كلهم يموتون.

ثانياً: ان الله تعالى لا يقال انه معصوماً عن الذنب لأنه تعالى ليس موضوعاً لذلك من اساس ومن باب التقريب وليس للتشبيه لا يمكن ان نقول ان هذا الجدار معصوماً عن ذنوب البشر باعتبار انه لا يقتربها لسبب بسيط ان ممارستها ليس من شأنه والجدار ليس موضوعاً لها البته والباري تعالى لا يقال انه معصوم من الذنب لأنه ليس من شأنه اساساً.

ثالثاً: ان عصمة المعصومين انما لارتفاعهم بسلم العبودية وليس لأنهم اله والفرق بينهما واضح بين وعميق بأدنى تأمل !!

الجانب السادس عشر: حقائق علمية في الروايات وقاعدة حول قدرات اجسام المعصومين:

ذكرنا قاعدة أن ابدائهم فضلاً عن أرواحهم من صفة الوجود والبشر، واحد الاشتباكات إذا كان بدن المعصوم في حين بشريته وبنيته الجسمانية الموجودة إلا أن الأبدان

درجات والأجسام درجات ومن باب المثال الأشعة الموجية أجسام بحسب البيان الفلسفية لكنها غير مرئية. نعم في الاصطلاح الفيزيائي قد لا يسمى أجسام وتسما مثلا طاقة وأمواج، لأن المادة المتكثفة تسمى أجسام أما غير المتكثفة لا تسمى أجسام وإنما تسمى طاقات ولكن بالاصطلاح الفلسفية تسمى أجسام وقد حصل خلط عند بعض كبار الفلاسفة بين الاصطلاح الفيزيائي والفلسفية وهذا من البحوث الصعبة وهو أن الإنسان لا يميز بين اصطلاحات العلوم فالمقصود إذا كانت الأجسام بالاصطلاح الفلسفية والمادة مختلفة الآثار فإذا قلت له جسم يخترق الجدار فيقول هذا خرافه وسفطة لأنه حمل أحكام نمط من الجسم على كل الأجسام فيقع في الخطأ والآن الموجات التي في أقل من ثانية تذهب إلى أقصى الأرض أو إلى القمر أو إلى المريخ وهي جسم من الأجسام ولكن عنده طي كلمح البصر ويقول هذه خرافه لأن بنائه أن الجسم يساوي الكثيف والغليظ والبطيء، فأي جسم بهذا الجسم يمسى لباس وهناك جسم آخر عند الإنسان دنيوي والقدماء يسمونه ومن عدتهم المكاشفات يسمى الجسم البخاري والآن اكتشفوه في الأجهزة. الآن اكتشفوا الأكوانthem أصغر من الملي متر مئة مرة والنانو أصغر ألف مرة، والآن اكتشفوا في الفيزياء الجديدة أن هذه أجسام وليس طاقة بلا جسم بل هي أجسام وتستطيع أن تصنع منها أمور عجيبة وإن بدأت تظهر ثورة علمية كبيرة في علم النانو أو الأكوانthem والآن اكتشفوها وغيرها من الأمور ﴿بَلْ كَذَّبُوا إِمَّا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ،﴾ والغريب عند البعض من يدعى الحداثة أن الشيء الذي لم يكتشفه العلم الحديث يسارع إلى تكذيبه كما في التعبير الروائي «وأكثر العلم في الذي تكذبوه أو تنكروه»، مثلا بعض الكتاب يقولون أن بعض الروايات إنما هي خرافات كالتي تعبّر أن الأرض في جبل والحال العلم اكتشف ليس هناك جبال ولكن الآن

اكتشفوا أن توجد جبال مغناطيسية ولها شكل خاص وهناك روايات كانت عندما طرحت في السبعينات كثير من الكتاب المثقفين يقولون عنها هذه خرافات وإسرائيليات وغير هذا الكلام، والآن في التسعينات وما بعدها العلوم طفرت طفرات عجيبة واكتشفت صحة تلك النصوص وهذه أزمة واقعاً وفعلاً عجيبة القاعدة الواردة «واعلموا أن أكثر العلم في الذي تنكروه أو تجحدوه»، فليس تجحدوه لأن عندكم برهان بل لأنكم لا تحظون به علمًا واتفاقاً الآن الذي اكتشفوه فيزيائياً المجال المغناطيسي الذي يحمي الأرض من نيازك وشهب... الخ شكله قاف، فإذا تكتشف هذا المجال المغناطيسي يصير بشكل قاف وإذا كان هناك أشعة تبين حدوده فان شكله قاف أو أن الأرض على قرن من ثور أي شكله شكل قرن وهذا له تأويل والآن اتفاقاً وجود طاقات تمثل حلقات واصلة بين المجرات والمنظومات لها إشكال عجيبة غريبة أما مخروطي أو غيره.

فأقول هذه الروايات وما كان يستبعده ويتنفر منه بعض المثقفين مثل الدكتور إقبال ودكتور شريعتي وغيرهم وكتاباتهم موجودة وحتى الطبرى في بعض كتاباته، والآن العلم اكتشف قضائياً كثيرة وحتى التي سموها روايات إسرائيلية هي بعينها نفس الشكل تنسجم مع العلوم ولا نقول حتى لأن الحتمية بحث آخر ولكنها ليست ممتنعة وكل شيء له عدة تأowيات ومعانٍ، كما ورد في الحروف المقطعة حسب ما جمعناه من الروايات في معانيها وبقية المفسرين سرقوا هذه المعانٍ من الروايات ولم ينسبوها إلى الروايات تقريباً عشر معانٍ وهي ليست عشر معانٍ بل عشر منهاج في عبارة أخرى.

فالقصد إذا كان أبدان المخصوصين صفة الأبدان فضلاً عن أرواحهم صفة الأرواح بل

كما في بعض الروايات أن طينة أبدانهم صفيت من طينة أعلى وكما اثبت العلم الحديث أن جسم الأرض الدنيوي له عدة أجسام وليس جسم واحد فجسم طاقي كالبخار يكتشف بالأشعة الخاصة ويسمى الاكتوبلازم، وهذا هو الذي يدبر الجسم الغليظ وبذلك الجسم يتلاحم الإنسان مع جسم الجن فالجن جسمه كهرومغناطيسي أثيري يمكن أن يتلاحم معه بذلك الجسم والأجسام الآن نلاحظها في عالم المادة وفي عالم الدنيا إلى ما شاء الله تأثيراتها بغض النظر عن كلام الفلاسفة وفي زمن الملا صدرًا هذه البحوث لم تكتشف ونفس الفلاسفة يعترفون أن بحوث الطبيعتيات من الفيزياء والكيمياء والإحياء له دخالة كثيرة حتى في معرفة الحكمة الإلهية وحتى في البحوث التجريبية العقلية كما يعبر من فقد حسا فقد عقلاً أو علمًا، فإذا كان كثير من المحسوسات غير مكتشفة والآن اكتشفت فهناك علوم كثيرة خافية علينا.

لذلك هذه القاعدة أساسية وأكدوا هم عليها أن أبدانهم عين الصفة وهم صفوة الخلق وسلالة النبيين فلم التأكيد على هذا المقام المعرفي؟، لكي يبين لك أن الأحكام المادية حتى البشرية تختلف فلا تحكم على تشابه أبداننا مع أبدانهم مع أنها بشرية وكما ذكرنا الجسم الطاقي غير الجسم الغليظ والآن تبين لهم أن أدمية الإنسان لا بهذا الجسم الغليظ وإنما بالجسم الاكتوبلازم، والآن اكتشف أن هذا البدن الدنيوي طبقات فالبدن الأصلي في الإنسان هو الاكتوبلازم وقد اكتشف في علم الإحياء أن هذا البدن يتبدل كل سبع سنوات بل الآن اكتشفوا أنه يتبدل أقل من سبع سنوات فالتبديل دائم فهل هذا التبدل مثله أو هو عينه؟.

إذا عينة الإنسان وهويته وشخصه هو ببدن آخر موجود وهو الاكتوبلازم بل في البدن الاكتوبلازم تجدد طاقة يحفظ شيء آخر، فالمقصود أن الأجسام المادية الأرضية هي ذات أحکام بين بعضها البعض بون وسیع بحيث مع انه ارضي وفيزيائي ومادي يعتبر كالروح لبدن آخر.

إذا ليس البدن الآدمي هو الغليظ ولا حظ الآن حتى بين بدن الإنسان والحيوان هناك فرق والآن علم الإحياء أثبت أن هذا البدن الكثيف كالنهر الجاري بمعنى التغير فيه المستمر وبمعنى هناك قالب حاكم وثبتت يأخذ هذه المواد ثم يضخها مرة أخرى والآن هم إذا أرادوا اكتشاف هذا المطلب فما هي القوة الحاكمة على البدن الغليظ الذي من خلال سبع سنوات أو أقل تأخذ مواد جديدة وتستبدل بهذه المواد والآن الفم مجرى المواد الجديدة ومجرة الغائط هي مصدر تنفس لهذا الرافد، والإنسان حتى بشمه قضايا كثيرة واكتشفوا أن الإنسان يستفيد من طاقات من موارد عديدة فهناك حواضن وجواذب ومضخات كثيرة فلو استطاع الإنسان أن يقوم بهذا العمل خلال ثواني فذلك البدن يتقل مثل الموج في ثانية إلى أقصى الأرض فإذا استطاع ذلك البدن الحافظ لهذا البدن أن يترك هذه المواد هنا ويأخذ مواد أخرى يiddها في ثانية كما تبدل منها ويد يأخذ مواد من ذلك الموضع وينشئ ذلك البدن واحد تفاصير طي الأرض أو السماء بهذه الطرقة فما المانع والعلم الآن يحكم على هذا البدن انه نهر جاري واتفاقاً بأبحاث علمية عجيبة في هذا المجرى الذي ذكرته فهم يريدون طي الأرض والسماء بمعادلات فيزيائية لأن روح ذلك البدن لها قدرة على الطي بشكل سريع وهو الذي يشكل ويعحفظ المواد الأخرى.

ان البروفسور يوخن روبيكا وهو الذي اشار الى عقيدة الإمام المهدي يقول توجد أسرار علمية ضخمة في بدن هذا الشخص ولكن يقول الإسرار التي في روحه أعظم من الإسرار الموجودة في بدنـه، الآن هو بدنـ وغليظ ولكن بالاكتشاف مع علاقته مع الأبدان الأخرى وقوتها وجبروت طاقتها فإذاـخذ هذاـالبدنـ أحـكامـ غيرـ أحـكامـناـ فـيـتـقـلـ بـطـيـ الأرضـ فيـ الثـانـيـةـ ولـتـقـرـيـبـ الصـورـةـ فـيـزـيـائـيـاـ وهـيـ تـقـرـبـ قـضـاـيـاـ مـهـمـةـ مـمـتـنـعـةـ التـصـوـرـ أـنـ عـنـدـهـمـ موـادـ تـسـتـطـيـعـ أـنـ تـقـلـبـ الطـفـلـ إـلـىـ شـيـخـ كـبـيرـ فـيـ ثـوـانـيـ وـعـنـدـهـمـ موـادـ عـلـىـ العـكـسـ تـقـلـبـ الشـيـخـ الكـبـيرـ إـلـىـ شـابـ أوـ صـبـيـ واـكـتـشـفـواـ فـيـهـاـ قـضـاـيـاـ سـرـيـةـ إـذـاـ اـصـلـ التـحـكـمـ فـيـ الـبـدـنـ فـيـهـ أـسـرـارـ.

نفسـ المـعـصـومـ لـهـ قـدـرـةـ عـلـىـ التـكـثـفـ وـالـتـشـفـفـ وـالـآنـ هـمـ فـيـ صـدـدـ اـكـتـشـافـ ماـ هـيـ الـمـعـادـلـاتـ الـتـيـ تـشـفـفـ هـذـاـ الـبـدـنـ وـتـحـولـهـ إـلـىـ بـخـارـ وـبـقـدـرـةـ ذـلـكـ الـبـدـنـ الـاـكـتـوـبـلـازـمـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـكـثـفـ نـفـسـ تـلـكـ الطـاقـاتـ يـأـخـذـهـ مـعـهـ مـشـفـفـةـ وـمـنـ ثـمـ يـكـثـفـهـ وـكـمـ ذـكـرـتـ هـنـاكـ بـدـيـهـيـةـ وـهـوـ أـنـ بـدـنـ إـلـاـنـسـانـ رـاـفـدـ فـعـيـنـ هـذـاـ الـبـدـنـ وـالـلـحـمـ وـعـظـمـ...الـخـ فـهـذـاـ نـفـسـهـ يـشـفـفـهـ بـقـدـرـةـ الـطـاقـةـ وـمـنـ ثـمـ يـكـثـفـهـ.

وـنـفـسـ الـبـحـوـثـ الـفـيـزـيـائـيـةـ بـعـضـهـاـ عـادـتـ بـحـوـثـ سـرـيـةـ تـتـسـابـقـ فـيـهـاـ الـدـوـلـ فـهـمـ نـفـسـ الـمـادـ يـغـيـرـهـاـ وـالـآنـ إـذـاـ أـخـذـتـ شـيـءـ مـنـ حـيـوانـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ الـآـخـرـينـ أـنـ يـحـسـوـبـكـ فـرـادـارـاتـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ تـكـشـفـكـ لـأـنـ ذـوـ طـاقـةـ حـاجـةـ فـالـمـقصـودـ هـنـاكـ مـجـالـاتـ وـطـاقـاتـ مـتـفـجـرـةـ إـلـىـ مـاـ شـاءـ اللهـ،ـ وـلـذـلـكـ أـقـولـ مـنـ الخـطاـ كلـ الخـطاـ أـنـ نـبـنيـ الـعـقـلـيـةـ الـفـلـسـفـيـةـ عـلـىـ فـيـزـيـاءـ زـمـنـ مـلاـ صـدـراـ.

وـالـآنـ هـمـ فـيـ صـدـدـ بـحـثـ أـنـهـ كـمـ تـتـقـلـلـ الصـورـةـ الـتـيـ نـضـنـ أـنـهـ صـورـةـ عـرـضـيـةـ وـلـكـنـهـاـ

جسم صغير كالجسم المرسوم على الجدار ونظن انه عرض ولكن بالدقة الفلسفية فالمقصود أن المشكلة الشاكلة أن المخلوق دائمًا يقيس الأمور على حدود وجوده وهذه داء دهباء، فإذا استطاع الإنسان أن يتحرر ويقول أن ليس كل شيء هو على مقاييس فالامر أعظم من هذا.

وإنما في صدد بيان عبرة علينا وعليهم وهو إننا لا نستطيع أن نرد ظاهر الروايات التي لا تتطابق مع الفيزياء الموجودة ونقول لعله تخاطب تاريخي، ولكن قل معلومات الفيزياء تاريخية لا أن النص تاريخي فتأويل ورفض السابقين لظاهرها بدعوى الامتناع الفيزيائي هذا المقدار خطأ فهذا المقدار صحيح أم الجزم أن هذا هو المراد الفيزيائي فخطأ، بل الظهور له موازين والمعنى له قوله وأسس فالذي سبقنا قام أما برفض الرواية أو بتاؤيلها بسبب معلومات مسلمة فيزيائية أو إحيائنية أو كيميائية معينة وهذه المسلمة العلمية أثبتت أنها خاطئة فاعتبرناه عليه في اللاشعور خطأ وهذا المدار يمكن أن نسجله عليه حيث نقول في كثير من التطبيقات أنها جدا محتملة، وبعبارة أخرى الظهور ينطبق عليها احتمالا بحيث لا نستطيع أن نرفض الظهور أما أن نقول هو هذا ولا غير فهذا هو الخطأ.

أما الرواية التي تقول الأرض على جبل أي شكله كالجبل فليس المراد بالجبل هو الصخور التخشنة وهذا بحث في النظرية التفسيرية للألفاظ وهذه الألفاظ كما ذكر علماء الأدب فهل الألفاظ موضوعة للغaiات أو المبادئ وكما قالوا خذ الغaiات واترك المبادئ أو تعبير الملا صدرا الألفاظ موضوعة لروح المعاني، فترى شكله جبل وكما في الرؤيا فهي ليست كفلم وإنما حقائق أجسام تراها ولكن طبيعة مادتها اشتفف من هذه المواد لأن تلك ليست مواد، بل هي مواد وأجسام لها طول وعرض وإشكال وألوان وخصائص وتأثيرات

وطاقة ولكن اشفف من هذه المادة إذا فلماذا لا نسميها جبل فغاية الأمر طبيعتها شفافة وطاقاتها تختلف متفجرة عملاقة عجيبة لأنها ليست كذلك.

إذا هذه الأمور مهمة جدا فمن الخطأ أن يقيس الإنسان الأحكام الموجودة على الأبدان المعصومين ولذلك يؤكدون أنه موجود في خصائص بدن وروح النبي' انه كان ينظر من خلفه أو ليس له ظل .

أن أي أفعال من أكل وشرب ونكافح ونوم فهو ينام ولكن تنام عينه ولا ينام قلبه، فالعين تتعب وتنام أو بقية الجوارح تتعب وتنام وشبيه الإنسان الذي قبل أن ينام فإنه يسمع ولكن عينه معطلة وشممه معطل وإحساسه معطل وربما سمع ضعيف موجود والقلب موجود وهذا لا يبطل الموضوع كما قالوا مع أن النوم حقيقي للعين ونوم حقيقي للحس والشم والذائقه مع أدنى مراتب السمع وان كان مشوش.

إذا نفس النوم فيه أفعال ودرجات والأكل فيه درجات والشرب فيه درجات والفروسيه لها درجات والبطولة لها درجات والسير له درجات وطي الأرض لها درجات فهي أفعال لكنها مختلفة، وفي تعبير يسأل الإمام الصادق كيف أنت تشهد كل هذا ولا تتأثر فقال أن قلوبنا غير قلوبكم وكذلك أرواحهم غير الأرواح وأبدانهم غير الأبدان وفي التعبير القراني ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَكَانًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيسُونَ﴾ يقول العالمة المجلسي أي وللبسنا عليه كاللبس وإن جوهره وقدراته غير ولذلك فصلنا ناطق أو عاقل أما فصل النبي ﷺ يوحى إليه وكما أن الإنسان في فصله الأخير ليس واحداً واحد ملك وآخر شيطان وآخر بهيمي والملائكة طبقات، فالتكامل مختلف فإذا كانت أبدانهم بمنزلة أرواحنا

فكيف نقايس أبداننا مع أحکام ابدائهم وكيف نقايس ابدائهم مع أرواح حتى الكفار أو أعدائهم بل أن ابدأن المؤمنين لا تقاييس مع أرواح الكفار وهذه ترتبط بعلوم فيزيائية إلى الآن لم يكتشفوها وهذا موجود في الروايات وهي ثبته وتقول ابدان المؤمنين لا قياس في قدراتها مع أرواح الكفار فأرواح الكفار خلقت من سجين وأبدائهم خلقت من اسجين سجين ومعنى ذلك هناك اختلاف حتى في الأبدان مع أنهم كلهم بشر.

الآن هناك أبحاث وهو أن المؤمن اختلاف صحته عن الذي لا يؤمن، والآن اكتشفوا أن الطاقة التي تبعث من العصابة خبيثة ومشوشة وبعثرة أما المؤمنين على خلاف ذلك وهذه أحد أشعة ما يذكر من جهة الاختلاف فالفيزياء هي أكبر من ذلك، مثلاً في نجاسة الكافر يثبت ابن سينا ان ذلك فلسفياً قابل للتصوير وكيف روح الكفر تنجس البدن وقد بحثها عقلياً تجريدياً وما اكتشفه البروفيسور الياباني أن أفعال المعاصي تلوث البيئة من الماء والأكل وحتى المكان وتقدر البيئة والأفعال السيئة أفعال فطرية تدركها شريعة فطرة كل البشر التي أودعها الله فيهم والكلام السيئ يلوث الطعام فإذا كانت أفعال فتكيف بالعقائد والصفات وهي حقائق إلى الآن لم يكتشفها البشر ولذلك المعصية قد تمنع قطر السماء أربعين يوماً فهذه الأمور لحد الان ما اكتشفناها ولكن لابد أن نعتقد بها لأنه أكدها في نصوص المعارف.

ونكتة نذكرها ان أحوال المعصومين فيها أوراق مشتبكة كثيرة من الصعوبة أن الإنسان يفكك الأوراق فلا بد ان يكون الامر شيء فشيء إلى أن يصل إلى حقيقة الحال وكثير من الاعتراضات في عصمة المعصومين هي للتشابه أو الاشتباك يسبب تشابه الأحوال

عندهم فينظر الرائي بسطحية أو بسرعة ويحكم بحكم خاطئ على تلك الأحوال بينما هي يراد لها تفكيك وأكثر الموارد التي رصدوها على الأنبياء أو سيد الرسل في القرآن وإنها لا تثبت عدم العصمة التي تدعوها أن سبباً اشتباك الأوراق واشتباك الملابسات وإذا فككت خطوة خطوة وعينة عينة يتضح وضوح المنظومة وهذه نكتة منهجية مهمة ويمكن أن نسميها قاعدة أخرى في بيان أحوال عصمة المعصومين وهي اشتباك الأحوال أو ملابسات الأحداث والأوراق أو الحشيشيات، وهذا التشابك والتتشابه هو الذي يستعصي إياصره على الناظرين والباحثين أما إذا اتّأدوا في تفكيره يسهل عليهم البحث، وهذا المنهج شيده الإمام الرضا في دفاعه عن عصمة الأنبياء في المحاججات التي حصلت بينه وبين علماء النصارى واليهود الجاثليق والصابئة والمذاهب الإسلامية الأخرى وهو اشتباك واشتباه الملابسات متداخلة ومترابطة بعضها البعض ولا يستطيعون أن يفكواها أو لا يسيطروا طياتها فتشتبه عليهم الأحوال.



## ملحق حول آثار قوم عاد

وقد نشر موقع (جامعة الإيمان - في اليمن) على الانترنت بحثاً مفصلاً إعداد الباحث عادل الصعدي نقل منه:

(في سنة ١٩٨٤ م زود أحد مكونات الفضاء بجهاز رadar له القدرة على اختراق التربة الجافة إلى عمق عدة أمتار يعرف باسم جهاز رadar اختراق سطح الأرض Ground Penetrating Radar Or GPR

فكشف عن العديد من المجاري المائية الجافة مدفونة تحت رمال الحزام الصحراوي الممتد من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً. وبمجرد نشر نتائج تحليل الصور المأخوذة بواسطة هذا الجهاز تقدم أحد هواة دراسة الآثار الأميركيان واسميه نيكولاوس كلام إلى مؤسسة بحوث الفضاء الأمريكية المعروفة باسم ناسا (NASA) بطلب للصور التي أخذت بتلك الواسطة لجنوب الجزيرة العربية (٢٤)، ونيكولاوس كلام هو الذي اكتشف مدينة إرم، وهو عالم آثار مغمم بكل ما هو عربي مع كونه متوجاً للأفلام الوثائقية الساحرة، وتبدأ قصته عندما عشر على كتاب مثير جداً بينها هو يبحث حول التاريخ العربي، وعنوان ذلك الكتاب «أرابيا فيليكس» مؤلفه «بير ترام توماس» الباحث الإنجليزي الذي ألفه عام

١٩٣٢ ، و «أرابيا فيليكس» هو الاسم الروماني للجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية والتي تضم اليمن والجزء الأكبر من عمان.

أطلق اليونان على تلك المنطقة اسم «العرب السعيد»، وأطلق عليها علماء العرب في العصور الوسطى اسم «اليمن السعيدة»، وسبب تلك التسميات أن السكان القدامى لتلك المنطقة كانوا أكثر من في عصرهم حظاً، والسبب في ذلك يرجع إلى موقعهم الاستراتيجي من ناحية؛ حيث أنهم اعتبروا وسطاء في تجارة التوابل بين بلاد الهند وببلاد شمال شبه الجزيرة العربية، ومن ناحية أخرى فإن سكان تلك المنطقة اشتهروا بإنتاج «اللبان» وهو مادة صمغية عطرية تُستخرج من نوع نادر من الأشجار. وكان ذلك النبات لا يقل قيمة عن الذهب حيث كانت المجتمعات القديمة تُقبل عليه كثيراً.

وأشهَدَ الباحث الإنجليزي «توماس» في وصف تلك القبائل «السعيدة الحظ»، ورغم أنه اكتشف آثاراً لمدينة قديمة أسستها واحدة من تلك القبائل، وفي إحدى رحلاته إلى تلك المنطقة، أراه سكان المنطقة من البدو آثاراً شديدة القدم، ولكن «توماس» الذي أبدى اهتماماً شديداً بالموضوع، توفى قبل أن يتمكن من إكمال بحثه. وبعد أن راجع «كلاب» ما كتبه الباحث الإنجليزي، اقتنع بوجود تلك المدينة المفقودة التي وصفها الكتاب دون أن يضيع المزيد من الوقت بدأ بحثه.

استخدم «كلاب» طريقتين لإثبات وجود مدينة «إرم»:

أولاًً: أنه عندما وجد أن الآثار التي ذكرها البدو موجودة بالفعل، قدم طلباً للاحتجاق

بوكالة ناسا الفضائية ليتمكن من الحصول على صور لتلك المنطقة بالقمر الصناعي، وبعد عناء طويل، نجح في إقناع السلطات بأن يلتقط صوراً للمنطقة.

ثانياً: قام «كلاب» بدراسة المخطوطات والخرائط القديمة بمكتبة «هانتينجتون» بولاية كاليفورنيا بهدف الحصول على خريطة للمنطقة. وبعد فترة قصيرة من البحث وجد واحدة، وكانت خريطة رسماها «بطلمي» عام ٢٠٠ ميلادية، وهو عالم جغرافي يوناني مصرى، وتوضح الخريطة مكان مدينة قديمة اكتشفت بالمنطقة والطرق التي تؤدى إلى تلك المدينة. وفي الوقت نفسه، تلقى أخباراً بالتقاط وكالة ناسا الفضائية للصور التي جعلت بعض آثار القوافل مرئية بعد أن كان من الصعب تمييزها بالعين المجردة وإنما فقط رؤيتها كلل من السماء.

وبمقارنة تلك الصور بالخريطة القديمة التي حصل عليها، توصل «كلاب» أخيراً إلى التسليمة التي كان يبحث عنها؛ ألا وهي أن الآثار الموجودة في الخريطة القديمة تتطابق مع تلك الموجودة في الصور التي التقاطها القمر الصناعي، وبدراسة تلك الصور اتضح وجود آثار مدقات للطرق القديمة المؤدية إلى عدد من أبنية مدفونة تحت الرمال السافية التي تملأ حوض الربع الخالي، وعدد من أودية الأنهار القديمة والبحيرات الجافة التي يزيد قطر بعضها عن عدة كيلو مترات، وقد احتار الدارسون في معرفة حقيقة تلك الآثار، فلجأوا إلى عدد من المتخصصين في تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم وفي مقدمتهم الأمريكي جوريس زارينز، والبريطاني رانولف فينيس، وبعد دراسة مستفيضة أجمعوا على أنها هي آثار عاصمة مملكة عاد التي ذكر القرآن الكريم أن اسمها (إرم) كما جاء في سورة الفجر، والتي قدر

عمرها بالفترة من ٣٠٠٠ ق.م. إلى أن نزل بها عقاب ربه فطمرتها عاصفة رملية غير عادية، وعلى الفور قام معمل الدفع النفاث بكاليفورنيا (معهد كاليفورنيا للتقنية) بإعداد تقرير مطول يضم نتائج الدراسة، ويدعو رجال الأعمال والحكومات العربية إلى التبرع بسخاء للكشف عن تلك الآثار التي تملأ فراغاً في تاريخ البشرية، وكان عنوان التقرير هو: البعثة عبر الجزيرة The Trans-Arabia Expedition، وتحت العنوان مباشرة جاءت الآياتان الكريمتان رقم ٨،٧ من سورة الفجر، وقد أرسل التقرير إلى الدكتور زغلول النجار لدراسته، وقد قام بذلك وقد رأيه فيه كتابة إلى المسؤولين بالمملكة العربية السعودية.

وقد ذكر التقرير أن اثنين من العلماء القدامى قد سبق لهم زيارة مملكة عاد في أواخر حكمها، وكانت المنطقة لا تزال عامرة بحضارة زاهرة، والأنهار فيها متدفقة بالماء، والبحيرات زاخرة بالحياة، والأرض مكسوة بالحضر، وقوم عاد مستكرين في الأرض، ويشكلون الحضارة السائدة فيها، وذلك قبل أن يهلكهم الله تعالى، وكان أحد هؤلاء هو (بليني الكبير) من علماء الحضارة الرومانية، والآخر كان هو الفلكي والجغرافي (بطليموس الإسكندرى) الذي كان أميناً لمكتبة الإسكندرية، وقام برسم خريطة للمنطقة بأنهارها المتدفقة، وطرقاتها المشعبة والتي تلتقي حول منطقة واسعة سماها باسم (سوق عمان)، ووصف بليني الكبير حضارة عاد الأولى بأنها لم يكن يداريها في زمانها حضارة أخرى على وجه الأرض، وذلك في ثرائها، ووفرة خيراتها، وقوتها، حيث كانت على مفترق طرق التجارة بين كل من الصين والهند من جهة وبلاد الشام وأوروبا من جهة أخرى، والتي كانت تصادر إليها البخور والعطور والأخشاب، والفواكه المجففة، والذهب، والحرير

وغيرها.

وقد علق كثير من المتأخرین على كتابات كل من بلینی الكبير وبطليموس الإسكندری بأنها ضرب من الخرافات والأساطیر، كما يشکك فيها بعض مدعی العلم في زماننا من لم يستطيعوا تصوّر الرابع الخلی - وهو من أكثر أجزاء الأرض قحولة وجفافاً اليوم - مليئاً في يوم من الأيام بالأنهار والبحيرات والعمران، ولكن صور المكوك الفضائي جاءت مطابقة لخريطة بطليموس الإسكندری، ومؤکدة لما قد كتبه من قبل كل منه ومن بلینی الكبير كما جاء في تقریر معهد الدفع النفاث.

وفي يناير سنة ١٩٩١ م بدأت عمليات الكشف عن الآثار في المنطقة التي حددتها الصور الفضائية باسمها الحالي (الشیصار)، واستمرت إلى مطلع سنة ١٩٩٨ م، وأعلن خلال ذلك عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع سميكه الجدران بأبراج في زواياها مقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاعها إلى ٩ أمتار وقطرها إلى ٣ أمتار.

وفي ١٧ / ٢ / ١٩٩٢ م نشر في مجلة تایم (Time) الأمريكية مقال ذكر فيه الكشف عن إرم.

وبتاريخ ١٠ / ٤ / ١٩٩٢ م كتب الدكتور زغلول النجار مقالاً بعنوان: «اكتشاف مدينة إرم ذات الععاد» ونشر بجريدة الأهرام القاهرية، وقد لخّص فيه ما وصل إليه من أخبار ذلك الكشف حتى تاريخه. وفي سنة ١٩٩٣ م نشر بيل هاريس كتابه المعون بـ (Bill Harris: (Lost Civilizations

وبتاريخ ٢٣ / ٤ / ١٩٩٨ نشر (Nicholas Clapp) كتابه المعنون: The Road to Ubar و بتاريخ ١٤ / ٦ / ١٩٩٩ نشر بيقول إير (Picolyer) كتابه المعنون: Falling off The Map: Some Lonely Places in The World) الكتب والنشرات والمواقع على شبكة المعلومات الدولية منذ ذلك التاريخ، ولكن تكتم القائمون على الكشف نشر مزيد من أخباره حتى يتمكنوا من تزييفه وإلحاقه بأساطير اليهود كما فعلوا من قبل في لفائف البحر الميت وأثار (إيلا) وغيرها من الواقع، ولكن كل ما نشر -

على قلته - يؤكّد صدق ما جاء به القرآن الكريم عن قوم عاد بأنهم:

١ - كانوا في نعمة من الله عظيمة، ولكنهم بطروها ولم يشكروها، ووصف بليني الكبير لتلك الحضارة بأنها لم يكن يداريها في زمانها حضارة أخرى كأنه ترجمة لمنطق الآية الكريمة ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلِقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾.

٢ - أن هذه الحضارة قد طمرتها عاصفة رملية غير عادية، وهو ما سبق القرآن الكريم بالإشارة إليه.

٣ - أن هناك محاولات مستمرة من اليهود لتزييف تاريخ تلك المنطقة ونسبة كل حضارة تكتشف فيها إلى تاريخهم المزيف، ولذلك كان هذا التكتم الشديد على نتائج الكشف حتى يفاجئوا العالم بما قد زيفوه، ومن ذلك محاولة تغيير اسم (إرم) إلى اسم عربي هو أوبار (Ubar) (٢٨).

وجه الإعجاز:

إننا نلاحظ من العرض السابق لما جاء في كتاب الله تعالى ولما وصل إليه علماء الآثار أن هناك تطابقاً واضحاً بين ما جاء في كتاب الله تعالى وبين مكتشفات العلم الحديث وذلك من عدّة وجوه، ويمكن أن نلخص هذه الوجوه في هذه النقاط الآتية:

١. أن قوم هود كانوا يسكنون في الأحقاف، والأحقاف جمع حقف، وهو ما استطال من الرمل ولم يبلغ أن يكون جبلاً، وقد أكدت الاكتشافات أن المنطقة التي كان يسكنها قوم عاد ينطبق عليها هذا الوصف.

٢. أن المنطقة التي كان يسكنها قوم عاد كانت منطقة زراعية، تتشرّب بها البساتين، ويوجد بها الأنهر والعيون، وكأنها واحة غناء في وسط الصحراء، ولذلك امتن الله عليهم بهذه النعمة. وقد جاء ذلك مطابقاً للصور التي التقettyها الأقمار الصناعية للمنطقة التابعة لوكالة الفضاء الأمريكية ناسا عام ١٩٩٠ عن نظام واسع من القنوات والسدود القديمة التي استعملت في الرى في منطقة قوم عاد والتي يقدر أنها كانت قادرة على توفير المياه إلى ٢٠٠٠٠٠ شخص، كما تم تصوير مجرى لنهرين جافين قرب مساكن قوم عاد، أحد الباحثين الذي أجرى أبحاثه في تلك المنطقة قال: «لقد كانت المناطق التي حول مدينة مأرب خصبة جداً ويعتقد أن المناطق الممتدة بين مأرب وحضرموت كانت كلها مزروعة».

وأكبر دليل على ذلك هو انتشار المزارع حول هذه المنطقة في الوقت الحالي، وكذلك وفرة المياه الجوفية في هذه المنطقة.

٣. ذكرت الآيات الكريمة أن قوم عاد كانوا يبنون القصور الشاهقة والمحصون

العالية، وكذلك كانوا يهتمون ببناء الأحواض التي يخزن بها الماء. وقد أكدت الاكتشافات الحديثة هذه المسألة.

٤. جاء في الآيات السابقة أن قوم عاد كانت لهم مدينة تسمى (إرم)، ووصفها القرآن بأنها ذات أعمدة، وقد جاءت الكشوف الحديثة لمساكن قوم عاد لتأكد هذه الحقيقة، فقد اكتشفوا قلعة ثانية الأضلاع سميكية الجدران بأبراج في زواياها مقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاعها إلى ٩ أمتار وقطرها إلى ٣ أمتار، وقال د. زاريتر - وهو أحد أعضاء فريق البحث وقائد عملية الحفر - إنه بما أن الأعمدة الضخمة تُعد من العلامات المميزة للمدينة المكتشفة، وحيث أن مدينة «إرم» وُصفت في القرآن بأنها (ذات العمد) أي الأعمدة الضخمة، فإن ذلك يعد خير دليل على أن المدينة التي اكتشفت هي مدينة «إرم» التي ذكرت في القرآن الكريم، والمدينة الأسطورية والتي ذكرت في القرآن باسم إرم Iram والتي أنشأت لكي تكونَ فريدةً جداً حيث تبدو مستديرة ويمر بها رواق معمد دائري، بينما كُلّ الواقع الأخرى في اليمن التي اكتشفت حتى الآن كانت أبنيتها ذات أعمدة مربعة، يُقال بأن سكان مدينة أرم بنوا العديد من الأعمدة التي غطيت بالذهب أو صنعت من الفضة وكانت هذه الأعمدة رائعة المنظر. وهذا تطابق واضح وجلي مع ما ذكرته الآيات الكريمة.

٥. أن قوم عاد لما كذبوا نبي الله هوداً أرسل الله تعالى عليهم ريحًا شديدة محملة بالأتربة قضت عليهم وغمرت دولتهم بالرمال، وما أكدته الاكتشافات الحديثة لمساكن قوم عاد أن نهاية قوم عاد كانت بسبب عاصفة رملية هو جاء طمرت مساكنهم تحت تلك الرمال. وبهذا يكون القرآن الكريم قد أعطى صورة واضحة جلية عن قوم عاد ومساكنهم،

وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ، وَأَنْهُمْ كَذَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ دَلِيلُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ أَشَدَّ الْعَذَابِ، فَأَهْلَكَهُمْ وَطَمَرَ بَلْدَتِهِمْ تَحْتَ الرَّمَالِ، وَهَذَا كُلُّهُ صُورَةٌ مِنْ صُورِ الْإِعْجَازِ التَّارِيْخِيِّ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَشَهِّدُ لَهُ بِأَنَّهُ كَلَامُ الْبَارِئِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى، وَبِأَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْقُرْآنِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الرَّسُولِ الْخَاتَمِ الَّذِي تَلَقَّاهُ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَاحِبِهِ وَمَنْ تَبعَهُ وَدَعَا بِدُعَوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ».

اعداد عادل الصعدي

انتهى....

وبغض النظر عن اتفاقنا معه في تفاصيل الدراسة الا انها بالإجمال نافعه.



## **فهرس الموضوعات**

٥ .....	المقدمة .....
٨ .....	احتجاج الرسول ﷺ مع رجال خمسة أديان: .....
٩ .....	احتجاجه ﷺ مع اليهود: .....
١١ .....	احتجاجه ﷺ على النصارى: .....
١٣ .....	احتجاجه ﷺ على الدهرية: .....
١٤ .....	احتجاجه ﷺ على الشنوية: .....
١٥ .....	احتجاجه ﷺ على مشركي العرب: .....
١٧ .....	قوة الإقناع في الرأي: .....
١٩ .....	مدخل .....
٢٣ .....	المبحث الأول: وساطة البشر بين الباري تعالى وخلقه .....
٢٧ .....	المبحث الثاني: المعجزة .....
٢٧ .....	الاتجاه الأول: محاور أساسية من بحث المعجزة .....
٢٧ .....	المحور الأول: تعريف المعجزة: .....

## ٣٧٤ ..... مباحث حول النبوات

المحور الثاني: تفريق المعجزة عن قدرة الجن: ..... ٢٨
المحور الثالث: استمرار الحاجة لمعرفة حقيقة المعجزة: ..... ٢٩
المحور الرابع: المعجزة ليست القدرة على المحال الذاتي: ..... ٣٠
المحور الخامس: من شروط المعجزة: ..... ٣١
المحور السادس: اختصاصها بما يعجز عنهبني جنسه: ..... ٣١
المحور السابع: قيدان يضعهما النبي ﷺ للمعجزة: ..... ٣٢
المحور الثامن: تميز مهم في معجزة إبراد النار لإبراهيم عليهما السلام: ..... ٣٣
المحور التاسع: ارتباط المعجزة ب أصحابها: ..... ٣٤
المحور العاشر: شرط الأفهام هدف للمعجزة: ..... ٣٥
المحور الحادي عشر: المعجزة تتحدى البشرية إلى يوم القيمة: ..... ٣٥
المحور الثاني عشر: المعجزة ليست لأجل النعمة: ..... ٣٧
المحور الثالث عشر: المعجزة ليست للجاج أو حب الذات: ..... ٣٨
المحور الرابع عشر: التقاء المعجزة والجدال بالأحسن في هدف واحد: ..... ٤٠
المحور الخامس عشر: برهان المعجزة الظري: ..... ٤١
المحور السادس عشر: برهان المعجزة الحضوري: ..... ٤٢
المحور السابع عشر: المعاجز علمية وعملية: ..... ٤٦

المحور الثامن عشر: جريان المعجزة بيد من له الولاية التكوينية: ..... ٤٦	٤
المحور التاسع عشر: المعجزة بين الدعاء والولاية تكوينية: ..... ٤٧	٤
المحور العشرون: المعجزة سرعة طي الاسباب: ..... ٥٠	٥
المحور الواحد والعشرون: المعجزة ليست خاصة بالأنبياء عليهما السلام: ..... ٥١	٥
المحور الثاني والعشرون: المعجزة شهادة بالصدق من الله تعالى: ..... ٥٣	٥
المحور الثالث والعشرون: الفرق بين المعجزة والكرامة: ..... ٥٤	٥
المحور الرابع والعشرون: الفرق بين المعجزة والسحر: ..... ٥٧	٥
المحور الخامس والعشرون: المعجزة ومراتب القدرة الغيبية: ..... ٦٥	٦
المحور السادس والعشرون: الفرق بين المعجزة والقدرات الغريبة: ..... ٦٩	٦
المحور السابع والعشرون: تميز المعجزة عن الاعمال الصعبة: ..... ٧٢	٧
المحور الثامن والعشرون: المعجزة هوية إثبات بشهادة الهيئة: ..... ٧٥	٧
المحور التاسع والعشرون: كنه المعجزة أعظم من اثرها: ..... ٧٧	٧
المحور الثلاثون: المعجزة العلمية أبلغ من المعجزة المادية: ..... ٧٨	٧
المحور الحادي والثلاثون: نفس صاحب المعجزة : ..... ٨١	٨
المحور الثاني والثلاثون: طواعية الملائكة لأصحاب منصب خليفة الله: ..... ٨٣	٨
المحور الثالث والثلاثون: مجرد التمكين واستجابة الدعاء لا تدلان على الفضل عند	

## مباحث حول النبوات ..... ٣٧٦

..... ٨٤	الله:
..... ٨٥	المحور الرابع والثلاثون: المعجزة متقومه بالتوسل:
..... ٨٦	المحور الخامس والثلاثون: علاقة صاحب المعجزة والعلم اللدني:
..... ٨٩	الاتجاه الثاني
..... ٨٩	الولاية التكوينية والقدرة للأنباء والأولياء
..... ١٠١	المبحث الثالث: أمور تتعلق بالرسالة
..... ١٠٢	الجانب الأول: الرسول والرسالة
..... ١٠٣	الجانب الثاني: معنى الرسول في القرآن والروايات
..... ١٠٥	الجانب الثالث: شمول معنى الامامة لمعنى الإرسال
..... ١٠٩	المبحث الرابع: أبحاث عامة حول النبوات
..... ١١٠	الجانب الأول: عدم حاجة الأنبياء إلى آليات الاجتهاد الفقهي
..... ١١٠	الجانب الثاني: حكمة فريدة في ترك الأولى عند الأنبياء عليهما السلام
..... ١١٢	الجانب الثالث: فلسفة فقر الأنبياء عليهما السلام
..... ١١٥	الجانب الرابع: عدم قدرة البشر على توصيف وادران مقامات النبي عليهما السلام
..... ١١٦	الجانب الخامس: العلم النبوى وشموله للتشريع والتكونين
..... ١٢٧	الجانب السادس: احيانا تتأثر ابدان الانبياء عليهما السلام بالسحر

الجانب السابع: فهم أهمية بعض نوايا الانبياء: ..... ١٢٨
الجانب الثامن: الآداب الإلهية عند الأنبياء: ..... ١٣٣
الجانب التاسع: النبوة العامة والخاصة وأدوار الأنبياء: ..... ١٣٥
الجانب العاشر: أصالة علوم الأنبياء: ..... ١٤٢
أولاً: شمولية علم النبي محمد ﷺ: ..... ١٤٢
ثانياً: أصول العلوم من تراث الأنبياء: ..... ١٤٥
ثالثاً: القرآن منبع للعلوم: ..... ١٤٩
المبحث الخامس: معاني الوحي وأنواعه ..... ١٥٣
اتساع معاني الوحي: ..... ١٦١
المبحث السادس: عمق الارتباط بين مقام النبوة والإمامية ..... ١٧٦
الوقفة الأولى: ختام الأنبياء لا يعني ختام باقي المقامات: ..... ١٧٦
الوقفة الثانية: الوساطة بين الخالق والمخلوق اعم من النبوة: ..... ١٧٨
الوقفة الثالثة: مدرسة آل البيت ظاهرها فيها توحيد الولاية: ..... ١٧٨
الوقفة الرابعة: التوسيط يعني الربط بين النبوة والإمامية: ..... ١٨٠
الوقفة الخامسة: جهة الاشتراك بين الأصول الخمسة ومحورية التوحيد: ..... ١٨١
الوقفة السادسة: الترابط بالبراهين بين أصول الاعتقادات: ..... ١٨٣

الوقفة السابعة: بحث الشاهد الشهيد: ..... ١٨٤	مباحث حول النبوات ..... ٣٧٨
الوقفة الثامنة: الامام من نور النبي ﷺ: ..... ١٨٨	
الوقفة التاسعة: خصائص خاصة بين النبي ﷺ والإمام علي: ..... ١٩٠	
الوقفة العاشرة: وجود خصائص للنبي وطرق تفسيرها: ..... ١٩١	
الوقفة الحادية عشر: المعرفة المنظومية للنبي والإمام أهم من الفردية: ..... ١٩٣	
الوقفة الثانية عشر: النظرة المنظومية للاعتقادات: ..... ١٩٥	
الوقفة الثالثة عشر: دور النبي ﷺ والإمام علي في الهدایة: ..... ١٩٧	
الوقفة الخامسة عشر: من ينكر الأوصياء فقد أنكر الرسل: ..... ١٩٨	
الوقفة السادسة عشر: البحث في الطبيعة العامة أفضل من البحث في المصادر: ..... ٢٠٠	
الوقفة السابعة عشر: الترابط بين معرفة الله والنبي ﷺ والإمام: ..... ٢٠٤	
الوقفة الثامنة عشر: الترابط بين النبوة والإمامنة له معانٍ حقيقة: ..... ٢٠٧	
الوقفة التاسعة عشر: المعاني الروحية والمعنية: ..... ٢٠٩	
المبحث السابع: من مواقف الأنبياء وأقوامهم ..... ٢١٢	
الموقف الأول: من مواقف النبي إبراهيم عليه السلام: ..... ٢١٢	
أولاً: تعجل إبراهيم عليه السلام بالدعاء على العباد: ..... ٢١٢	
ثانياً: التمظهر بعبادة الكواكب لا يعد ذنبًاً وامتياز الاستدلال الإبراهيمي: ..... ٢١٣	

الموقف الثاني: من تفسير قصة موسى مع الخضر عليهما السلام ..... ٢١٥	٢١٥
الموقف الثالث: عمران قوم عاد ..... ٢١٩	٢١٩
الموقف الرابع: أمثلة لافتتان أمم الأنبياء ..... ٢٢٠	٢٢٠
الموقف الخامس: التحريف في الأديان وتعصب اليهود ..... ٢٢٤	٢٢٤
الموقف السادس: حول المذهب العجيب ..... ٢٢٦	٢٢٦
المبحث الثامن: حجية الأنبياء والأئمة المعصومين ..... ٢٣٠	٢٣٠
الإفادة الأولى: التمييز وفق البديهيات العقلية ..... ٢٣١	٢٣١
الإفادة الثانية: التمييز وفق نظام تراتيبي ..... ٢٣١	٢٣١
الإفادة الثالثة: التمييز يكون من خلال الحاجة الأعلى ..... ٢٣٢	٢٣٢
الإفادة الرابعة: حجية المعجزة العلمية أعمق من المعجزة العملية ..... ٢٣٣	٢٣٣
الإفادة الخامسة: آثار العلم في النشأت أعمق من آثار العمل ..... ٢٣٤	٢٣٤
الإفادة السادسة: حجية القرآن كمعجزة علمية أعمق ..... ٢٣٤	٢٣٤
الإفادة السابعة: تمييز صاحب الحجية وفق الوقار والسكينة ..... ٢٣٥	٢٣٥
الإفادة الثامنة: عدم السكينة والمجون تنافي الحجية والاتزان ..... ٢٣٦	٢٣٦
الإفادة التاسعة: آثر الحزن والرفق في التعقل والاتزان ..... ٢٣٨	٢٣٨
الإفادة العاشرة: التمييز في الحجية من خلال مكارم الأخلاق ..... ٢٣٩	٢٣٩

الإفادة الحادية عشر: العصمة والاصطفاء تلازم الحجية وفرقها عن بعض المقامات الأخرى: ..... ٢٤١	٣٨٠
الإفادة الثانية عشر: حول حجية الفقيه مقابل أقسام أخرى: ..... ٢٤٤	
الإفادة الثالثة عشر: حجية الله فوق كل الحجج: ..... ٢٤٨	
الإفادة الرابعة عشر: حجية الإدراك العقلي: ..... ٢٤٩	
الإفادة الخامسة عشر: الأنبياء لا يخالفون دين وفرائض الله: ..... ٢٦٩	
الإفادة السادسة عشر: الآيات بمجموع الحجج: ..... ٢٧٠	
الإفادة السابعة عشر: الترتيب والتناسب بين قنوات المعرفة: ..... ٢٧١	
الإفادة الثامنة عشر: الخضر لم يخالف حجية فرائض الله: ..... ٢٧٢	
الإفادة التاسعة عشر: انصياع الأولياء لحجية فرائض الله: ..... ٢٧٤	
الإفادة العشرون: ضرورة الالتزام بترتيبية الحجج: ..... ٢٧٦	
الإفادة الواحدة والعشرون: مغالطات اليهود في التزام ترتيبية الحجج: ..... ٢٧٩	
الإفادة الثانية والعشرون: التمرد على تراتبية الحجج بذرائع مشبهه: ..... ٢٨٠	
الإفادة الثالثة والعشرون: التمرد على تراتبية الحجج اعتماداً على الاحتمالات: ..... ٢٨٢	
الإفادة الرابعة والعشرون: أساليب القرآن في إثبات حجية الأولياء: ..... ٢٨٣	
الاسلوب الاول: اسلوب الفضائل ودلالته على حجية الأولياء: ..... ٢٨٣	

## فهرس الموضوعات

٢٨١

الأسلوب الثاني: مقدار الأدب مع الأولياء وعلاقته بالحجية: ٢٨٥	.....
الاسلوب الثالث: اساليب اخرى كالقصص والامثال وغيرها: ٢٨٨	.....
المبحث التاسع: العصمة ٢٩٠	.....
الجانب الأول: معنى وتعريف العصمة: ٢٩٠	.....
الجانب الثاني: العصمة اصطفائية وليس كسبية: ٢٩٣	.....
الجانب الثالث: طول العبادة عاصم عن الزلات: ٢٩٦	.....
الجانب الرابع: كيفية تسلط الشيطان على بدن المعصوم: ٢٩٨	.....
الجانب الخامس: سيطرة المعصوم على النفس الجزئية مع وجود حاجات البدن: ٣٠٤	.....
الجانب السادس: في مراتب طبقات المعصوم: ٣٠٧	.....
روي عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله <small>عليه السلام</small> : ٣٠٨	.....
الجانب السابع: القواعد في فهم الحالات المشابهات للمعصوم: ٣١٤	.....
القاعدة الأولى: ٣١٤	.....
القاعدة الثانية: ٣١٦	.....
القاعدة الثالثة: ٣١٩	.....
الجانب الثامن: فهم لأفعال المعصوم العادية: ٣٢١	.....
الجانب التاسع: العصمة الإلهية والعصمة الخلقية: ٣٢٣	.....

الجانب العاشر: العصمة وتدخلات القوى الذاتية عند المتصوم: ..... ٣٢٧	٣٨٢
الجانب الحادي عشر: العصمة واستمرار تكامل المتصومين: ..... ٣٢٩	
الجانب الثالث عشر: تلخيص لما تم تحقيقه مسبقا: ..... ٣٤٨	
الجانب الرابع عشر: فعل المتصوم مرتبط به وبأمه: ..... ٣٥٠	
الجانب الخامس عشر: اشكال وجوابه: ..... ٣٥٢	
الجانب السادس عشر: حقائق علمية في الروايات وقاعدة حول قدرات أجسام المتصومين: ..... ٣٥٣	
ملحق حول آثار قوم عاد ..... ٣٦٤	